

عَلَى بْنِ رَبِّان الطَّبْرِي

الدِّينُ وَالْدَوْلَةُ

فِي اثْبَاتِ نَبْوَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ عَادِلُ نَوَيْهَض



منشورات دار الإفاق الجديدة بيروت

ذخائر التراث العربي

الدين والدولة

في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ

تأليف

علي بن ربن الطبري

ساعده فيه الخليفة العباسي المتوكل على الله

حقيقه وقدم له

عادل نويهض

مطبعة دار الآفاق الجديدة

منشورات - دار الآفاق الجديدة - بيروت

الطبعة الأولى

١٣٩٣ هجرية

١٩٧٣ ميلادية

جميع الحقوق محفوظة للناس

BP 166

.5

A 341

1973b

ترجمة المؤلف :

- هو أبو الحسن علي بن سهل ، ويعرف بابن ربن الطبري .
- طبيب حكيم ، انفرد بالطبيعات ، وكان من العلماء في الأديان .

لم يضع ترجمة ذاتية لنفسه ، ولو كان فعل ، لاطلع عليها مترجموه من المتقدمين وقدموا لنا ترجمة أوفى مما ورد في كتبهم .
فجميع المصادر التي ترجمت له أغفلت أسماء آبائه وأجداده ، ولم تعطنا تأريخا لميلاده أو لوفاته، أو ما يمكننا من تكوين صورة واضحة المعالم والزوايا عن حياته ، بل ان جميعها لم تقدم لنا الا نبذة يسيرة عنه .

فاذا لم يكن بين أيدينا سوى هذه النبذة اليسيرة ، كيف يتسنى لنا اذن أن نصوره صورة تكاد تقترب من الحقيقة ؟

الواقع اننا نعتمد في هذا على ما ذكره مترجموه ولو كان يسيرا ، ثم على تنف مبشرة في ثنايا كتابيه « فردوس الحكمة » و « الدين والدولة » ، وهو هذا الكتاب القيم الذي تقدمه اليوم لقراء العربية تحت كل سماء وكوكب .



في جميع ما كتبه عنه المتقدمون خلاف في اسم أبيه • فهو عند ابن جرير الطبري (١) - وهو أقدم من ذكره - علي بن ربن النصراني (٢) ، وعند المسعودي (٣) علي بن زيد (٤) وعند ابن النديم (٥) علي بن سهل بن ربل (٦) وعند ابن أبي أصيبعة (٧) علي بن سهل ابن ربن (٨) وعند ياقوت (٩) علي بن ربن (١٠) وعلي بن زين ورزين (١١) وعند ابن خلكان (١٢) علي بن زين (١٣) وعلي بن ربن (١٤) وعند القفطي (١٥) علي بن ربن (١٦) •

هذه الشهرة ، ابن ربن ، التي عرف بها الرجل ، والتي لا تخلو المصادر المذكورة من اختلاف الأقوال فيها ، لم أجد أحدا تسمى بها ، أو نسب اليها قبله ، على كثرة ما رجعت اليه من مصادر ، سوى ما ذكره ابن أبي أصيبعة نقلا عن كتاب في أخبار الاطباء ليوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية وهو قوله : ثم اني دخلت يوما على جبرائيل بن بختيشوع ، وقد انحدر من معسكر المأمون قبل وفاته بمدة يسيرة ، فوجدت عنده حنينا وقد ترجم له أقساما قسمها بعض الروم في كتاب من كتب جالينوس في التشريح ، وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول له : يا ربن حنين ، وتفسيره ربن المعلم ، فأعظمت ما رأيت (١٧) • واعتقادي ان عدم وضوح المعنى الصحيح لهذه الشهرة - ابن ربن - في أذهان المتقدمين ، هو الذي خلق هذا الالتباس بينهم فوقع التحريف بالاسم • ولقد احتفظ لنا ابن القفطي بنص هام من « وضعه » يلقي ضوءا قويا على مدى هذا التحريف الذي حصل ، فهو يقول : « ربن طبيب يهودي منجم ، من أهل طبرستان ، كان حكيما طبييا عالما بالهندسة وأنواع الرياضة ، وحلّ كتباً حكيمية من لغة الى لغة أخرى ، وكان ولده علي طبييا مشهورا انتقل الى العراق وسكن سر من رأى

(سامراء) • وربن هذا كان له تقدم في علم اليهود • والربن والرئين
والراب أسماء لمقدمي شريعة اليهود • « (١٨)

أغلب الظن ، ان القفطي ، ومن تقدمه ممن أتى على ذكر ابن ربن
فحرفوا اسم والده ، لم يطلعوا على ما ذكره علي نفسه في مقدمة كتابه
« فردوس الحكمة » عند ذكره لأبيه وتفسيره لمعنى « ربن » •

يقول علي : « وكان أبي من أبناء كتّاب مدينة مرو وذوي
الأحساب والآداب بها ، وكانت له همة في ارتياد البر وبراعة ونفاذ في
كتب الطب والفلسفة ، وكان يقدم الطب على صناعة آبائه ، ولم يكن
مذهبه فيه التمدح والاكْتساب بل التّأله والاحتساب ، فلقب لذلك
بـ « ربن » وتفسيره عظيمنا ومعلمنا « (١٩) •

ومع ذلك ، فقد كان للنص الذي ذكره القفطي « حظ وافر من
العناية » عند المستشرقين ، فتلقفوه على علاته ، وبنوا على أسسه
هياكل آرائهم وأبحاثهم الخاصة بابن ربن ، فجردوه من اسلامه ،
وأنكروا عليه نصرانية أسرته ، وهوّـدوه بسهولة ، فعده أحدهم من
أطباء اليهود (٢٠)، وعده آخر من كتّاب اليهود في الادب
العربي (٢١) •

ولم يقف الأمر في تهويد الرجل عند المستشرقين ، فكاتب مادة
ابن ربن « في دائرة المعارف «للبستاني» سار في خطاهم أيضا ، فهو
يقول : « يدل اسمه على أنه كان يهودي الأصل ، وهو ما يؤيد قول
صاحب « الفهرست » انه أسلم على يد المعتصم « (٢٢) •

ولأهمية هذه الآراء في تحريف الحقائق، سأورد للقارئ الكريم

أيضا نصا ذكره ابن ربن نفسه، يثبت أنه ليس يهوديا ولم يكن يهوديا،
وانه من أسرة نصرانية عريقة في نصرانيتها ، كان هو من حملة لوائها
ودعاتها ، ثم هداه الله الى الاسلام ، فاعتنقه ، و « من يهد الله فهو
المهتد ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا » (الكهف : ١٧) « وانك
لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » (القصص : ٥٦) .

قال ابن ربن في الفصل السادس من هذا الكتاب (الدين والدولة) :
(ومن آيات النبي (صلعم) هذا القرآن ، وانما صار آية لمعان لم أر
أحدا من مؤلفي الكتب في هذا الفن فسّرها ، بل أطلق القول والدعوى
فيه . وما زلت وأنا نصراني أقول ، ويقول عم لي كان من علماء القوم
وبلغائهم ، ان البلاغات ليست من آيات النبوة لأنها مشتركة في الأمم
كلها ، حتى اذا اعتزلت التقليد والألف ، وفارقت لزاز العادة والتربية ،
وتدبرت معاني القرآن ، علمت أن الامر فيه كما قال أهله . . » .

وقال قبل ذلك في مقدمة الكتاب : « الحمد لله على دين الاسلام
الذي من ألفه فاز ، ومن قام به اهتدى ومن نصره نجا ، ومن ناصبه
هلك . به عرف الباري ، وعليه تحوم الامم ، واليه تشوقت النفوس ،
وبه نيل الامل عاجلا وآجلا ، لأنه النور المعمور ، والجسر المعبور ،
الى دار السلامة والخلود الذي لا كدر فيه ولا غرور ، فجعلنا الله من
أهل السنة ، وجنبنا الباطل وما يجني على أهله . . . »

وقال في رده على من ذكر أن المهاجرين والانصار دخلوا في الدين
من غير آية : « فان قال قائل مثل الذي كان يحتج به عم لي كان
مشهورا بالجدل والبراعة، معروفا في أفق العراق وخراسان بأبي زكريا
يحيى بن النعمان، قال في كتاب ألفه في الرد على أهل الأديان : انه بحث

عن الاسباب التي دخل فيها عدة من المهاجرين والسابقين الاولين ،
ومن دخل معهم في الاسلام من الرجال والنساء ، فلم يجد أحدا دخل
فيه لآية رآها وعلامة أتى بها . فكانت هذه عندي حجة قوية جدا ما
زلت معتزا بها ، عميا عنها ، حتى اذا انسلخت من دينه ، رأيت الجواب
عنها سهلا والمخرج فسيحا » •

لم يرد فيما نقلناه من كلام ابن ربن ما يشير الى يهوديته ، وهذا
دليل قاطع على أن التفسير الذي وضعه القفطي ، وتلقفه عنه بعض
المستشرقين وغيرهم ، هو تفسير خاطيء . ثم ان ما ذكره المستشرق
نولدكه (٢٣) عن أبي علي انه ربما كان من أعظم أعضاء صومعة
النصارى ، ولذلك اشتهر بربن (٢٤) فيه اقرار بنصرانيته لا يهوديته .
ولو كان يهوديا لما كان المؤرخ المفسر الامام ، الطبري ، وصفه بعلي
ابن ربن النصراني •

أيضا ، أحب أن ألفت الانظار ، الى أن التحريفات والاختلافات
التي وقعت في كتب المتقدمين ، حول اسم أبي علي وشهرته ، جعلت
المستشرق فلوغل (٢٥) يزعم أنه علي بن ذبل أو دبل (٢٦) والمستشرق
فيستفيلد (٢٧) يزعم أنه علي بن زين (٢٨) . كما جعلت المستشرق
هامر (٢٩) يظن أن عليا بن سهل غير علي بن ربن ، وان أحدهما كان
شيخا لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ، وثانيهما تلميذه (٣٠) •

ولادته :

قلنا ان جميع مصادر ترجمته لا تعطينا تاريخا لميلاده ، والأرجح
انه ولد في أواخر أيام أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) أو في
أوائل خلافة المهدي بالله (١٥٨ - ١٦٩ هـ) وقد استتجنا ذلك من
نص له في كتابه فردوس الحكمة . قال في الباب العاشر : « ورأيت

بطبرستان ، وأنا أصلي مع أبي صلاة العشاء ، نارا ارتفعت من التيمن
ومرت الى الجربيا شبه اسطوانة غليظة طويلة ، فلم يلبث ملك جبالها
أن اضطرب أمره وأزعج عن بلاده، ثم عاد اليها بعد هول قاساه ونقص
دخل عليه في ملكه » (٣١) .

وملك طبرستان ، ذلك الوقت ، ونداد هرمز . يذكر ابن الأثير
في حوادث سنة ١٦٧هـ (٧٨٣ / ٧٨٤ م) ان الخليفة المهدي وجه اليه
جيشا كثيفا بقيادة ابنه موسى الهادي فحاصره . ويقول في حوادث
سنة ١٨٩هـ (٨٠٥ م) ان الخليفة هارون الرشيد كتب الى ونداد أمانا،
فقدم الى الخليفة ، فأحسن اليه وأكرمه . (٣٢)

ويقول ابن كثير في حوادث سنة ١٦٧هـ : « وفيها وجه المهدي
ابنه موسى الهادي الى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله... وفيها وقع
وباء شديد وسعال كثير ببغداد والبصرة ، ثم ذكر أن في هذه السنة
أظلمت الدنيا لثلاث بقين من ذي الحجة حتى تعالى النهار . » (٣٣)

فاذا صح أن الحادثة التي أشار اليها ابن ربن تتعلق بما ذكره
المؤرخان ابن الأثير وابن كثير ، وهو ما ذكره ابن اسفنديار (٣٤) في
تاريخ طبرستان (٣٥) يكون استنتاجنا في محله ، وبخاصة ، اذا علمنا
أن ابن ربن كان حيا سنة ٢٤٧هـ (٨٦١ م) حين ألف كتابه « الدين
والدولة » ، أي أنه كان في نحو التاسعة والثمانين من عمره ، وانه كان
— حين رأى النار — في نحو العاشرة من عمره .

أسرته :

باستثناء ما ذكره ابن القفطي عن ربن ، ونقله ابن أبي أصيبعة
فاننا لا نجد ذكرا للأسرة ابن ربن في مصادر ترجمته . ولكن هو نفسه،

أتى على ذكر أبيه ، وعمه ، - وقد ذكرنا قوله سابقا - فأفادنا أنه من بيت علم وأدب ودين (مسيحي) ، عرف بعضهم في أفق العراق وخراسان ، وتولى بعضهم أهم الأعمال لولاية طبرستان ، وإن عمه ، الذي كان مشهورا بالجدل والبراعة ، ألف كتابا في الرد على أهل الأديان . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا ولم يذكره أحد من المؤرخين والباحثين . ويقول القفطي في ترجمة ربن أن أبا معشر الفلكي (ت ٢٧٢ هـ) سئل عن مطارح الشعاع فذكرها ، وقال : إن المترجمين لنسخ المجسطي عن اليونانية ما ذكروا الشعاع ولا مطارحه ، ولا يوجد ذلك إلا في النسخة التي ترجمها ربن (٣٦) . وقد كذب قول ابن القفطي المستشرق الإيطالي نلينو (١٨٧٢ - ١٩٢٨ م) (٣٧) .

شيوخه :

لم تذكر لنا المصادر أسماء شيوخه (٣٨) ، ولا نعلم عن دراسته إلا ما ذكره هو في مقدمة كتابه فردوس الحكمة من أنه أخذ عن والده علم الطب ، فقال : « وكان أفهمني منه - الطب - في صغري ما لم أدع التزيد إليه بقدر ما قسم الله لي منه ، وعلى حسب ما أعان عليه الزمان والطبع ... »

ولكن كل من يقرأ كتابيه « فردوس الحكمة » و « الدين والدولة » يتأكد له أن عليا كان عارفا بالهندسة والفلسفة ، وباللغات العربية والسريانية وقليلًا من اليونانية ، كما كان عالما بالجدل .

فمن قام بتعليمه ذلك كله ؟

اعتقادنا ، أن الفضل في تعليمه يعود إلى والده الذي « كانت له براعة ونفاذ في كتب الطب والفلسفة والآداب » ، وإلى عمه الذي

« كان مشهورا في الجدل والبراعة » . ثم يعود الفضل اليه نفسه، لأنه أكب على دراسة مصنّفات السابقين ، العربية والمترجمة ، حتى زوّد نفسه بذخيرة من العلوم ظهرت نتائجها في كتابيه .

فهو يقول في « فردوس الحكمة » (ص ٨) انه ألفه واستنبطه وجمعه « من كتب أرسطو وسائر الفلاسفة في الطب وغير ذلك ، ومن كتب عدة من أهل زمانه ، وانه فتش كتب كثيرة من كتب الحكماء المحمودين المشهورين ، وأخذ صفوها وثمارها وطرائف معانيها ، فلم يشذ عنه ولم يفته من أصولها وفصولها وفصوصها وفروعها الا اليسير القليل ... الخ » .

وتولى ابن ربن الكتابة لملك طبرستان ، أثناء تأليفه « فردوس الحكمة » ثم حدث له ما أزعجه فغادر طبرستان الى العراق قبل أن ينهي الكتاب .

قال في مقدمة « فردوس الحكمة » : « ولقد اجتمع ذلك لي (أي مواد أبواب الكتاب) في عدة سنين ، وبعد تعب وسهر مع أشغال دائمة مما كنت أتولى من كتابة ملك بلادي ، فما كنت أتفرغ لجمعه الا في أوقات يحتاج البدن فيها الى نصيبه من الراحة والجمام ، لكن النفس كانت تأبى الا شهوتها واحتسابها وتقديم العناية به على المنافع والملاهي والسكون ، فلما شارفت الفراغ منه ، عرض لي حادث من الدهر أزعجني عن بلادي الى مستقر الملك الأعظم وأمرني بملازمة بابه في بعض أعماله ، فعاق ذلك أيضا عما أردت الى الوقت الذي أذن الله تعالى في اتمامه ، في مدينة « سرّ من رأى » ، وذلك في السنة الثالثة

من خلافة العدل المؤيد الوهاب ، جعفر الامام ، المتوكل على الله أمير المؤمنين » •

رحلته :

لنا أن تتساءل : متى رحل ابن ربن الى العراق « الى مستقر الملك الأعظم » الذي أمره بملازمة بابه في بعض أعماله « ومن هو هذا الخليفة أو الملك الأعظم ؟

لم نعر على جواب في كتب المتقدمين • ولكن ابن ربن نفسه يذكر أنه كان في مدينة « سر » من رأى » في أواخر أيام الخليفة هارون ، وابن النديم يقول : أنه أسلم على يد المعتصم فقربه ، وظهر بالحضرة فضله « ، وفي تاريخ طبرستان « انه تولى الكتابة في ديوان المعتصم » •

فلنأخذ كل قول على حدة ونحلله ، وبذلك نستطيع أن نرجح في أي زمن دخل ابن ربن الى العراق •

١ - يقول ابن ربن : « وملك الله هارون ، فرأيت في زمانه بعد المساء ، وأنا بسر من رأى (سامراء) كوكبا قد انقض عن ناحية التيمن ووقع الى الجريا وتمدد في السماء ، والتوى التواء شبيها بخط الكتاب فمات هو - أي هارون - بعد أيام ، بعد علة شديدة قاساها • وظهر قبل موته بأشهر نار مستطيلة في السماء بقيت بعد نصف الليل الى قريب من الصبح • » (٣٩)

فأي هارون يقصد ابن ربن ؟ هارون الرشيد الذي ولي الخلافة من سنة ١٧٠ الى ١٩٣ هـ ، أم الواثق بالله هارون بن محمد الذي ولي الخلافة من سنة ٢٢٧ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وكلاهما مات بعلة قاسى منها ؟

انه يقصد الواثق بالله هارون بن محمد • فمدينة «سر من رأى»
لم تعرف بهذا الاسم الا بعد أن اتخذها الخليفة المعتصم بالله
(٢١٨ - ٢٢٧ هـ) عاصمة له سنة ٢٢٢ هـ حين ضاقت بغداد بجنده ، أي
بعد وفاة هارون الرشيد بحوالي عشرين عاما •

ثم ، ان ابن ربن يقول بعد النص السابق : « وكان ظهر بمرور ،
وعبدالله المأمون أمير المؤمنين بها ، حسرة في قدر ثلث مما يظهر في
دائرة الشمس ، وبقيت عدة ليل ، فقتل الملك وزيره ، وانتقل عن مرو
الى العراق » •

والمأمون ابن هارون الرشيد ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين
سنة ١٩٨ هـ ، وبعد مرور حوالي خمسة أعوام على وفاة أبيه الرشيد ،
فلو كان يقصد بقوله « وهلك الله هارون » هارون الرشيد ، لما كان
قال بعده : « وكان ظهر بمرور وعبدالله المأمون أمير المؤمنين بها » بل :
ثم ظهر •

٢ - يقول ابن النديم : « وكان يكتب للمازيار بن قارن ، فلما
أسلم على يد المعتصم قرّبه وظهر بالحضرة فضله ، وأدخله المتوكل في
جملة ندمائه » • (٤٠)

المعتصم بالله ولي الخلافة من سنة ٢١٨ الى ٢٢٧ هـ • وفي أيامه
(سنة ٢٢٤ هـ) أظهر مازيار بن قارن الخلاف عليه بطبرستان وعصى
وقاتل عساكره ، فاعتقل - في قصة طويلة - ، ثم سيق للمعتصم فأمر
بقتله ، فقتل في نفس السنة أو في التي تليها على ما في « الكامل »
لابن الأثير •

وابن ربن يذكر في مقدمة كتابه فردوس الحكمة انه كان يكتب
لملك بلاده ، ولكنه لم يذكر اسم ذلك الملك . والذي يؤكد لنا انه
مازيار ، كما ذكر ابن النديم ، هو قول ابن ربن بعد ذلك : « ثم عرض
لي حادث من الدهر أزعجني عن بلادي الى مستقر الملك الأعظم وأمرني
بملازمة بابه في بعض أعماله » فالحدث هو اظهار مازيار الخلاف على
المعتصم ، ثم وقوعه في قبضته وقتله .

٣ - يقول ابن اسفنديار ان ابن ربن تولى الكتابة في ديوان
المعتصم . أي ان ابن ربن كان في ايام المعتصم ببغداد .

ونحن نذهب الى اكثر من ذلك فنقول ، ان ابن ربن دخل العراق
في ايام المعتصم بالله ، لأن رحيله « الى مستقر الملك الأعظم » كان بعد
حادث مازيار ، أي خلال سنة ٢٢٤ او سنة ٢٢٥ هـ . فأمره الخليفة
« بملازمة بابه في بعض أعماله » وهذا ما يؤكد صحة قول ابن
اسفنديار .

يبقى امامنا قول ابن النديم ان ابن ربن اسلم على يد المعتصم ،
وهو قول لم نعثر على مصدر يؤكد . ولكن ابن ربن ، في خاتمة كتابه
« الدين والدولة » - وهو هذا الكتاب - ، يذكر قولاً نشتم منه أنه
أسلم على يد المتوكل ، فهو يقول : « وقد تم في كتابي هذا « الدين
والدولة » فساد اليهودية وبطلانها ، ومخازي الثنوية والذهرية وخلالها ،
ليتبين الناظر انكسارها وانكسافها ، وان النور الساطع والايمان
الهادي هو الاسلام وحده ، ولله الشكر على ما هداني . ثم لعبده
وخليفته جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، على ما
ندبني له ، واجترني وغيري من أهل الذمة اليه ترغيباً منه وترهيباً ،

واحتساباً وجباً منه للناس كافة ، ولذلك صيَّرت الباب الأول من كتابي هذا في وصف ما شعرت أمتي من مكارمه وآثار نعمته ورفق سياسته ويمن دولته وكثرة فتوحه ، وما يجب على أهل الملة والذمة من حبه وطاعته وشكره . » •

ورغم أن ابن ربن أسهم في عصر المعتصم بقسط كبير من علمه ومجهوده الطبي حتى « ظهر في الحضرة فضله » إلا أنه نبغ واشتهر في ولاية المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ - ٨٦١ م) الذي كان من جملة ندمائه ، على ما في الفهرست لابن النديم ، وأنهى في عهده كتابه « فردوس الحكمة » كما ألف كتابه « الدين والدولة » •

ولكن أين ألف ابن ربن بقية كتبه وهي تزيد على العشرة وبخاصة الطبية منها ؟ هل في مدينة سر من رأى أم في مرو مسقط رأسه ؟

الأرجح أنه ألفها بعد استقراره في العراق . فهو لم يستطع اتمام كتابه فردوس الحكمة في مسقط رأسه مرو كما ذكرنا سابقاً ، ثم أتمه في سامراء في السنة الثالثة من خلافة المتوكل ، ولم يرد في الفردوس أي ذكر لمؤلفاته الأخرى سوى ما ورد عن الترجمة السريانية للفردوس نفسه (٤١) ، وحتى هذه الترجمة وضعت بعد اتمام الكتاب كما يقول المؤلف ، أي في سامراء .

ابن ربن والرازي :

يقول القفطي في ترجمته لابن ربن : « وجرى بطبرستان فتنة خرج لأجلها إلى الري فقرأ عليه محمد بن زكريا الرازي واستفاد منه علماً كثيراً » . وقال ابن أبي أصيبعة « وهو معلم الرازي صناعة الطب » . وقال ابن خلكان من خلال ترجمته لأبي بكر الرازي : وكان اشتغاله

بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن ربن الطبري « . ومثله في كثير من مصادر ترجمة الرازي .

وهذا القول الذي ذكره المؤرخون مستحيل من حيث التسلسل التاريخي . فالرازي ولد بالري سنة ٢٥١ هـ (٨٦٥ م) ، وابن ربن رحل (كما ذكرنا) عن طبرستان خلال سنة ٢٢٤ (٨٣٩ م) أو سنة ٢٢٥ هـ (٨٤٠ م) ، وإذا كان قد مر بالري وهو في طريقه الى بغداد ، يكون ذلك قبل مولد الرازي بحوالي ربع قرن .

فاذا قيل : ربما لقيه ببغداد ، قلنا : ان الرازي انتقل الى بغداد بعد سن الثلاثين ، أي نحو سنة ٢٨٢ هـ (٨٩٥ م) ولم يكن ابن ربن على قيد الحياة في هذا التاريخ ، ثم ان الرازي — كما يقول مترجموه — عكف على دراسة الطب في كبره .

تاريخ وفاته :

لسنا ندري في أي سنة مات ابن ربن ، فكتب المتقدمين لم تذكر ذلك . وفي « هدية العارفين » (٤٢) للبغدادي ، انه توفي بعد سنة ٢٦٠ هـ ، وهذا قول لا نستطيع الأخذ به او الاعتماد عليه ، فابن ربن — كما رجَّحنا سابقا — ولد في أوائل خلافة المهدي (١٥٨ — ١٦٩ هـ) فيكون عمره حين مات حسب رواية البغدادي نيف ومائة واثنتي عشرة سنة . ولو كان هذا الأمر صحيحا لذكره المؤرخون الذين اعتنوا بوفيات المعمرين من أعلام المسلمين .

ولكن من المؤكد ان ابن ربن كان حيا قبل سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) وهي السنة التي قتل فيها المتوكل باغراء ابنه المنتصر ، فهو يقول في

خاتمة كتاب « الدين والدولة » عند ذكره للمتوكل : « أطال الله بقاءه » ولو كان ألفت بعد هذه السنة ، أي بعد مقتل الخليفة ، لقال : رحمه الله • ولكن لا يظن أحد ان بقولنا هذا نجزم أن الرجل مات قبل مقتل المتوكل ، فقد يكون عاش بعده قليلا ولكنه لم ينقح كتابه •

مؤلفات ابن ربن :

ترك ابن ربن عددا من الكتب هي :

١ - فردوس الحكمة ، وهو من أقدم المؤلفات الجامعة لفنون الطب • ذكره ابن النديم وابن أبي أصيبعة والقفطي والمسعودي وابن خلكان وياقوت وغيرهم • حققه ونشره الدكتور محمد زير الصديقي سنة ١٩٢٨ •

٢ - الدين والدولة (وهو هذا الكتاب) لم يذكر في أي مصدر من مصادر ترجمته •

٣ - في الامثال والأدب على مذاهب الفرس والروم والعرب • ذكره ابن النديم في باب اسماء الكتب المؤلفة في المواعظ والآداب ، والفيروزآبادي في قاموسه •

٤ - تحفة الملوك • ذكره ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة ، والبغدادى في هدية العارفين •

٥ - منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير • ذكره ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة والبغدادى •

- ٦ - حفظ الصحة • ذكره ابن أبي أصيبعة والبغدادى •
٧ - كتاب في الحجامة • ذكره ابن أبي أصيبعة والبغدادى •
٨ - كتاب في ترتيب الأغذية • ذكره ابن أبي أصيبعة والبغدادى •
٩ - كتاب في الرقي • ذكره ابن أبي أصيبعة •
١٠ - كتاب ارفاق الحياة (وقيل عرفان الحياة) • ذكره ابن أبي أصيبعة •

١١ - كتاب الرد على اصناف النصارى • ذكره المؤلف في هذا الكتاب (الدين والدولة) •

١٢ - الترجمة السريانية لفردوس الحكمة • ذكرها المؤلف في مقدمته لكتابه فردوس الحكمة •

وذكر له ابن النديم وابن القفطي كتاب « كناش الحضرة » وليس هذا بكتاب مستقل • انما هو « فردوس الحكمة » نفسه ، فابن ربن يقول في هذا الكتاب (ص ٨) : فاسم هذا (الكناش) فردوس الحكمة ، فأما لقبه فبحر المنافع وشمس الآداب • «

كما ذكر له ابن اسفنديار كتاب « بحر الفوائد » وهذا الكتاب لم يذكر في أي مصدر من مصادر ترجمة ابن ربن ، والأرجح انه كتاب « فردوس الحكمة » الذي قال المؤلف ان لقبه « بحر المنافع » فحرف الاسم اثناء الترجمة •

عادل نويهض

بيروت في الأول من رجب سنة ١٣٩٣ هـ •
الموافق ٣٠ تموز سنة ١٩٧٣ م •

المراجع

- ١ - هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، المؤرخ المفسر الامام .
ولد في آمل سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٩ م) وتوفي ببغداد سنة ٣١٠ هـ
(٩٢٣ م) . له « جامع البيان في تفسير القرآن » ويعرف بتفسير
الطبري ، و « أخبار الرسل والملوك » ويعرف بتاريخ الطبري ،
وغير ذلك .
- ٢ - تاريخ الطبري ، طبعة ليدن (١٨٧٦ - ١٩٠١) صفحة ١٢٧٦
- ٣ - هو أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي مؤرخ ، رحالة ،
بحاث . من أهل بغداد ، أقام بمصر وتوفي فيها سنة ٣٤٦ هـ
(٩٥٧ م) . له « مروج الذهب » و « التنبيه والاشراف » وغير
ذلك .
- ٤ - مروج الذهب ، طبعة دار الأندلس - بيروت سنة ١٩٦٦
ج ٤ ص ٢٣٩
- ٥ - هو محمد بن اسحاق ، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم ، صاحب
كتاب الفهرست ، أقدم الكتب في التراجم وأفضلها . في تاريخ
وفاته خلاف ، قيل سنة ٤٣٨ هـ ، وقيل سنة ٣٨٠ هـ .
- ٦ - الفهرست ، طبعة الأسدي - طهران ١٩٧١ ص ٣٥٤

٧ - هو أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة ، طبيب ، مؤرخ ، ولد بدمشق سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) وتوفي بصرخد من بلاد حوران بسورية سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠ م) . له « عيون الأنباء في طبقات الاطباء » وغيره .

٨ - عيون الأنباء في طبقات الاطباء ، طبعة دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ ص ٤١٤

٩ - هو أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي ، مؤرخ ثقة ، من أئمة الجغرافيين ومن العلماء باللغة والأدب . توفي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) . له « معجم الأدباء » و « معجم البلدان » و « المشترك وضعاً والمفترق صقعا » وغير ذلك .

١٠ - معجم الأدباء ، طبعة مصر سنة ١٩٣٠ ج ٦ ص ٤٢٩

١١ - معجم البلدان ، طبعة وستفالد ج ٢ ص ٦٠٨ و ج ٣ ص ٥٧٠

١٢ - هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، مؤرخ حجة ، وأديب ماهر ، ولد سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) في اربل بالعراق وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) له كتاب « وفيات الأعيان » من أهم المصادر في التراجم وفي تاريخ الآداب العربية .

١٣ - وفيات الأعيان ، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد ١٩٤٨ ج ٤ ص ٢٤٥

١٤ - انظر وفيات الأعيان طبعة صادر بيروت ١٩٧١

١٥ - هو أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ، وزير مؤرخ ، من الكتاب ، ولد بقفط (بمصر) سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) وتوفي سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) . له « اخبار

العلماء بأخبار الحكماء » ، و « انباه الرواة على أنباء النحاة »
و « المحمدون من الشعراء » وغير ذلك .

١٦ - اخبار العلماء ، طبعة ليبزج سنة ١٩٠٤ ص ٢٣١

١٧ - عيون الأنباء ، ترجمة حنين بن اسحاق صفحة ٢٥٨ - ٢٥٩

١٨ - اخبار العلماء ، صفحة ١٨٧

١٩ - مقدمة ابن ربن لكتابه فردوس الحكمة صفحاه ١ طبعة برلين
سنة ١٩٢٨

٢٠ - المجلة الشرقية (Review Oriental) ١٨٤١ صفحة ٣١٠ - ٣١١

٢١ - Arab literatur d. Juden. Frankfurt 1902 p. 32, and
Steinschneider Lit. d. Juden. English tran. London 1957
p. 194.

٢٢ - دائرة المعارف للبستاني، مجلد ٣ صفحة ٨٧

٢٣ - ثيودور نولدكه من مشاهير المستشرقين الألمان ، ولد في همبورغ
سنة ١٨٣٦ وتوفي سنة ١٩٣٠ م . اشتغل خصوصا في اللغات
السريانية والعربية والفارسية . له « تاريخ القرآن » .

Deutsch. Lit. Zeitung Jan. 1924 p. 194 — ٢٤

٢٥ - غوستاف فلوغل ، مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٠٢ ودرس في
لايبسيك . له « نجوم الفرقان في أطراف القرآن » وهو فهرس
لل كلمات الواردة في القرآن الكريم مرتب على حروف المعجم ،
وغيره . توفي سنة ١٨٧٠ م .

Flügel, Z. D. M. G. vol. 13 p. 559. — ٢٦

٢٧ - هنري فيستنيلد ، مستشرق ألماني ، ولد في مenden سنة ١٨٠٨ .
نشر نحو مئتين من كتب العرب النفيسة ، منها معجم ما استعجم ،
والسيرة لابن هشام ومعجم البلدان وغيرها . توفي سنة ١٨٩٩

Westenfeld, Gesch. d. Aral. Arzte, etc. — ٢٨

٢٩ - هامر برغستال • مستشرق نمسوي • ولد سنة ١٧٧٤ م • ودرس العربية والفارسية والتركية • له « تاريخ الآداب العربية » و « تاريخ الدولة العثمانية » بالألمانية والفرنسية • توفي سنة ١٨٥٦ م •

٣٠ - Cult. Gesch. d. Orients wien, 1852. vol. 3 p. 391 and vol. 4, p. 309.

٣١ - فردوس الحكمة ص ٥١٨ - ٥١٩
٣٢ - الكامل في التاريخ لابن الأثير طبعة دار صادر بيروت ، سنة ١٩٦٥ ج ٦ ص ٧٥/٧٦ وص ١٩١/١٩٢
٣٣ - البداية والنهاية ، طبعة بيروت ، مكتبة المعارف ١٩٦٦ م • ج ١٠ ، ص : ١٤٩

٣٤ - محمد بن الحسن ابن اسفنديار : مؤرخ فارسي ، من أهل طبرستان • كان في بغداد سنة ٦٠٦ هـ (١٢١٠ م) عندما ادركه الخبر بقتل مولاه رستم بن أردشير صاحب طبرستان ، فتركها عائدا الى بلاده ، وقضى شهرين بالري يجول في مكنتاتها ويجمع مادة مصنفه ، ثم تحول الى خوارزم فأقام فيها خمسة أعوام ، اكتشف في خلالها وثائق جديدة بحانوت أحد الوراقين ، فباشر تأليف كتابه الذي ينتهي بعهد الاسرة الباوندية الثانية • وقد ترجم المستشرق براون هذا الكتاب الى الانجليزية باختصار ، وظهرت هذه الترجمة عام ١٩٠٥ في سلسلة « جب ، التذكارية » ، المجلد الثالث • كما قام عباس اقبال بنشر النص الأصلي في طهران سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٤٢ م) •

٣٥ - تاريخ طبرستان ، الترجمة الانجليزية ، صفحة ١٣٠/١٣١

٣٦ - اخبار العلماء ص ١٨٩

٣٧ - Al-Battani Part 1, p. 310, No 3

٣٨ - ذكر محمد كرد علي ان ابن ربن أخذ عن حنين بن اسحاق ، ولم يذكر المصدر الذي أخذ عنه . (كنوز الاجداد ص ٧١ وما بعدها) .

٣٩ - فردوس الحكمة ص ٥١٩

٤٠ - الفهرست ص ٣٥٤

٤١ - فردوس الحكمة ص ٨

٤٢ - هدية العارفين ج ١ ص ٦٦٩ .

علي بن ربن^(١)

(٢٤٧ -)

بقلم : محمد كرد علي

في المؤلفين من لم نعرفهم الا بصفحات قليلة أبتت عليها الأيام من ألفوف كتبوها ، ومنهم علي بن ربن - والربن والرئين والرأب أسماء لمقدمي شريعة اليهود ، ومعنى ربن المعلم العظيم - وربن اسم أبي علي كان ربن اليهود ■

ولد علي في طبرستان ■ وعرف في صباه وكهولته باتساعه في الفلسفة والطب والطبيعات ، وعنه أخذ محمد بن زكريا الرازي في الري لما خرج من طبرستان واستفاد منه علما كثيرا ■ وأخذ هو عن حنين بن اسحق لما وافى العراق ■ وتصرف لولاية طبرستان وكتب للمازيار بن

١ - هذا التعريف بابن ربن نشره الاستاذ محمد كرد علي في كتابه كنوز الأجداد ص ٤١ - ٧٣

قارن المتغلب على الجبال وغيرها . ولما وقعت الفتنة في بلاده خرج الى الري ومنها الى العراق ، وكانت سبقته اليها شهرته ، واتصل بالخليفة المعتصم وأسلم على يده فقربه فأصبح من أطباء البيت العباسي ، ثم أدخله المتوكل في جملة ندمائه .

ألف ابن ربن كثيرا في الطب والصحة ، وله كتاب « فردوس الحكمة » وهي معلمة طبّية ، بها سلكه أبو حيان التوحيدي في سلك نوابغ المؤلفين ، وضرب به المثل بالاجادة . وله غيره في الأدب ، وكان متمكنا من الآداب العربية ، وعرفناه بكتاب له صغير أسماه « الدين والدولة » أثبت فيه النبوة اثبات العسارف بالأديان الاخرى ولاسيما اليهودية والنصرانية قيل ان الخليفة المتوكل عاونه في تأليفه . وكتابه هذا دليل ناصع على اضطلاعه بالحكمة ، وأنه انتحل الاسلام عن بصيرة بعد أن نضج في العلوم وأخفى المشاكل بحثا .

وقد جود الكلام في الدين والدولة على الصحابة ، وعرض لجميل سيرتهم وعفتهم عن المال والرغبة عن الرفاهية كما جود في فضل أميّة الرسول . ومن أجمل ما فيه ونقول عن الكتاب المقدس والنبوات عليها مسحة من البلاغة أكثر من الترجمات المشهورة لعهدنا ، ولعلها منقولة من الترجمات الضائعة من التوراة والأنجيل أو أنها كانت من ترجمته هو . وكان يعرف لغات أخرى مع العربية .

وينبئك كتاب ابن ربن أنه من أعظم العلماء في الأديان ولو لم تبق عليه الأيام لنسي اسمه اللهم الا عند أفراد دأبهم البحث عن المفقود والموجود من هذا التراث العربي العظيم .

مثال من كلام ابن ربن . قال في الدلائل على تصحيح الأخبار :

رأينا أمما كثيرة العدد عظيمة القدر موصوفة بالأفهام والأحلام يشهدون
لعدة من الخبثة الكذابين بجميع ما أدلوه من الزنادقة والمجوس اما
تقليدا والفا واما غباوة ومحكا واما اجبارا أو كرها ، كما فعل زرادشت
متنبئ المجوس فانه لم يزل يتأتى ليشتاسف الملك حتى وصل اليه ،
وزرع من وساوسه في صدره ، ثم لم يزل يختله بذكر الله والدعاء اليه ،
ويقتل في الذروة والغارب حتى قتله عن دينه ولواه الى رأيه ، ثم أظهر
له ما كان يضمره من الشرك، وزين له نكاح الامهات والبنات ، وأكل
القذر المذر من النجاسات ، فكان الملك بعد ذلك هو الذي أكره أهل
مملكته على دينه . وفعل ماني شيئا بذلك ، فانه ظهر في زمان كان
الغالب فيه دينين النصرانية والمجوسية ، فاختدع النصارى بان قال لهم
انه رسول المسيح عليه السلام ، وخبب المجوس بأن وافقهم على الأصلين
فلما وجدنا من الاجماع ما هو هكذا ووجدنا منه ما هو كالا سلام علمنا
ان قبول كل اجماع فتنة ورد كل اجماع ضلالة .

ومما اثر له : الطيب الجاهل مستحث الموت . اجتنب ثلاثة وعليك
بأربعة ولا حاجة لك الى الطيب : اجتنب الغبار والدخان والنتن وعليك
بالدسم والحلوى والحمام والطيب مع الاقتصاد . ومما نقل عنه :
التكلف يورث الخسارة . شر القول ما نقض بعضه بعضا .

لا تتألف مما وصل الينا من أخبار ابن ربن فكرة تامة للحكم عليه
حكما صحيحا ، والغالب أنه كان رجلا أعظم مما صوره لنا من عرضوا
للت ترجمة له وهم مع هذا قلائل .

مؤلفات العرب ومصنفاتهم^(١)

بقلم : الدكتور سامي حداد

كانت مؤلفاتهم قيمة مرتبة مبررة احسن تبويب بعضها مجدولا والبعض الآخر مزينا بالصور والاشكال . وكان المؤلفون يذكرون المصادر التي نقلوا عنها بكل دقة وامانة . ويظهر من مؤلفاتهم انهم كانوا ذوي نظر ثاقب وبحث عميق واطلاع واسع .

وقد عبثت ايدي الزمن بأكثر هذه المؤلفات فلم يصل منها إلينا الا النذر القليل . وهذا القليل لم ينل حظه من الدرس الوافي بل لا يزال اكثره مودعا في المكاتب والمتاحف فلا يسكن تقدير قيمته قبل ان يكشف الدرس عنه الستار . وما نحن نورد فيما يلي كلمة موجزة عن بعض هؤلاء المؤلفين وشيء من مؤلفاتهم مراعين بذلك التسلسل التاريخي والموضوعات المختلفة التي ألفوا فيها ليكون البحث ذا صلة . واول موضوع نبخته هو الطب عموما ثم تنتقل الى اختصاصاته وفروعه .

واقدم الذين وصلنا شيء من مؤلفاتهم العامة في الطب هم : (٢)

١ - هذه المقالة عن ابن ربن وكتابه «فردوس الحكمة» نشرها الدكتور سامي حداد في مجلة العروة عدد تموز سنة ١٩٣٦ .

٢ - المقالة تتضمن تعريفا بفير ابن ربن ، وقد اكتفينا منها بما يهم موضوعنا .

ابو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري

وكان مولده ومنشؤه في طبرستان على زمن المعتصم بالله وأسلم على يده وادخله المتوكل بالله في جملة ندمائه فلقبه بمولى أمير المؤمنين وكان بموضع من الاداب وهو معلم الرازي وله مؤلفات عديدة في الطب وغيره منها واهمها « فردوس الحكمة » الذي فرغ من تأليفه في السنة الثالثة من خلافة المتوكل اي سنة ٢٣٥ هـ .

وقد اعتنى الدكتور محمد زبير الصديقي مدير الشعبة العربية بجامعة لكنو بنسخ « فردوس الحكمة » وتصحيحه وطبعه معتمدا على النسخ الخطية الموجودة في برلين والمتحف البريطاني ومتحف غوته ونسخة أخرى خصوصية في حوزة الدكتور كمال الدين ، وفرغ من عمله هذا سنة ١٩٢٨ م .

والكتاب يقع في سبعة أنواع مقسمة على ثلاثين مقالة تحتوي على ثلاثماية وستين بابا . جمع فيه المؤلف فنون الطب التي عرفت عند العرب ليومه آخذا عن الطب الهندي واليوناني والعربي . فمن الطب الهندي اخذ عن كتب : شركا (١) وسسروتا (٢) وندانا (٣) واشتغرادايا (٤) وعن اليونان اخذ عن : تيوفرستس (٥) وديمقراطيس (٦) ومغنس الحمصي (٧) والاسكندر الفيلسوف (٨) والاسكندر الطواف (٩) وارساجانيس (١٠) واصطفن (١١) وافلاطون وايكزومينوس (١٢) وفيثاغورس (١٣) وغيرهم وأهم من كل ذلك أخذ عن ابقراط وجالينوس كذلك اخذ عن المصادر العربية ومنها مؤلفات يوحنا بن ماسويه وحنين ابن اسحق وعلي بن عيسى وغيرهم وكان يشير دائما الى المصادر التي اخذ عنها .

Ashfangahradaia (٤)	Nidana (٢)	Susruta (٢)	Charaka (١)
Magnus of Emessa (٧)	Democritus (٦)	Theophrastos	(٥)
Alexander the Traveller (٩)	Alexander the Philosopher		(٨)
Pythagoras (١٣)	Axominos (١٢)	Stephen (١١)	Archigenes (١٠)

أما النوع الاول من الكتاب فيبحث في الهيولى والصورة والكمية والكيفية والطبائع المفردة والمركبة والاستحالة والفساد وفي كون الاشياء من الطبائع وفعل الفلك والنيرات فيها وفي كون الحيوانات البريات منها والبحريات والهوائيات وكون اعضائها .

والنوع الثاني يبحث في كون الجنين والحبل والاسقاط والولادة والنفس والعقل والحواس ومزاجات الابدان وتربية الطفل وحفظ الصحة والمزاج وتدبير الاعضاء وتدبير الفصول والاسفار والعساكر .

والنوع الثالث يبحث في علة الاغتذاء والاغذية .

والنوع الرابع يبحث في عدد الامراض العامة وانواعها واسبابها وقانون العلاج وامراض الجسم من الرأس الى القدم .

والنوع الخامس في خواص الاشياء وعدد المذاقات وعلل الالوان والجواهر المعدنية والنبت والشجر والثمر .

والنوع السادس في الحبوب والبقول والثمار واللحمان والالبان والسّمك وغيرها من المأكولات والاشربة . وفي الانسان وغيره من الحيوانات والسموم والترياقات والادوية .

والنوع السابع في البلدان والمياه والرياح وفصول السنة والافلاك والنيرات وفي آخر هذا النوع اورد من جوامع كتب الهند ما يقع في ستة وثلاثين بابا . ومن تصفح الكتاب وانعم النظر فيه وجد ان المؤلف قد تنازعه عاملان هاما طالما اثرا على المؤلفين والمصنفين في عصره . العامل الاول العلم الصحيح المرتكز على البحث والتنقيب والتجربة والعامل الاخر الانفعالات الروحية والنفسانية التي استولت على افكار الكتاب والمفكرين القدماء فبينما نراهم جادين في دحض هذه الاوهام وتكذيبها نرى من جهة اخرى ان افكارهم لا تزال تتأثر باصابة العين والظلمات التي كانت تنقصهم الجرأة الادبية على تكذيبها وانكارها وان كانوا يعتقدون قلبيا بفسادها .

الدِّينُ وَالْدَوْلَةُ

فِي إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَبْلَهُ نَسْتَعِينُ

قال علي بن ربّـن الطبري مولى أمير المؤمنين :

الحمد لله على دين الاسلام الذي من ألفه فاز ، ومن قام به اهتدى ، ومن نصره نجا ، ومن ناصبه هلك . به عرف البارى ، وعليه تحوم الامم . وإليه تشوّقت النفوس . وبه نيل الأمل عاجلاً وآجلاً ، لأنه النور المعمر والجسر المعبور إلى دار السلامة والخلود الذي لا كدر فيه ولا غرور ، فجعلنا الله تعالى من أهل السنّة وجنّبنا الباطل وما يحني على أهله ، وإن الله حميد محمود لا نهاية لملكه ولا مبدل لكلماته ، إنه المنّان الحكيم الذي أظهر الحق وأناره . وفطر العباد وأرسل رسوله وحبيبه وخليفه إلى الشاكين فيه يدعوهم إلى الفوز الدائم والنور الساطع ، حتى إذا دنت واقتربت الساعة بعث الله تعالى نبينا محمداً ﷺ إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ، فصّـدع بأمر ربه وأهاب أعداءه بترغيب وترهيب وتعليم وتقويم ، يحثّ على الملكوت ونعيمها ، ويزجر عن النار والتهاون فيها ، ويؤدي عن الله ما نزل

به جبريل الملك إليه من التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يغادر حقاً جاءت به الانبياء قبله بل يؤكده ويؤيده ويأمر بالايان بهم أجمعين ، والصلاة على الأولين منهم والآخرين .

قال الله في محكم كتابه : « قل ^(١) آمناً بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. » ^(٢) وقال : آمَنَ الرسولُ بما أنزلَ إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله ^(٣) الآية . وقال فيمن أشرك بالله جلّ وعز أو اتخذ له ولداً أو نداً : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ^(٤) لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ^(٥) » وقال : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ^(٦) » وقال : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فسأنهاري به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ^(٧) » . فإلى هذا كان دعاؤه ^(٨) وعليه أسس بنيان دعوته ، وبه افتتح شرائع دينه وشرائط حقه الذي كفرت به

(١) الصواب : قولوا

(٢) البقرة : ١٣٦

(٣) البقرة : ٢٨٥ ، وتتمة الآية : وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

(٤) الاخلاص : مكية ، وهي أربع آيات .

(٥) آل عمران : ٦٤

(٦) التوبة : ١٠٩

مشركو العرب وحملة الكتاب . فإنهم كتبوا اسمه وحرفوا رسمه الموجود في كتب أنبيائهم عليهم السلام ، مما أنا مظهره ومبيح سره وكاشف ستره حتى يراه القاري عياناً ويزداد بالاسلام قوة وسروراً ، وأسلك في ذلك سبيلاً أسدً وأجدي مما سلك غيري من مؤلفي الكتب في هذا الفن ، فإن منهم من قصر وبتر وأدغم حجته ولم يفسر ، ومنهم من احتج على أهل الكتاب بالشعر وبما لم يعرفوه من كتبهم ، ومنهم من حشى دفثي كتابه بمخاطبة المسلمين دون المشركين ثم ترجم حججه بأوعر كلام وأبعده من الإفهام . فإن أراد المخالف أن يقول انه في ذلك كحاطب ليل أو حميل سيل يتعلق بكل شوك وشجر وغث وسمين من الكلام ، وان الذي احتج به ليس ببيان بل كتمان . وليس بتبصير بل تعوير ، ولا بتسهيل بل تعوير ، كان ذلك له .

ومن ألف كتاباً في مثل هذا الفن الجليل الهادي المستنير العام المنفعة لأهل الأديان كلهم كان جديراً أن يجعله مفهوماً سهلاً وأن يخاصم [...] (٧) ويساجل خصمه ولا يعلو عليه ولا يربي . بل يفهم ولا يُبهم ويُنصف ولا يظلم . ويستعمل الرفق ويُحسن سياقه [...] (٧) بتنويره ويأتي بالبراهين والمعارضات التي إن ردها [...] (٧) خرج عن نحلته ودينه . فإنه إن فعل ذلك به ركه ورماه بسهمه واقتاده بزمامه . وقد تحرّيت ذلك بعمون الله تعالى وقرّبت المعاني ليفهمها القاري ولا يمتري ، ولم أدع لأهل الزمة حجة ولا مسألة صعبة ولا علاقة إلا حكيت ثم حللت بتوفيق الله وعونه وبركة خليفته جعفر (٨) الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله

(٧) كلمة أو كلمتان لم نستطع تبين شيء منها لأن النسخة مخرقة .

(٨) هو أبو الفضل جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد ، خليفة عباسي ، ولد ببغداد سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) وبويع بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، واغتيل في سامراء سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) . ومؤلف الكتاب كان من ندمائه .

بقائه ، وبما اهتديتُ به واستفدتُ عنهُ وسمعتُ من ألفاظه ، وإما هو مغرَمٌ كَلِيفٌ به من بثّ مثل هذا الكتاب وتخليده إعزازاً لأسباب الدين ، وإفلاجاً لحججه ، وترغيباً لمن جهل فضله فيه . وما ابتلى اللهُ الاسلام وأهله في زمانه وتجدد لهم من كراماته ، وتعرفهم من النماء والزيادة والاستعلاء برفق تدبيره . وإني وجدتُ جميعَ من خالف الاسلام إنما خالفوه لأربعِ عللٍ ، أولاً (٩) من الشكِّ في خبر النبي ﷺ ، والثانية الأتفة والعزّة ، والثالثة التقليد والألف ، والرابعة البلادة والغباوة . فلعمري لو ميزوا الخبر وعقلوه لقبلوه ولم يدفعوه . ولما طلبوا ما عند الله بمخالفة أمر الله . فالواجب علينا أن نقصد لتثبيت الخبر عندهم ، ونفي الشك عنهم . ونبيّن لهم أصول الاخبار وفروعها وعللها ومجاريها ، والوجوه التي بها يعرف حقها من باطلها ، والأسباب التي لها قبلت الامم أنبياءها وبها دانت لدعاتها . ثم نقابل أخبارنا بأخبارهم ومن نقلها إلينا بمن نقلها إليهم ، فإن كانت حجتنا وحجتهم في تصديقهم من يصدقون من أنبيائهم واحدة ، فلا حجة لهم عند الله وعند أنفسهم في تكذيبهم صاحبنا وتصديق أصحابهم ، لانه إذا احتجّ مختلفان في دعوى من الدعاوي بحجة واحدة فهما بها مشتركان سيّان ، يجب لأحدهما بها ما يجب للآخر لا محالة .

في وجوه الخبر والإجماع العامي

الأخبار كلها على ضربين ، إما حق وإما باطل . ولها ثلاثة أوقات : خبر ماضٍ ، وخبر مقيم ، وخبر مُنتظر . ومنها ما يصدق مرة ويكذب

(٩) الصواب : اولاهن .

أخرى ، وهو كقولك : جاء فلان أو شَخَصَ ، فقد يكون ذلك حقاً ويكون باطلاً . ومنها ما هو حق في كل وقت ، كان أو يكون ، ماضٍ أو مستأنف ، لأنه خبر كُلتِي دائم جلي ، وهو مثل قول القائل : دار الفلك أو هو دائرٌ غداً ، أو قوله : أشرقَتِ الشمسُ أمسِ ، وهي مشرقةٌ بعد سنةٍ . ومثل قوله : إنَّ أكثرَ ذواتِ الأرحامِ إذا وضَعْنَ أحلبنَ ، وأكثرَ ذواتِ الاجنحةِ إذا سافدنَ ^(١٠) بضنَّ ، وإذا بضنَّ فرخنَ . فهذا وما أشبهه خبرٌ حقٌّ كُله في كلِّ وقتٍ وهو الإجماع الأول الأعم .

ومن الأخبار ما هو كَذِبٌ كُله في كلِّ وقتٍ تقدَّم أو تأخر ، وهو قول القائل : هذا أنورُ من الشمس وأحلى على الشهدِ ، وهذا الفرَسُ أسرعُ من البرقِ أو أقطفُ من قُرَادٍ ، وقولُهُ : اجتمع الناسُ كلُّهم حقٌ لم يبقَ أحدٌ ، وإن فلاناً خيرُ البشرِ وأعلمهم كلِّهم ، وإن عنده عِلْقاً يساوي كلَّ شيءٍ ، وإن بلادهُ أثمرُ بلادِ الله كلها . فهذا وما أشبهه من الكلام كَذِبٌ كُلهُ لكنه مستعمل بين أكثر الناس في مجاز كلامهم غير مستنكِرٍ .

وبعد الإجماع الأول الأعم الذي ذكرت ، إجماع ثانٍ هو دون الأول في الكثرة والعموم ، مثل خبر آدم وحواء ، وأنها أبوا البشر . فإنه صحيحٌ عندنا لا شك فيه لإجماع أكثر الناس عليه وشهادات الانبياء على صحته ، وهو عند خلقٍ كثير كَذِبٌ وزورٌ مثل الهند ^(١١) والصابئة ^(١٢) أو أشباههم .

(١٠) جامع .

(١١) اقرأ عن أديان الهند كتاب « مقارنة الأديان » ج ٤ للدكتور أحمد شلبي (القاهرة - ١٩٦٦) .

(١٢) ورد ذكر الصابئة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :
الأول - في الآية ٦٢ من سورة البقرة ، قوله تعالى :



وبعد الاجماع الثاني إجماع ثالث « وهو دون الثاني في الكثرة والعموم ،
وذلك مثل خبر الروم والهند والصين فإنه وإن كان أكثر من يحيى به سوق
الناس وعوامهم فإنه حق لا يشك فيه للإجماع القائم والشواهد الموجودة
عليه .

وبعد هذا الاجماع الثالث إجماع رابع « هو دون الثالث في
الكثرة والعموم ، وهو مثل خبر ظهور الإسكندر (١٣)

→ « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون » . الثاني في الآية ٦٩ من سورة المائدة ، قوله تعالى :
« ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله
واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . »
الثالث - في الآية ١٧ من سورة الحج ، قوله عز من قائل : « ان الذين
آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء قدير . »
والصابئة قوم من أصحاب الديانات القديمة ، اختلف العلماء والمؤرخون
في حقيقة أمرهم . وللتوسع في هذا الموضوع ، اقرأ كتاب
« الصابئون في حاضرهم وماضيهم » للاستاذ عبد الرزاق الحسني
(مطبعة العرفان صيدا - لبنان ١٩٧٠) .

(١٣) هو الاسكندر الأكبر (اسكندر الثالث) (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م.) ملك
مقدونيا ، الملقب بذي القرنين . يعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات في
التاريخ . ولد في مقدونية وتوفي في بابل . تتلمذ على أرسطو . وفي
سنة ٣٣٤ ق م بدأ تنفيذ مشروع محاربة الفرس الذي ورثه عن أبيه ،
فانتصر عليهم في ايسوس (٣٣٣ ق م) ثم في سواحل فينيقية بعد أن
حاصر صور سبعة أشهر . ويمم شطر مصر فاستسلم له واليها
الفارسي ، وأسس مدينة الاسكندرية (٣٣٢ ق م) . وتبع داريوس
في العراق فانتصر عليه بالقرب من أربيل (٣٣١ ق م) ، ثم توغل في
الامبراطورية الفارسية حتى الهند حيث اجتاح البنجاب ، ورفض
←

والتبابعة (١٤) وجَمَ (١٥) الملك وأمثالهم . فإنه 'مقبول' صحيح لإجماع خلق كثير عليه . غير ان من 'يُجَمع' على خبر هذه الاقاليم أكثر ممن 'يجمع' على خبر التبابعة والاسكندر .

واجماع خامس يتوارثه 'أهله' منذ دهر طويل مثل خبر البِدَّة (١٦)

جنوده التقدم الى ما وراء ذلك فعاد أدراجه ، وبلغ بابل حوالي سنة ٣٢٣ ق.م . ، وهناك أصيب بالحمى ومات .

وفيما تشير أكثر كتب التفسير الى ان المقصود بذي القرنين الذي جاء ذكره في القرآن الكريم هو الاسكندر ، رجَّح بعض العلماء أنه عبد صالح أعطاه الله ملكا كبيرا وحكمة وهيبة ، اذ لم يكن الاسكندر هذه الشخصية التي نسب اليها القرآن التوحيد والايمان والصلاح وغير ذلك من صفات الانبياء . (انظر في ذلك كتب التفسير ومعاجم الألفاظ القرآنية) .

(١٤) دولة عربية قديمة قامت في اليمن بعد الدولة الحميرية ، امتدت الى بلاد الحجاز واليمامة وما بينهما من قبائل العرب العدنانية . كان أول ملوكها الحارث بن همال (الرائش الأصفر) ، وهو كذلك آخر ملوك سبأ الحميريين الذين غلب على دولتهم الترف فتراخت أحوالهم حتى آل الملك الى الحارث فعمل على تقوية الدولة وسميت من ثمّ دولة التبابعة . ومن أشهر ملوكهم الصعب بن الحارث الملقب بذي القرنين ، الذي يذكر مؤرخوه انه « فتح الأرض كلها » ويوردون في ذلك أخبارا كثيرة ، فيها تهاول . ويقال ان عدد ملوك هذه الدولة ٢٦ آخرهم يوسف ذو نواس الذي اعتنق اليهودية ففزا بلاده نجاشي الحبشة المسيحي واستولى عليها ، وبذلك دخلت اليمن في حكمه ومن ثم في حكم الفرس حتى دانت بالاسلام .

(١٥) جم أو جمشيد ، بطل ايران الاسطوري . ملك ألف سنة فعلم الناس الدين والأخلاق ووقاهم البرد والحر في ملاجئ تحت الأرض ، لكنه تكبر وطفى فقتله الضحاك رئيس الشياطين .

(١٦) البددة ، اسم أطلق في المؤلفات الاسلامية الخاصة بدراسة العقائد والديانات المقارنة (مثل كتاب الملل والنحل للشهرستاني) على

والزنادقة والمجوس وهو حق عندهم لا يشكّون فيه وباطل عندنا لا يُرتابُ به (١٧) ، انما ظهر بالخرقةِ والاغاليطِ ، ثم صار عندهم ديناً بالتوارث والتقليد ، ثم بالإلف والعادة . فهذا من خاصيّات الأخبار ولطيف مداخلها على الأنفس والعقول موجودٌ غيرُ مدفوع . وإن منها ما إذا سمعه السامعُ طابت به نفسه ، وطار في وجهه دمه ، وذرفت عيناهُ ضحكاً واهتزتُ استغراباً ، ومنها ما يُذْري دمع السامع ويضني جسمه ويُذْبلُ وجهه مثل أخبار الرزايا والنكباتِ ، ومنها ما إذا سمعه السامع اهتز للجود ودرّ المستحلب المستمّيع مثل مدح الأسخياء ووصف ما يعتاضون بجودهم من المذائح والجوازي في الدنيا والآخرة ، ومنها ما يُبخل السامع ويؤيسه من الخير مثل ذكر من أفقره التبذير واضطره إلى المسكنة والإستكفاف ، ومنها ما يغريه ويغضبه ويبسط يده بالضرب ولسانه بالشتم ، ومنها ما يلهب شهوته ويحرك ساكنه ويقلب غرامه مثل ذكر الغواني ونعت محاسنهن وطيب نشرهن ولين ملمسهن وحسن مبتسمهن لا سيما إذا صيغ ذلك الخبرُ بجواهر النغمات

→
البوذيين ، كما يعرفون باسم « أصحاب البددة » ويقصد « بالبد » أو « البدّة » « بوذا » مؤسس الديانة البوذية . ويعرف عند أصحابه كما جاء في المراجع الإسلامية بأنه « انسان يولد ولكنه لا يأكل ولا يشرب ولا ينجب ولا يهرم ولا يموت » ، وإن أول من ظهر في هذا العالم من البدد « بد » اسمه « شاكيموني » وشاكيموني هو اللقب الذي يطلق في الكتب المعاصرة على « جايوتا بوذا » الذي عاش إبان القرن الخامس قبل الميلاد .

كما يستخدم « البد » بمعنى الصنم دون تمييز ، ويطلق كذلك على بيت الأصنام أو معبد البوذيين ، والمعروف أن اتصال المسلمين بالبوذية بدأ منذ الفتح الإسلامي للهند . (أنظر القاموس الإسلامي ج ١ ص ٢٨٦) .

(١٧) كذا في الأصل ، ولعله لا يعتد به .

الملهية الشجيرة ، ومنها ما يحمل على تقحُّمِ الأهوال والاستقتال بعد انقراض
 المُخبِرِ الأول بألف عام بل يزيد مثل ما ذكرنا من بدَدَةِ الهند والمجوس
 وأشباههم ، فإنَّ من الهند من يُحرق نفسه بضروب من الإحراق ، ومنهم من
 يرمي بدنه لسباع الطير حتى تأكله ، ومنهم من يهيم على وجهه في الأرض
 الفلاة حتى يتلف فيها ، ومنهم من يرمي نفسه من جبل عال فيتردى على
 شجرة منصوبة من حديد ذات شعب مشحودة مؤلِّلة كالصوارم والشفار ،
 اغتراراً منهم بأخبار أدّاهما لهم قوم من الكذابين العتاة عن نفر من الخبيثة
 الداهية .

وانما ذكرت ذلك ، ليعلم من يقرأه بأن قد يجب التحرُّز والهرب منها
 إلى ملاجئ الحكمة ومحال الفكرة والاعتبار ، فإنها أضُر بالأنفس وأسرع
 فيها من السهام القاتلة والاستهيام ، ومدخلها على القلوب من بابين طال ما غرّا
 وكذبا بما يعرفهما من التخاييل والظن ، وهما حاستا السمع والبصر اللتان
 بهما تدرك سوانح الأخبار . أما البصر فربما خيّل الشيء الواحد شيئين
 ورأى المستوي كالمنوَج مثل المرادي في الأنهار ، وربما صورَّ المعدوم
 كالوجود مثل اليلمع والسرّاب . وأما السمع فربما سمعَ انسانٌ دويّاً فظنَّ
 أنه الرعد ، أو يسمع من تحلّى كلباً أو أسداً أو قُمريّاً فيرى ان ذلك
 هريراً أو هدير أو زئير .

في الدلائل علم تصحيح الاخبار

قد قدمت القول في تفصيل الاخبار وعجيب ما تورث النفس والأبدان
 من الحوادث والآثار . فأما ما أطبقت عليه الأمم في تثبيتها ورأته استقصاءً
 وتحرُّزاً فيها ، فهو انه اذا ادعى مدّعى حقّاً أو جاء بنبأ من الانبياء ، ثم

أحضر رجلين من أهل القناعة والعفو أو ثلاثة ثبت بهم الحق وزال الشك^{١٨} والشبهة عن الحاكم والمحكوم عليه . فأما خبر الانبياء فلأنه يؤدي إما الى الجنة أو الى النار . فلن نكتفي فيه بشاهدين ولا بقسامة ولا بأمة دون ان يكون معهم شهادات الحق ومقياس العبر التي أنا ذاكرها ، لأننا قد رأينا أمما كثيرة العدد ، عظيمة القدر ، موصوفة بالآفهام والأحلام ، يشهدون لعدوة من الخبث الكذابين بجميع ما ادعوه ، مثل الزنادقة والمجوس ، إما تقليداً وإلهاً كما بينا ، وإما غباوةً ومحكاً ، وأما إجباراً أو كرهاً كما فعل زرادشت^(١٨) متنبئ المجوس فانه لم يزل يتأتى لبستاشف^(١٩) الملك حتى

(١٨) يعتقد الفرس القدماء انه نبي وحكيم نزلت عليه رسالة من السماء كما نزلت على انبياء العجم قبله . أصله من آذربيجان . ولد في ميديا شمال غربي ايران . بدأ دعوته في بلخ وأقام معبداً للنار فيها واعتكف فيه ، فانتشرت دعوته منها الى فارس واصبحت دين الدولة أيام الاخمينيين الى أن قضى الاسكندر على هذه الدولة سنة ٣٣١ ق.م . ولما قامت الدولة الساسانية قضى مؤسسها أردشير الأول (نحو ٢٢٦ - ٢٤١ ق.م) على الفرثيين وحارب المذاهب الأخرى وجعل الزرادشتية دين الدولة باعتبارها جزءاً من مجد فارس القديم ومن الثقافة الاخمينية . وعندما فتح المسلمون فارس في منتصف القرن السابع الميلادي قضوا على هذه الديانة .

ونظروا الى أن زرادشت كان يمجّد العناصر والكواكب والنار ويبني معابد لها قال عنه عوام الناس انه عابد النار ، واعتبروا النار قبلته . ولزرادشت كتاب « زند » انتخب منه الموبد (صاحب معبد النار في الدين الزردشتي) احكام شريعة زرادشت المشتملة على مئة باب الموسوم بمئة كتاب ومئة صفحة .

(١٩) كذا في الأصل ، والصواب كشتاسب . ملك يقال انه حكم ١٦٠٠ سنة . اشتهر الدين الزردشتي بزمانه ودخل فيه ، وعندما قتل زرادشت ، أخذ مكانه بنشر دعوته . وهو والد اسفنديار أحد أبطال الشاهنامه .

وصل إليه وزرع من وساوسه في صدره ، ثم لم يزل يختله بذكر الله والدعاء اليه ويقتل في الذروة والغارب حتى قتله عن دينه ولوَّاه الى رأيه ، ثم أظهر له ما كان يضمرة من الشرك ، وزين له نكاح الامهات والبنات وأكل القدر المذر من النجاسات ، فكان الملك بعد ذلك هو الذي أكره مملكته على دينه .

وفعل ماني (٢٠) شبيهاً بذلك ، فانه ظهر في زمان كان الغالب فيه دينان ، النصرانية والمجوسية ، فاخذَ النصراني بأن قال لهم انه رسول المسيح عليه السلام ، وخلق المجوس بأن وافقهم على الأصلين .

فلما وجدنا من الإجماع ما هو هكذا ، ووجدنا منه ما هو كالإسلام ، علمنا ان قبول كل اجماع فتنة ، ورد كل اجماع ضلالة ، وان الإجماع وحده ليس بكاف في تثبيت النبوة دون شهادات الحق واماراته التي جمعها الله تعالى للنبي ﷺ ، فمن أراد حقائق مثل هذه الاخبار وتعديلها احتاج إلى أن يفهم الخبر الوارد عليه ، ويتدبر غرضه وعوارفه فان وجد مكذِّبه فيه ومبطله معه لم يحتج إلى برهان غيره ، وذلك كخبر مسيلمة (٢١) الكذاب ،

(٢٠) رسام إيراني ومؤسس مذهب المانوية ، ولد سنة ٢١٦ م ، وادعى النبوة سنة ٢٤٢ م ، بعد ان اطلع على الأديان الموجودة وسمى نفسه « فارقليط » الذي أخبر عنه المسيح . أجبر على الفرار تحت ضغط الحكام ، ولما عاد حكم عليه بالموت (سنة ٢٧٦ م) .

تأثرت « المانوية » بالبوذية والغنوصية تأثراً كبيراً ، واتسمت بتعاليم الزرادشتية ، متخذة النضال أساساً للصراع بين الخير والشر . كانت تعاليمها روحية بين اتباعها الذين كانوا يأملون السعادة بعد الموت . وقد انتشرت المانوية في انحاء الامبراطورية الرومانية وآسيا ، وقاومتها النصرانية بعنف ولذلك قضى عليها حوالي سنة ٥٠٠ م .

(٢١) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، متنبئ ، ولد ونشأ باليمامة . ولما ظهر الاسلام وافتتح النبي (ص) مكة ودانت له

فانه لما ادعى النبوة سئل عن النبي ﷺ فصدق به وآمن بنبوته ، وسئل النبي ﷺ عنه فكذب به . فكان في تصديق مسيلمة من يكذبه ، تكذيب منه لنفسه ودليل على مناقضته وسخفه . ولذلك قالت العلماء انه اذا انتحل النبوة منتحل مبطل لم يمهله الله حتى يجري التناقض على لسانه ليحتج به على من صدق به ، كما أجرى الله على لسان زرادشت وماني ونظرائها فانها قد ناقضا وكذبا وتذبذبا .

قال زرادشت ان هرمز (٢٢) - وهو اسم معبودهم - قديم رحيم تام العلم والقدرة ، ثم لم يلبث ان وصفه بما يوصف به المعجزة الجهال في قوله : ان الشيطان تولد عن فكرته وان الله يعجز عن إبطاله . وكذلك فعل ماني في قوله : ان الله قديم عزيز لا يشبهه شيء ، ثم قال : ان الظلمة قديمة وان

→
العرب ، جاءه وفد من بني حنيفة ، قيل : كان مسيلمة معهم الا انه تخلف مع الرجال خارج مكة ، وهو شيخ هرم ، فأسلم الوفد ، وذكروا للنبي (ص) مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم ، وقال : ليس بشركم مكانا . ولما رجعوا الى ديارهم كتب مسيلمة الى النبي (ص) : « من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك ، أما بعد فاني قد أشركت في الأمر معك ، وان لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریشا قوم يعتدون » فأجابته : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله ، الى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى . أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » . وذلك في أواخر سنة ١٠ هـ كما في سيرة ابن هشام . وأكثر مسيلمة من وضع اسجاع يضاهي بها القرآن . وتوفي النبي (ص) قبل القضاء على فتنته ، فلما انتظم الأمر لأبي بكر الصديق انتدب له خالد بن الوليد على رأس جيش قوي ، هاجم ديار بني حنيفة ، وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة ١٢ هـ - ٦٣٣ م) .

(٢٢) رب النوع لدى الزرادشتيين .

الله مقهورٌ وحزبهُ مقهورون مأسورون . ومن آمن بمن يكذب نفسه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً .

وكذلك النصارى ، فانهم لما قالوا في اول شريعة دينهم انا نؤمن بالله خالق كل ما يرى وما لا يرى ، ثم أتبعوا قولهم ذلك بأن المسيح خالق غير مخلوق فبدأ التناقض في قولهم . واذا رجعنا الى كتب دينهم وجدناها مخالفةً لاعتقادهم ، فكما تثبت ان الله هو الصانع وما سواه مصنوعٌ ، وقد بينت ذلك في الجزء الذي يتلو هذا الجزء ، وشرحت فيه ما يلزم أصناف النصارى كلهم ، واحتججت عليهم بمائة وثلاثين حجة من كتب الانبياء ، سوى الحجج البرهانية والامثال المضروبة والمقاييس الباهرة ، وتوخيتُ بذلك تبصّرهم رشدهم وتأدية ما أوجب الله على بعض الخلق لبعضهم من المحبة والشفقة . فاما ما يلزم اليهود وغيرهم فقد بينتُ في الجزء الرابع وأوجزتُ القول فيه ولم أقصر . فهذا بابٌ لطيفٌ وردٌ موجزٌ ونقضٌ يسيرٌ غير عسير ، وهو أنه اذا ورد على ذي الفهم واللبّ خبرٌ من الأخبار تدبره نعماً (٢٣) وقلبه ظهراً لبطن ، فإن وجد مبطله فيه ومكذبه معه ، أو وجدته مخالفاً لكتب ديانة القوم لم يحتج في تكذيبه وكشف عورته وعوارده الى غيره ، وكان في سرعة وجدان الحق شفاءً للقلب ، كما صنع معاوية برجل من أهل البصرة سألَه السّفيّ جذع لبناء داره . فقال له معاوية : « على كم دارك ؟ قال : « على فرسخين في فرسخين » . قال : « هي في البصرة أو البصرة فيها ؟ قال : « بل هي في البصرة » : قال معاوية : « فالبصرة كلها أقل من فرسخين » . فكان في نفس خبره ما يشهد ببطلانه . وكالرجل الذي بلغنا أنه قال وهو

(٢٣) كذا بالأصل .

بالعراق : كنا (٢٤) بقومس (٢٥) باغ (٢٦) في غربي المدينة على ثلاثمائة فرسخ . فقال المحدث : « ان كان الخبر حقاً فنحن الساعة في وسط ذلك الباغ » فليس بين قومس والعراق الا « دون ذلك » . ومثل قول الفاخر في كتابه الذي فضل فيه قحطان على عدنان « فإنه ذكر ابناً لعدي » (٢٧) بن حاتم وقال : فأين لكم مثله ؟ أمره أبوه ان يذود الناس عن وليمته فأبى الصبي وقال : « يا أبتى مُرْ بهذا غيري » . قال الفاخر : « فهذا جواد ابن جواد ابن جواد ومطبوع ابن مطبوع ابن مطبوع » . فوجدت هذا الخبر نفسه يكذب قوله ، وذلك ان أبا الصبي قد أمره أن يذود الناس عن طعامه وذلك هو الذي كرهه الصبي واستغنى منه فهو اذاً جواد ابن بخيل ، ومطبوع ابن غير مطبوع .

فهكذا فليفعل من أحب تصفية أخبار الانبياء وتمييزها . فليبحث عن شهادات الحق ومقاييس العبر التي وجدت متوافرة بمجتمعة للنبي ﷺ في عشرة معان لم يجتمع مثلها لأحد قط الا للمسيح عليه السلام . وأنا مفسر ذلك

(٢٤) لعله لنا او كان لنا .

(٢٥) قال ياقوت : « هي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان واكبر ما يكون في ولاية ملكها ، وقصبتها المشهورة دامغان ، وهي بين الري ونيسابور » .

(٢٦) كلمة فارسية معناها البستان ، الروضة ، الحديقة .

(٢٧) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشر الطائي : أمير ، صحابي ، من الأجواد العقلاء . كان رئيس طيء في الجاهلية والاسلام ، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل . أسلم سنة ٩ هـ . قام في حرب الردة بأعمال كبيرة ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي بن أبي طالب ، وفقت عينه يوم صفين . روى عنه المحدثون ٦٦ حديثاً ، عاش أكثر من مئة سنة ، ومات بالكوفة سنة ٦٨ هـ (٦٨٧ م) .

وكاشفه' للاعيان ليعلم الناظر' فيه ان من كن' تلك الخصال' معه' ووُجدن' له وجبت له النبوة' ولزمت حجة الله البالغة من كفر به .

اولها : دعاؤه ﷺ الى الفرد الدائم العلام العادل الذي لا يُغالب ولا يحار وموافقه' في ذلك جميع الانبياء .

الثاني : ما كان عليه في نسكه وعفته وصدقه ومحمود سننه وشرائعه .

الثالث : أنه' عليه السلام أظهر آيات بينات لا يأتي بها إلا' أنبياء' الله ونخباؤه .

الرابع : انه تنبأ على أشياء غائبة عنه فصحت في زمانه .

الخامس : انه تنبأ على حوادث جمّة من حوادث الدنيا ودولها صحت بعده' .

السادس : في أن الكتاب الذي جاء به آية من آيات النبوة' بالضرورة وبالحجج التي لا تُدفع .

السابع : ان غلبته الأمم آية بينة بالضرورة والحجج التي لا تُدفع .

الثامن : ان دعائه' الذين نقلوا أخباره' خيار' الناس وأبرارهم ومن لا يُظن' بأمثالهم إلا' كاذب والإفك .

التاسع : في أنه' عليه السلام خاتم الأنبياء وأنه' لو لم يُبعث' لبطلت' نبوات' الانبياء فيه وفي اسمعيل عليهما السلام .

العاشر : ان الانبياء عليهم السلام قد تنبأوا عليه قبل ظهوره بدهر طويل ووصفوا مبعثه' وبلده' ومسيره' وخضوع الأمم له والملوك لأمره .

فهذه خصال نيرة وشواهد كافية من أدلى بها ووجبت له فاز قدحه وأفلح حقه ووجب تصديقه ، ومن ردّها وجحدّها خاب سعيه وخسر دنياه وآخرته . وأنا ملخص ذلك باباً باباً ومستشهد' عليه الانبياء وغير مقتصر فيه

على نبي واحد بل على جماعة ، ولا على نبوة واحدة ، بل على ستين نبوة أو تزيد . وأقدم ما أرجو أن يجعل الله فيه تقريباً وتقريباً ومخرجاً من العمى لمن لم يكن جباراً عتياً ولا غوياً شقيماً . وهو أنا إذا سألتنا النصارى خاصة عن علة تكذيبهم بالنبي عليه السلام ، قالوا : إن ذلك لثلاث خصال .

أولاهن : أننا لم نجد أحداً من الأنبياء تنبأ عليه قبل مجيئه .

والثانية : أننا لم نجد في القرآن ذكر آية ولا نبوة لمن جاء به .

والثالثة : أن المسيح أنبأنا أنه لا نبي بعده .

فهذه أقوى ما يحتجون به عندهم . وأنا مطلق ذلك بتوفيق الله ، فإذا قررت عندهم ان الأمر على خلاف ما قالوا وأنه لا حاجة في تصديق الأنبياء إلى ما ذكروا ، لم يبق لهم عذر فيما بين الله وبينهم . وكان المتعلل بتلك الحجج المتعلقة بها على سبيل فتنة وهلاك . فجواب قولهم أنه لم يتنبأ عليه نبي . أنه إن كانت نبوة الانبياء لا تثبت ولا يجب قبولها إلا بتقدم النبوات عليها ، فإن من صدق بني من الانبياء لم تتقدمه نبوة نبي عليه فقد ضل وفتن فليخبرونا عن موسى^(٢٨) النبي نفسه ﷺ من ذا الذي كان تنبأ عليه أو على داود^(٢٩)

(٢٨) موسى بن عمران (القرن ١٣ ق م) عليه السلام من رسل الله الكرام أولي العزم . ذكر القرآن الكريم له عدة قصص منها قصته مع العبد الصالح الخضر عليه السلام ، وقصة السامري وعجله ، وقصة دخوله الأرض المقدسة ، وقصة ولادته ، وغير ذلك . ورد اسمه في ١٣٤ موضعاً من القرآن .

(٢٩) تروي سور القرآن الكريم ان داود عليه السلام كان غلاماً يرعى الغنم ، فاستعان به طالوت (شاول) ملك اسرائيل في حربه مع الفلسطينيين ، فاستطاع على حدائته ان يقتل جالوت الجبار . ولم يلبث ان فكر

أو أشعيا (٣٠) أو إرميا (٣١) وهم عندهم من أفاضل الأنبياء عليهم السلام ولا نبوة متقدمة عليهم ، فمن آمن بهم فقد خالف الحق إلى الباطل بقبوله إياهم وباء بسخط من رب العالمين . فأما جواب قولهم إنه ليس في القرآن ذكر آية للنبي ﷺ ، وإن من لم يكن في كتابه ذكر آية ونبوة لم يجب التصديق به ، فليخبرونا بالآية الموجودة لداود النبي في زبوره ، فإن لم يوجدونا ذلك فلم وبأية حجة سموه نبياً ولم يتنبأ عليه نبي قبله ، ولا وُجد في كتابه ذكر آية ؟

فقد بان مما شرحت ، أنه لا حاجة في تصحيح خبر الأنبياء إلى نبوة متقدمة عليهم ولا إلى أن يكون ذكر آياتهم وأعلام براهينهم مقيدة في كتبهم . فقد كان من الانبياء من له آية مذكورة ونبوة ناطقة في كتابه ، لكنه لم يتنبأ عليه نبي قبله كما قد بيننا آنفاً ، فلم يدفع بذلك حقه مثل موسى

→ شاول في التخلص منه بالفدر ، ولكن الله أيد داود بنصره وآتاه الملك والنبوة ، وقد اتخذ اورشليم عاصمة لملكه ، وأنزل الله عليه الزبور وهو عبارة عن مجموعة من القصائد والأناشيد تتضمن تسبيح الله تعالى وتمجيده والثناء عليه . وكان عليه السلام يلحنها ويردها بصوته الجميل ، فتأخذ بمجامع القلوب ، وكانت الجبال والطيور تردد تسابيحها التي عرفت بالمزامير . وقد علمه ربه كيف يصهر الحديد ويلينه ويصنع منه دروعا يلبسها وقت الحرب .

وداود هو الحفيد الحادي عشر لابراهيم الخليل عليه السلام ، وأبو نبي الله سليمان .

(٣٠) أحد كبار أنبياء بني اسرائيل الأربعة . قيل انه مات في عهد منسى (القرن الثامن قبل الميلاد) .

(٣١) نحو سنة ٦٥٠ - ٥٨٥ ق.م. أحد كبار أنبياء بني اسرائيل الأربعة . تنبأ مواطنيه بسقوط اورشليم ودعاهم الى الخضوع للوك بابل فاضطهدوه ، وبعد سقوط المدينة نجا من السبي وهرب الى مصر فمات فيها . ينسب اليه كتاب مراثي ارميا .

ودانيال (٣٢) وأشعيا ونظرائهم عليهم السلام . وكان منهم من جمع الله له ذلك كله مثل المسيح عليه السلام ، فإنه أظهر آيات باهرات ، وتنبأ على الغائبات المستورات ، وتظاهرت عليه نبوءات قبل ظهوره . وكان منهم من له آية وليست له نبوءة مذكورة في كتابه مثل أليدسع (٣٣) فإنه أحيا ميتين ولم يتنبأ نبوءة رأساً ، ومنهم مثل حزقيال (٣٤) النبي ويوشاع (٣٥) وذويهما ممن لم يكن له آية وكانت لهم نبوءة ، ولكن نبوءته التي تنبأ بها إنما صححت بعد دهر طويل ، فلا حجة له فيها على من شاهده ولا لمن قبله حجة في

(٣٢) نبي من أنبياء بني اسرائيل لم يرد له ذكر في القرآن . تروي التوراة قصته في السفر المعروف باسمه وينقسم الى جزئين ، الأول عن سيرة دانيال واصدقائه الثلاثة وهم حنانيا وميخائيل وعازار . والثاني عن رؤيا رآها دانيال الذي عاش بعد السبي في قصر نبوخذ نصر ملك بابل . وتتضمن سيرة دانيال نبوءاته عن سقوط دولة الميديين والفرس وتقسيم دولة اسكندر الأكبر ، ولكن التحقيقات العلمية أثبتت تناقضاً في الروايات التي يتضمنها سفر دانيال، وان كثيراً من هذه الروايات خيالية اسطورية .

(٣٣) اليسع او اليسع : أحد الأنبياء الذين جاء ذكرهم مرتين في القرآن الكريم . قال تعالى في سورة الانعام (الآية ٨٦) : « واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » وقال في سورة ص (الآية ٤٨) : « واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار » . ويرى بعض المفسرين ان اليسع هو رفيق الياس في رحلته وكان قد شفاه من مرض في صباه فأصبح تابعا له فلقيا في طريقهما العبد الصالح وهو الخضر ، وفي رواية أخرى ان اليسع هو عينه العبد الصالح الذي جاء ذكره في سورة الكهف .

(٣٤) أحد أنبياء اسرائيل الأربعة الكبار ، تنبأ بين ٥٩٣ و ٥٧١ ق.م . شجع شعبه في محنته بعد سقوط مملكة اورشليم في أيدي البابليين سنة ٥٨٦ ق.م ، أي بعد السبي .

(٣٥) هوشع : نبي من أنبياء بني اسرائيل الصفار (٧٨٠ - ٧٣٠ ق.م) بكتهم على نقضهم عهدهم مع الله .

تصديقه اياه من غير آية أظهرها لأهل زمانه . ومنهم من لم تكن له آية ولا نبوة ولا خبر مقنع في كتابه وهو معدود في زمرة الأنبياء مثل مالاخي^(٣٦) وحجي^(٣٧) وناحوم^(٣٨) . وإنما كتاب النبيّ منهم في ثلاث ورقات أو أربع فقط . ومنهم مريم النبية^(٣٩) أخت موسى ، وحنّة النبية^(٤٠) فإن هاتين خاصّةً ، ليس لهما كتاب ، ولا نبوة ، ولا آية ، ولا دلالة ، وقد عدّوهما في الانبياء ، كيف وبأيّ حجةٍ يا بني عمي سمّيت هؤلاء أنبياء ، وهذه حالهم ؟ ولم كفرهم بنبوّة النبيّ عليه السلام وله تلك الخصال المعدودة التي بعضها مُخلدة في القرآن ، وبعضها في الآثار التي تقوم مقام القرآن ، وإن فيما في القرآن منها أوكد حجة وأوضح حجة وأصدق نبوة . فكيف ومعها ما أنا موضعه من نبوءات الأنبياء البررة عليه وإشارات أكثرهم إلى نبوته وزمانه عليهم جميعاً سلام الله وبركاته . فإن

(٣٦) أحد انبياء بني اسرائيل في النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد . مهّد للإصلاح الديني الذي قام بها نحميا .

(٣٧) الصواب حجّاي . وهو من انبياء بني اسرائيل . عاش في الجلاء في العهد الفارسي ثم عاد الى اورشليم فدعا الى تجديد بناء الهيكل سنة ٥٢٠ ق.م . ونبوءة حجّاي سفر من أسفار العهد القديم .
(٣٨) من انبياء بني اسرائيل . تنبأ على خراب آشور نحو سنة ٦١٢ ق.م .

(٣٩) لا أدري فيما اذا كان المؤلف يقصد بمريم النبية أنها والدّة السيد المسيح عليه السلام ، فان صحّ ذلك ، فقد وهم بقوله إنها أخت موسى ، فموسى بن عمران عليه السلام عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومريم ابنة عمران والدّة السيد المسيح عاشت في القرن الأول الميلادي .

(٤٠) من بنات بني اسرائيل التقيات . ذكر انجيل لوقا انها كانت أرملة مسنّة وجدت في هيكل اورشليم يوم قدم يسوع المسيح الى سمعان الشيخ فأشادت بمديحه .

قلتُ إنا نافرنا النبي ﷺ وجانبناهُ لأنهُ لا نبيَّ بعد المسيح أوضحتُ لكم من كتبكم أن من نَفَثَ ذلك في أسماعكم وأجراهُ على ألسنتكم غيرُ ناصحٍ لكم بل غاشٌّ ولا موثوق به بل متهم .

فمن ذلك ما في كتاب فراكسيس وهو رسائل الحواريين في الفصل الحادي عشر انهُ قدم في تلك الأيام أنبياءُ من بيت المقدس وقام أحد منهم وكان يسمى أغابوس فتنبأ لهم وقال إنه س يكون في هذه البلاد مجاعة وقحط شديد . وقال في هذا الفصل انه كان في بَيْعَةِ أنطاكية أنبياء وعلماء منهم برنابا وشمعون ولوقيوس من مدينة قورينا ومانايل وساول . وهؤلاء الخمسة من الأنبياء بانطاكية فيما ذكر . ومن متنبئات النساء فمذكورة أيضاً . قال في الفصل التاسع عشر من هذا الكتاب أنه كان لفيلفوس المفسر أربع بنات متنبئات . وقال لوقا في كتاب فراكسيس ان الزُّمَر المتوجهين إلى أنطاكية كان نزولهم على بيت يهوذا وشيلا لأنهم كانوا أيضاً أنبياء ، فهذا باب منقطع وقول قد هذر وحجج لهم قد انخلتُ وانفسخت . ووضحَ بأن قد كان بعد المسيح قوم يسمونهم رسلاً وأنبياء مثل فولس نفسه ، وأنا مفسر تلك الحصال العشر التي فسرتها بعون الله وتوفيقه ومقدم في كل باب ما هو مخلد في القرآن توبيخاً لمن زعم أنه ليس في القرآن ذكر آية وتوخيّاً لأن يعلم الناظر في هذا الكتاب فضله ومزية قدره ، وان الذين ولدوا على الفطرة ورسخوا في الإسلام وأطنبوا في هذا الباب لم يبلغوا منه إلاّ دون ما بلغتُ . فمن اختلج في صدره شكٌ فليَقِسْ كتابي هذا وما فيه من النبوات والحجج التامات الشافيات وما تتبعتُ من قلائد القوم ومُعَايَاتِهِمْ بجميع ما ألفه المؤلفون منه منذ ظهر الإسلام إلى زماننا هذا، وذلك بتوفيق الله وعونه وبركة أمير المؤمنين أيده

الله وما يوجب الله فيه لأوليائه ومواليه . فهو الذي بعثني عليه ، مد الله في
عمره وسد دني له وعرضني لعظيم الأجر وجميل الذكر فيه . وكنت من قبل
أن أسلم غافلاً عنه هائماً لا أبصر رشداً ولا أهدى لشيء مما انكشف لي
من بعد ، والله المن والحمد ، فلقد رفع الحجب عن الأبصار وفتح الأقفال
وأخرج من ظلمات الضلال .

الباب الأول

في توحيدده عليه السلام ودعائه الى ما دعا
اليه ابراهيم^(٤١) وجميع الأنبياء عليهم السلام

فأصحُّ الشهود على ذلك القرآن ، فإنه ينطق بان دعاء
النبي عليه السلام لم يكن إلّا إلى إله ابراهيم واسماعيل^(٤٢)

(٤١) هو أبو الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام . ورد اسمه في القرآن
الكريم ٦٩ مرة ونعت بعدة صفات منها : ابراهيم الخليل ، والصديق
النبي ، والحليم والمنيب والوفى والحنيف .

(٤٢) اسماعيل هو بالعبرية « يسمع ايل » أي : يسمع الله، أو سميع الله .
وهو الابن الأكبر لنبي الله ابراهيم الخليل من هاجر جارية زوجته
سارة . ولم تفصل قصة ولادة اسماعيل في القرآن الكريم وانما
ذكرت في التوراة (سفر التكوين) ذلك أن سارة ضاقت ذرعا بابن
جاريته فحملته وهاجرت به الى واد مقفر غير ذي زرع حيث مكة
اليوم . وكان أبوه يتردد على زيارته من وقت لآخر ، وفي احدى هذه
الزيارات أمر الله ابراهيم ببناء الكعبة ، واقامة أول بيت مقدس
←

واسحق^(٤٣) ويعقوب^(٤٤) وإلى التوحيد وإلى مادعت إليه الأنبياء البررة ودلت عليه العقول الصحيحة ، فمن ذلك قول الله تعالى في القرآن : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ »^(٤٥) وقال : « شَهِدَ

لِلنَّاسِ ، فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ، وَوَضَعَ فِيهِ الْحِجْرَ الْأَسْوَدَ ، وَأَصْبَحَ الْبَيْتُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا . وَقَدْ جَاءَ ذَكَرُ ذَلِكَ فِي سُورٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، كَمَا جَاءَ فِيهِ قِصَّةُ ذَبْحِ إِبْرَاهِيمَ لَوْلَدِهِ وَهَمَّتْهُ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ نُودِيَ بِالْكَفِّ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ فَدَى بِكَبْشٍ يَذْبَحُ عَنْهُ . وَيَعْتَبَرُ الْيَهُودُ أَنَّ إِسْحَاقَ هُوَ بَاطِلُ قِصَّةِ الْفِدَاءِ ، حَرَصًا مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَبُوهُمْ هُوَ الذَّبِيحُ الَّذِي جَادَ بِنَفْسِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ . وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ وَرَدَ اسْمُ إِسْمَاعِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي ١٢ مَوْضِعًا أَكْثَرَهَا مَعْطُوفٌ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

(٤٣) الابن الثاني لنبي الله وخليفه ابراهيم من زوجته سارة. وقد ولد لآبيه وهو شيخ في المائة من عمره ، وأمه سارة وكانت في التسعين من عمرها . وقد أشار القرآن الكريم الى أن الملائكة بشرت ابراهيم باسحاق وان سارة ضحكت من هذه البشرى عجباً . وقد جاء ذكر اسحاق في القرآن في ١٧ موضعاً ، قال تعالى : « الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق » و« بشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » . ويقول اليهود والنصارى ان اسحاق هو الذي همّ أبوه بذبحه امتثالاً لأمر ربه ، وهو ما يناقض رواية القرآن الكريم ، التي تقول ان اسماعيل هو الذبيح الذي همّ أبوه به ثم افتداه بكبش . وقد مات اسحاق عن مائة وثمانين من عمره ، وقد عمي في أواخر أيامه ، ودفن مع والده ابراهيم بمدينة الخليل (بفلسطين) كما هو الشائع .

(٤٤) نبي الله ، وهو ابن اسحاق عليه السلام . ورد ذكره في القرآن الكريم في ١٦ موضعاً . رزق اثنا عشر ولداً أشهرهم يوسف عليه السلام . (٤٥) السورة الثانية عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم ، عدة آياتها أربع ، مكية . نزلت بعد سورة الناس ، وتسبق في ترتيب المصحف سورة الفلق . والاخلاص لغة ، الصفاء .

الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وآلوا^(٤٦) العلم قائماً بالقسط .
لا إله إلا هو العزيز الحكيم^(٤٧) . وقال : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ
تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(٤٨) . وقال « كيف
تكفرون بالله وكنتنم أمواتاً فأحياناكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه
نُرجعون »^(٤٩) . وقال في فضل الله ورحمته وعدله : « مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ
وَمِنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ »^(٥٠) . وقال : « وَمَنْ يَقْتَرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ »^(٥١) . وقال : « فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »^(٥٢) . وقال :
« مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ »^(٥٣) .
وقال : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
اكَتَسَبَتْ »^(٥٤) . وقال يعدد فضل الله ورأفته بعباده : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا »^(٥٥) .
وقال : « وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »^(٥٦) . وقال :
« فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ »^(٥٧) .
وقال : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ »^(٥٨) . وقال : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »^(٥٩) . وقال : « فكيف إذا
جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ »^(٦٠) .

فهذا هو إيمان آدم ونوح وإبراهيم وجميع الأنبياء والأصفياء صلوات الله
عليهم لا يشكون فيه ولا يمترون .

(٤٦) كذا بالأصل ، والصواب : وآلوا .

(٤٧) آل عمران ، الآية ١٨

(٤٨) آل عمران : ٢٦ (٤٩) البقرة : ٢٨ (٥٠) فصلت : ٤٦ (٥١) الشورى : ٢٣

(٥٢) الزلزال : ٧ - ٨ (٥٣) النساء : ٧٩ (٥٤) البقرة : ٢٨٦ (٥٥) النساء : ٤٠

(٥٦) النحل : ١١٨ (٥٧) الصف : ٥ (٥٨) المنافقون : ٣ (٥٩) الانعام : ١٦٠

(٦٠) آل عمران : ٢٥

الباب الثاني

في فضائل سننه وشرائعه

فأما أموره وشرائع دينه ، فحبُّ الله تعالى ، وحبُّ الوالدين ، وصلةُ
الرحيم ، والجودُ بالمصنُونِ ، والبذلُ للماعون ، والزهد في الدنيا ، والصوم
والصلاة والصدقة والزكاة ، والعفو عن المذنب ، والوفاء بالعهد ، ومجانبة
الغدر والكذب ، ودفع السيئة بالتي هي أحسن ، وتحريم السُّكْرِ والفجور
والزَّنا والرِّبَا ، والأمرُ بإفشاء السلم والمقام ، وضرب هام الكفرة الطغام ،
وغير ذلك من الأمور التي لا تقويم دين ولا دنيا إلا به . من ذلك قول الله
عز وجل : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٦١) . وقوله : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (٦٢) . وقال : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ . وَإِن يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ،
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (٦٣) . وقال : « وَلَا تُصَاعِرْ » (٦٤) خذك للناس
ولا تمس في الأرض مَرَحًا . إن الله لا يحبُّ كلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . واقصِدْ

(٦١) آل عمران : ١٣٤ (٦٢) البقرة : ٢٧٤ (٦٣) كذا بالأصل ، والصواب :
سميع عليم . (الاعراف : ١٩٩ - ٢٠٠) (٦٤) كذا بالأصل ، والصواب :
←

في مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (٦٥) . وَقَالَ : « لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْثَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ » (٦٦) . وَقَالَ : « قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ » (٦٧) . وَقَالَ : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » (٦٨) . وَقَالَ : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ (٦٩) وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (٧٠) . وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ (٧١) وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (٧٢) . وَقَالَ : « وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ » (٧٣) .

فَمَا تَرَكَ أَمْرًا مَقْوِيًّا مُصْلِحًا لِعِبَادِهِ وَمَوْعِظَةً جَامِعَةً لِمَرْضَاتِهِ إِلَّا وَقَدْ نَطَقَ بِهِ . وَمِنْ فَضِيلَةِ دَعْوَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ عَمَّ النَّاسَ كُلَّهُم بِالْإِعْلَانِ وَلَمْ يَدْعُهُمُ النَّقْرَى (٧٤) وَلَا خَصَّ بِهَا طَائِفَةً دُونَ أُخْرَى كَمَا فَعَلَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ

تَصَغَّرَ (٦٥) لِقَمَانِ : ١٨ - ١٩

(٦٦) البقرة : ٢٢٥ (٦٧) يونس : ٤٩ (٦٨) البقرة : ١٨٥ (٦٩) قنت قنوتا : أطاع الله وخضع له وأقرَّ بالعبودية . ويقال : قنت الله : لزم طاعته (متعد ولازم) فهو قانت ، وقنت وأقنت : أطال القيام في الصلاة والدعاء . (٧٠) الأحزاب : ٣٥ (٧١) فحش الرجل : أتى بالقبيح الشنيع من قول أو فعل . والفاحشة : ما يشتد قبحه من الذنوب . والفحشاء : أقبح أنواع المعاصي ، كالزنا والقتل (٧٢) النحل : ٩٠ (٧٣) القلم : ١٠ - ١٣ والحلاف : كثير الحلف ، والمهين : المذل ، والهَمَّاز : العياب في الغيب . والمشاء : النمام النقال للحديث على وجه الفساد . والنميم مصدر بمعنى السعاية والافساد بين الناس . والعتل : الجاف غليظ الطبع . والزنيم : اللئيم الذي يعرف بعلامات مميزة من الشر والفجور ، أو هو الدعي المتعلق بغير أهله (٧٤) أي دعوة خاصة .

ما خلا المسيح عليه السلام ، فإنه عمٌ بالدعوة ووعد بالغفران والجنة ، فأما
الباقيون فانهم كانوا يخبطون من حولهم بالسيف خبطاً وينتسفون أموالهم
انتسافاً من غير دعاء ولا إبقاء ولا إعدار ولا إنذار ، كما أمر النبي ﷺ .

فأما زهد النبي ﷺ وتورُّعه واستخفافه بزخارف الدنيا وغرورها، فإني
ذاكرٌ منه ما يستدلُّ به على أن كان في مثل تألُّسه وعفاه لم يظن به
الاختراع والبطل .

فانه روي عنه عليه السلام انه لم يشبع قط من خبز ولا لحم إلا على
ضيق وشدة (٧٥) . وانه ﷺ زوج ابنته فاطمة من علي رضوان الله عليها
فكان ما جهزها به سريرٌ مزملٌ بشريطٍ ووسادةٌ من آدمٍ حشوها ليفٌ
وقدر وقربة وسلة فيها شيء من زبيب ومن تمرٍ . وان عائشة رضي الله عنها
كانت تقول : إن كنا لنمكثُ اربعين يوماً مالنا مصباحٌ . قيل لها ففيا
كنتم تعيشون ؟ قالت بالأسودين الماء والتمر (٧٦) . وان فاطمة عليها السلام

(٧٥) أنظر جامع الترمذي ، باب الزهد .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « لقد مات رسول الله (صلعم) وما
شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين » (صحيح مسلم، م ٢١٩/٨)
وعن سماك بن حرب قال : « سمعت النعمان بن بشير يخطب قال :
ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : لقد رأيت رسول الله
(صلعم) يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً (تمر رديء) يملأ به بطنه » .
(صحيح مسلم م ٢٢٠/٨) .

(٧٦) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول : والله يا ابن أختي!
ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ،
وما أوقد في أبيات رسول الله (صلعم) نار ، قال : قلت : يا خالة
فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء . الا أنه قد كان
لرسول الله (صلعم) جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا
يرسلون الى رسول الله (صلعم) من البانها فيسقيناه .
(صحيح مسلم م ٢١٩/٨) .

كانت تطحن الطحين بنفسها حتى غَدَّتْ يداها ورُئي أثرُ قطب الرّحى في يديها ، وانها شكت ذلك إلى النبي ﷺ وسألتهُ خادماً يخندُها فقال لها إي بُنَيَّة ما عندي ما يَسَعُ نساء المسلمين كلهن وأنتِ امرأةٌ منهن ، فاكثرِي ذكرَ الله وشكره . وكان عليه السلام كثيراً ما يشدُّ الحجرَ بِلَتَبٍ على بطنه جوعاً ، ويأكل إذا أكل على الأرض ، ويتوسدُ يده إذا نام . ويلبس العباءَ ويقول : انا عبدٌ آكلُ وأنامُ مثل العبد . ، وأنه كان ﷺ إذا صلى سُمِعَ له أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَل من البكاء . والازيزُ غليظانُ الجوف كأنه صريرُ المِرْجَل .

ومما رُوي عنه عليه السلام من مكارم الأخلاق ومَعالي الأمور ، ان جبريل عليه السلام (٧٧) أتاه فقال له : يا محمد جئتُك بمكارم أخلاق الدنيا

(٧٧) اقرب ملائكة الله المقربين لديه ، وأحد الملائكة الاربعة الذين يعرفون بحملة العرش وهم : اسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل ، وقد جاء ذكر جبريل في القرآن الكريم بالنص وبالإشارة ، قال تعالى : « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله (البقرة، ٩٧) وقال : « من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين (البقرة ٩٨) وقال ، « وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير » (التحريم، ٤) . ولجبريل أسماء ونعوت منها : جبريل الأمين ، وأمين الوحي ، وخازن القدس ، والروح الأمين ، والناموس الاكبر ، وطاووس الملائكة . وقد أشير اليه في القرآن ببعض هذه النعوت ، قال تعالى : « قل نزل به روح القدس من ربك بالحق (النحل ١٠٢) . وجبريل كما جاء في كتب التفسير هو الموكل بتبليغ الوحي والرسالة ، وهو الذي تشير اليه سورة العلق حين نزل على الرسول (صلعم) الوحي لأول مرة وهو متعبداً في غار حراء وسمع صوتاً يقول : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » فكانت هذه أول آية نزلت من كتاب الله العزيز . كما تشير قصة مريم الى أن جبريل هو الذي نفخ في حضنها فحملت وهو الذي بشرها بأن الله وهبها غلاماً زكياً دون أن يمسهها بشر .

والآخرة وهي ان تصل من قَطَعَكَ ، وتُعْطِيَ من حَرَمَكَ ، وتَعْفُو عَنْ ظَلَمَكَ . وقال : « عُدُّوا المرضى ، وأطعموا الجياع » وفكُّوا العُناة^(٧٨) يعني الأسرى . ومنه نَهْيُهُ ﷺ عن قَيْلٍ وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . وقال عليه السلام وهو يأمر بالقصد والقنوع « ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها^(٧٩) . وقال « ان عائداً المريض على مخاريف الجنة^(٨٠) والمخارف جني النخل . وقال عليه السلام « ما أنا من ددٍ ولا الددُ مني » يعني اللهو واللعب . وقال تزهيداً في الدنيا « من جمع الأموال فانه يبيح يوم القيامة وفوق عينيه شُجاعٌ أقرعٌ له نكبتان سوداوان » وقال عليه السلام : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ^(٨١) . وقال : « قمتُ على باب الجنة فاذا عامَّةٌ من يدخلها الفقراءُ

(٧٨) أخرجه البخاري والدارمي وأحمد بن حنبل .

(٧٩) في « فيض القدير » (٤٥/٢) : حتى تستكمل أجلها ، وبعدها « وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق ان يطلبه بمعصية الله ، فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته » . رواه أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي أمامة الباهلي ، ورواه عنه أيضا الطبراني ، ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم عن ابن مسعود ، ورواه البيهقي في المدخل وقال : منقطع . وفي فيض القدير انه حديث ضعيف .

(٨٠) في صحيح مسلم «عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع» .

(٨١) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله (صلعم) النار، فأعرض وأشاح ، ثم قال : « اتقوا النار » ، ثم أعرض وأشاح ، حتى ظننا أنه كاتما ينظر اليها ، ثم قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » . رواه مسلم في صحيحه .

وإذا أصحاب الجُدِّ محبوسون « (٨٢) والجُدُّ الحظُّ في الدنيا .

وكان يقول عليه السلام : « رحم الله عبداً سكتَ فسلم أو تكلمَ فقم » .
ويُروى عنه عليه السلام أنه لم يغصب قط ، ولم يسأل أحداً شيئاً إلاّ
لسبيل الله ، ولم يسأله أحداً قط شيئاً إلاّ أعطاه وابتغى به وجه الله .
فأما ما سنّ وفرض الله تعالى على أمته من الصلوات والطهارة والتهنؤ لها
والتقدم فيها من الاستنجاء والاستيماء والتتمضمض والإسباغ الذي معناه
الإنقاء والإبتدار إلى الجماعات وحُسن الخشوع والصمت ولزوم الصفوف
والسكنت وتجديد السجود والركوع وما يُقال في كل ركعة وسجدة
حتى يستوي في علم ذلك كل صغير وكبير عبد أو أمة ، فإن ذلك على
ما يحب للخالق في جلاله وكبريائه إذا ما قام العبد بين يديه والتّمسّ
ما لدينه .

ولقد روي عنه عليه السلام أنه قال لِمَنْ حضره يوماً وقد استراث
الوحي : « وكيف لا يحتبس الوحي وانتم لا تعلّمون أظناركم ولا تقصّون
شواربكم ولا تنقّون برأجيمكم » . وكان يقول عليه السلام ، إن الصلاة
لا يصلح فيها شيء من كلام البشر ، إنما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن ،
وذلك خلاف فعل من يدخل فيها وهو سهك أو جنب ، ومن يقطع صلواته
بالأحاديث واللعب والتبزق والترداد . وروى عن النبي ﷺ أنه قال عن
الله عز وجل : « أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بكنه ما أطلعهم عليه » ، يعني فكيف . ومن رخص
دينه وتيسيره ما أمر الله به على لسانه في السجور ، وتقصير الصلاة لِمَنْ

(٨٢) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (صلعم) :
« قمت على باب الجنة فإذا عامّة من دخلها المساكين ، وإذا أصحاب
الجدِّ محبوسون ، إلا أصحاب النار » فقد أمر بهم إلى النار ، وقمت
على باب النار فإذا عامّة من دخلها النساء » رواه مسلم .

كان مريضاً أو على سفر ، وقوله ان « أيام التشريق أيام أكل وشرب وبعال » (٨٣) .

ومما بُعِثَ به فضيلة دينه وحسنُ مَخارجِ أمور القرآن اننا نجد التوراة التي في أيدي أهل الكتاب تقول ان كلَّ قاتلٍ يُقتل . وقد كان موسى عليه السلام نفسه وداودُ وغيرُهما من الأنبياء قد قتلوا ، وقتل ملوك بني اسرائيل خلقاً كثيراً فلم يستحقوا بذلك القتل . فاما القرآن فانه يُحدِّد ذلك ويحظره فيقول : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا » (٨٤) . ورؤي عنه عليه السلام انه قال : مَنْ قَتَلَ نَفْساً مُعَاهِدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا لَمْ يُرَخَّ رَائِحَةُ الْجَنَّةِ (٨٥) أي لم يجد ريحها . فهذا أمرٌ مزمومٌ مخطومٌ مقومٌ مُهذَّبٌ . وقال موسى وعيسى عليهما السلام كلُّ دعوى فانها تثبت بشاهدين أو ثلاثة وذلك في قول النصارى واليهود . وقد يجوز ان يكون الشاهدان فاجرَيْن كاذِبَيْن . وقال الله على لسان النبي ﷺ « وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ » (٨٦) فحدِّد ذلك ونوِّره بقولٍ وجيزٍ حريزٍ غير مُهْمِلٍ ولا مغموز . وأمر موسى عليه السلام بني اسرائيل ان يلعنوا كلَّ من أخلَّ وقصَّر في شيءٍ من نواميس التوراة وشرائعها لعناً مُصَرِّحاً على لسان الأمة . وقد يكون ان يُفِرط الرجل في بعضها أو يهفو أو يزل فيها ثم يندم وينيب فلا يستحق اللعنة . فاما القرآن فانه يقول :

(٨٣) عن نبیثة الهذلي قال : قال رسول الله (صلعم) : « أيام التشريق أيام أكل وشرب (وفي رواية) وذكر لله » (صحيح مسلم ٣/١٥٣) .

(٨٤) النساء : ٩٣

(٨٥) عن ابن عمرو قال : قال رسول الله (صلعم) : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

(٨٦) الطلاق : ٢

■ والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرةٌ من ربهم وجنّاتٌ تجري من تحتها
الأنهارُ خالدين فيها ونعيمٌ أجرُ العاملين ^(٨٧) . فهذه أنباءٌ وأمورٌ تدلّ على
أن من أداها مسدّدٌ معصوم خائف خاشع ليس بمُنْتَحِلٍ مُسْتَحِلٍّ ولا
مُسْتَخِفٍّ بالأمر هازل .

(٨٧) آل عمران : ١٣٥ - ١٣٦

الباب الثالث

في آيات النبي صلى الله عليه وسلم التي رددتها وجمعتها أهل الكتاب

وأنا ذاكرٌ من آياته عليه السلام ما فيه بُرهانٌ لقوم ينصفون ■ وأبدأ في هذا الباب بما في القرآن منه لئلا يقول المخالف إنه لو كان للنبي ﷺ آيةٌ لذكرت فيه كما ذكر في التوراة والإنجيل آياتُ موسى وعيسى عليهما السلام . فمن آياته التي ظهرت في أيامه عليه السلام وشهد به القرآن انه أُسْرِيَ به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو قولُ الله عز وجل : «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا » (٨٨) وقد كانت العربُ أنكرت ذلك أننى وكيف قطع مسافة شهرين ذاهباً وجائياً في ليلة واحدة فأناهُ أبو بكر رضوان الله عليه وسأله عن ذلك ■ فقال عليه السلام : ■ نعم ولقد مررتُ بعيرِ بني فلان وهم بوادي كذا وقد ندَّ لهم بعيرٌ كَفَدَ لَلتَّهم

(٨٨) الاسراء : ١

عليه ، ومررت بغير بني فلان وهم نيامٌ فشربت من إناءٍ لهم وابن عيهم
الآن تردُّ يقدّمها جملٌ أورق عليه غرارَتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء .
فابتدرَ القومُ الثنيةَ فاذا البعيرُ قد اقبلتُ والجملُ الأورقُ يقدّمها . فلم
يحدوا لآيته مدفعاً . وهي لعمرى آية صريحة كافية موجودة في القرآن تجمع
عليها اهلُ الاسلام طراً (٨٩) .

ومن آياته التي ذكرها الله في كتابه انه لما آذاه المشركون واستهزأوا به
قال له : « فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك
المستهزئين » (٩٠) . فهذا في القرآن ايضاً لا يختلف فيه اثنان ولا في تفسيره .

(٨٩) حديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون
(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون) . ومن أراد التوسع حول هذا الموضوع فليراجع الاحاديث
الواردة في سورة الاسراء في تفسير ابن كثير وغيره من أمهات كتب
التفسير .

(٩٠) الحجر : ٩٤ - ٩٥ . وفي « عيون الأثر » لابن سيد الناس : « وكان
المستهزئون الذين قال الله فيهم « اتا كفيناك المستهزئين » عمه أبا
لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاصي ، والأسود بن
المطلب بن أسد أبا زمعة ، والأسود بن عبد يغوث والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة والحارث بن الفيتلة السهمي . فكان جبريل مع
رسول الله (صلعم) فمر بهما من المستهزئين الوليد بن المغيرة والأسود
بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحارث بن الفيتلة والعاص بن
وائل واحداً بعد واحد فشكاهم رسول الله (صلعم) الى جبريل فقال:
كفيتكهم . فهلكوا بضروب من البلاء والعمى قبل الهجرة » . وقال
محمد بن اسحاق : « كان عظماء المستهزئين خمسة نفر ، وكانوا ذوي
أسنان وشرف في قومهم » وقال : ان جبريل أتى رسول الله (صلعم)
وهو يطوف بالبيت ، فقام وقام رسول الله (صلعم) الى جنبه ، فمر
به الأسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه، فاستسقى بطنه فمات منه،

وهو ان خمسة نفر من رؤساء المشركين كانوا يستهزءون به ويؤذونه ، فنزل عليه جبريل عليه السلام وقال له : إذا طافوا بالبيت فسل الله فيهم ما أحببت فاني فاعله بهم ومنزله عليهم . فمر به احدُهم وهو لهب (٩١) بن أبي لهب في الطواف ، فقال النبي ﷺ أكلك كلبُ الله فأكله الأسد (٩٢) . ثم مر به الوليد بن المغيرة (٩٣) فأومأ النبي ﷺ إلى جرحه كان في باطن رجله

→

ومر به الوليد بن المغيرة ، فأشار الى اثر جرح بأسفل كعب رجله ، وكان أصابه قبل ذلك بسنين ، فانتقض به فقتله ، ومر به العاص بن وائل ، فأشار الى أخمص قدمه ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ، ومر به الحارث بن الطلائة فأشار الى رأسه فامتخط قيحا فقتلته .

(٩١) كذا في الأصل . ولعل الصواب : أبو لهب ، كما في أكثر كتب السيرة النبوية والتاريخ . وهو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم . لقب بأبي لهب لأنه كان أحمر الوجه مشرقا . وهو عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واحد الاشراف الشجعان في الجاهلية ، ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الاسلام ، وفيه الآية : « تبَّت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب » قال ابن الأثير : « مات بمكة (سنة ٢ هـ) عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعدسة » . (٩٢) لم تذكر هذه القصة في أكثر كتب السير والتاريخ التي أوردت خبر المستهزئين .

(٩٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم : من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها . وهو والد سيف الله خالد بن الوليد . كان ممن حرّم الخمر في الجاهلية ، وأدرك الاسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته . قال ابن الأثير : « وهو الذي جمع قريشا وقال : « ان الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه ، فيقول هذا : ساحر ، ويقول هذا : كاهن ، ويقول هذا : شاعر ، ويقول هذا : مجنون ، وليس يشبه واحدا مما يقولون ، ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر لانه

←

فانتقضَ عليه وقتله . ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث ^(٩٤) فأوماً إلى بطنه فسقي ومات . ثم مرَّ به الأسود بن المُطَلِّب ^(٩٥) فرمى في وجهه ورقة وقال اللهم اغم بصَّره وأثكله ولده ، فابتلي بذلك كله . ومرَّ به العاص بن وائل ^(٩٦) فأشار إلى أخمص رجله فدخلت في أخمصه شوكة فقتلته . ومرَّ

يفرق بين المرء وأخيه وزوجته » . وقال : « ومات بعد الهجرة بثلاثة أشهر ، وكان مرَّ برجل من خزاعة يريش نبلا له فوطىء على سهم منها فخدشه ، ثم أوما جبرائيل الى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه ، وهو ابن خمس وتسعين سنة ، ودفن بالحجون » .

(٩٤) هو الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . قال ابن الأثير : « وهو ابن خال النبي (صلعم) وكان من المستهزئين ، وكان اذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه : هؤلاء ملوك الارض الذين يرثون ملك كسرى . وكان يقول للنبي (صلعم) : اما كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟ وما أشبه ذلك . فخرج من أهله فأصابه السموم فأسودَّ وجهه ، فلما عاد اليهم لم يعرفوه وأغلَقوا الباب دونه ، فرجع متحيراً حتى مات عطشاً . وقيل : ان جبرائيل أوماً الى السماء فأصابته الأكلة فامتلاً قيحا فمات » .

(٩٥) هو الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي . قال ابن الأثير : « كان من المستهزئين ، ويكنى أبا زمعة ، وكان أصحابه يتغامزون بالنبي (صلعم) ، وأصحابه ويقولون : قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ، ويصفرون به ويصفقون ، فدعا عليه رسول الله (صلعم) ان يعمى ويشكل ولده ، فجلس في ظل شجرة فجعل جبرائيل يضرب وجهه وعينه بورقة من ورقها وبشوكها حتى عمى ، وقيل : أوماً الى عينيه فعمى فشغله عن رسول الله (صلعم) ، وقتل ابنه معه ببدر كافراً الخ » .

(٩٦) هو العاص بن وائل السهمي ، والد عمرو بن العاص . قال ابن الأثير : « كان من المستهزئين . وهو القائل لما مات القاسم ابن النبي (صلعم) : أن محمداً أبتراً لا يعيش له ولد ذكر ، فانزل « ان شئتُك هو الأبتَر » .

به الحارث ابن الطلائطلة^(٩٧) فأومأ إليه فتتفقا قيعاً وهلك . وكفي النبي ﷺ أمر المستهزئين ، وكانوا أجيلة القوم وأعلامهم .

وَرَوَى عَنْ آمَنَةَ^(٩٨) أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ حِينَ وَقَعَ مِنَ الْبَطْنِ خَرَجَ مَعَهُ نَوْراً وَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ وَهُوَ رَافِعٌ وَجْهَهُ وَبَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ^(٩٩) .

فركب حماراً له فلما كان بشعب من شعاب مكة ربض به حماره فلدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ، فمات منها بعد هجرة النبي (صلعم) ، ثاني شهر دخل المدينة وهو ابن خمس وثمانين سنة . « وقال ابن حبيب : « فخرج على حمار له ، وهو يريد الطائف ، فربض به حماره على شبرقة ، فدخلت في أخمصه منها شوكة ، فقتلته » .

(٩٧) هو الحارث بن الطلائطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد بن عمرو بن ملكان ، ذكره ابن اسحاق (راجع الحاشية رقم ٩٠ ص ٦٦) . وهو في الكامل لابن الأثير « مالك بن الطلائطلة بن عمرو بن غبشان » قال : وهو من المستهزئين ، وكان سفيهاً ، فدعا عليه رسول الله (صلعم) فأشار جبرائيل إلى رأسه فامتلاً قيعاً فمات . وهو في « المحبر » لابن حبيب « الحارث بن قيس بن عدي الكعبي » قال : « وهو صاحب الأوثان ، وكان إذا مر بحجر أحسن من الذي عنده أخذه وألقى الذي عنده ، وفيه نزلت « أفرايت من اتخذ إلهه هواه » (الجاثية : ٢٣) . وقال ابن حبيب أيضاً في كتابه « المتفق » : « وأما الحارث بن قيس فانه أكل حوتا مالحا فأخذه العطش ، فلم يزل يشرب الماء حتى انقده ، فمات وهو يقول : قتلني رب محمد » وقال ابن سعد : « الحارث بن قيس بن عدي ، وهو ابن الفيظلة والفيظلة أمه » .

(٩٨) هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف كانت أفضل امرأة في قريش نسبا ومكانة . امتازت بالذكاء وحسن البيان . توفيت بموضع يقال له الأبواء بين مكة والمدينة (سنة ٤٥ ق.هـ) .

(٩٩) إفاضة كتب السيرة في وصف ولادة الرسول العربي الكريم (صلعم) ، فليراجع ما ذكره المؤلف في سيرة ابن هشام وغيرها .

ومن آياته التي بهرت وبانت لجميع من شاهده يوم بدر^(١٠٠) انه حشاً
في وجوه المشركين التراب وقال : « شأنت الوجوه »^(١٠١) أي قبضت ،
فانهزموا وقُتِلُوا .

وروي عن أنس بن مالك^(١٠٢) رضي الله عنه ، انه سمع نداء رجل
وهو يقول : « يا رسول الله تهدمت البيوت من شدة المطر » ، فقال عليه
السلام « حوالينا ولا علينا^(١٠٣) » قال أنس : « فبصرت بعيني السحابة
انجابت عن المدينة » ، وأنه قال ﷺ لمن حضره من المشركين : « من لفظ

(١٠٠) الصواب يوم حنين ، انظر الحاشية التالية .

(١٠١) عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : « غزونا مع رسول الله
(صلعم) حنيناً ، فلما واجهنا العدو ، تقدمت فأعلو ثنية ، فاستقبلني
رجل من العدو فأرميه بسهم ، فتواري عني ، فما دريت ما صنع ،
ونظرت الى القوم ، فاذا هم قد طلوعوا من ثنية أخرى فالتقوا هم
وصحابة النبي (صلعم) فولى صحابة النبي (صلعم) ، وأرجع منهزماً
وعلي بردتان متزراً باحدهما مرتديا الاخرى ، فاستطلق ازارى ،
فجمعتهم جميعاً ، ومررت على رسول الله (صلعم) منهزماً وهو على
بقلته الشهباء ، فقال رسول الله (صلعم) : « لقد رأى ابن الاكوع
فزعا » ، فلما غشوا رسول الله (صلعم) نزل عن البغلة ، ثم قبض
قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به وجوههم فقال : « شأنت
الوجوه » فما خلق منهم انساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة ،
فولوا مدبرين ، فهزمهم الله عز وجل بذلك ، وقسم رسول الله
(صلعم) غنائمهم بين المسلمين » . (صحيح مسلم ١٦٩/٥) .

(١٠٢) صاحب رسول الله (صلعم) وخادمه . ولد بالمدينة سنة ١٠ ق.هـ
(٦١٢م) وأسلم صفيراً وخدم النبي (صلعم) الى أن قبض . مات
بالبصرة سنة ٩٣هـ (٧١٢م) . وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .
روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثاً .

(١٠٣) « اللهم حوالينا ولا علينا » حديث شريف ذكره أبو داود وابن ماجه
والنسائي وأحمد بن حنبل .

منكم باسم أبيه أو أخيه فأنا كاذب » فما قدر أحدٌ منهم أن يلفظ بذلك .
 وأنه أتى بقبضتين من تمرٍ يوم الخندق فأمر أن يُصبَّ بين يديه » ونادى
 مناديه في الجيش فأكلوا وشبعوا (١٠٤) . وأنه انكسر سيف عكاشة بن
 محصن (١٠٥) يوم بدر » فقال : يا رسول الله انكسر سيفي ، فأخذ عليه
 السلام جذلاً من حطبٍ وأعطاه إياه وقال له هُزَّهْ ، فهزَّهْ عكاشة » فصار
 سيفاً وتقدَّم وجالده به ولم يزل بعد ذلك معه . وأنه عليه السلام أخذ حصاة
 فحرقها بيده فسبَّحت ثم وضعها في يد أبي بكر فسبَّحت ، ثم في يد عمر
 ثم في يد عثمان فسبَّحت في أيديهم .

وروي عن ابن عباس (١٠٦) رحمة الله عليه ، أن رجلاً أخذ فراخَ طيرٍ
 في غزاةٍ ، فجاء الطائر إلى رسول الله ﷺ ، ورفرف عند رأسه ثم وقع بين
 يديه » فقال عليه السلام : من أخذ فراخ هذا الطائر أطلبوها وردوها عليه ،

(١٠٤) جاء في « عيون الأثر » : وكان في حفر الخندق آيات من أعلام
 النبوة منها خبر الحفنة من التمر الذي جاءت به ابنة بشير بن سعد
 لأبيها وخالها عبدالله بن رواحة ليتفديا به . فقال لها رسول الله
 (صلعم) هاتيه . فصبَّته في كفي رسول الله (صلعم) فما ملأهما ، ثم
 أمر بثوب فبسط له ، ثم قال لإنسان عنده : « أصرخ في أهل الخندق
 أن هلمَّ إلى الفداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ،
 وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وأنه ليسقط من أطراف
 الثوب » .

(١٠٥) هو عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي : صحابي من أمراء السرايا ،
 شهد المشاهد كلها مع النبي (صلعم) وقتل في حرب الردة
 (سنة ١٢ هـ) .

(١٠٦) هو أبو العباس عبدالله بن عباس بن عبد المطلب : حبر الأمة ،
 الصحابي الجليل . ولد بمكة سنة ٣ ق. هـ (٦١٩ م) ولازم رسول الله
 (صلعم) وروى عنه الأحاديث الصحيحة . شهد مع علي الجمل
 وصفين . كفَّ بصره في آخر عمره . توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ
 (٦٨٧ م) .

فوجدوها عند بعض المسلمين فردّوها عليه . وروي انه استناخ بعير بين يديه ثم رَغا . فدعا النبي ﷺ بصاحبه وقال : ان هذا البعير شكّا وذكر أنه لم يزل عندكم صغيراً تعملون عليه حتى اذا كبر أردتم قتله ، فقال الرجل : صدق يا رسول الله . وأنا ممسكٌ عنه . وروي أن بني غِفَار (١٠٧) أرادوا أن ينحروا عجلًا لهم ، فنطقَ العجل وقال : يا بني غِفَار أمرٌ نجيحٌ ، صائِح يصيحُ بمكة لا إله إلا الله . فتركوه وأتوا مكة ، فوجدوا النبي ﷺ قد ظهر ، فأمنوا به (١٠٨) .

وروي ان ذئبًا شدّ على غنمٍ . فقال الرعاة : أما تعجبون من هذا الذئب ؟ فنطقَ الذئب وقال : أنتم أعجب مني ، قد ظهر نبيٌ بمكة يدعو إلى الله ولا تجيبونه (١٠٩) فهذه كلها أخبار مشهورة عند المسلمين كلهم لا ينكرون شيئاً منها لأنها ظهرت على رؤوس الملأ . ومن صحة آية الذئب أن وُلد الرجل الذي كلمه الذئب يسمّون إلى يومنا هذا بني مُكلم الذئب . يتوارثون ذلك وينسبون إليه لئلا ينسى ولا يحدّ أحد مساعًا إلى ابطاله .

ودعا عليه السلام على العرب فاحتبس عنهم القطر وأجدبت البلاد .

وروي عنه عليه السلام أنه أخبر أبا سفيان (١١٠) بأمر جرى بينه وبين

(١٠٧) قبيلة من كنانة . أسلمت سنة ٦٢٩ م . بايعت لأبي بكر بالخلافة وناصرته على حرب الردّة .

(١٠٨) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٥٨ (ط . بيروت ١٩٦٠) .

(١٠٩) المرجع السابق ص ١٧٣

(١١٠) هو أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف :

صحابي ، من سادات قريش في الجاهلية ومن الشجعان الأبطال .

وهو والد معاوية رأس الدولة الأموية . قاد قريشا وكنانة يوم أحد

ويوم الخندق لقتال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأسلم يوم فتح مكة ، وشهد

حنينا والطائف . فقُتت عينه يوم الطائف ثم فقُتت الأخرى يوم

اليرموك ، فعمي . توفي سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) بالمدينة ، وقيل بالشام .

امراته هند (١١١) فمجب أبو سفيان من ذلك وقال: أخرجت سرّي ، لأدقن^١
يدها على رجلها ، فقال النبي ﷺ : لا تظلم هنداً فما أخرجت سرّاً ، فقال
أبو سفيان لقد اتهمتها وممت بها ، فأما اذ حدثتني بما حدثت أنا به نفسي
فقد علمت أنها بريئة مما ظننت .

ومن آياته عليه السلام التي ظهرت ، ما روي عن أنس ابن مالك قال :
اتخذت أمي حيناً (١١٢) وبعثت به إلى النبي ﷺ تسأله أن يطعم منه ، فقام
النبي ﷺ وقال لأصحابه : قوموا بنا ، فلما رأت أمي الجماعة قالت :
يا رسول الله ، أعددت لك شيئاً بمقدار ما تأكله وحدك ، قال : فدعا
النبي ﷺ بالبركة وقال لي : أدخل علي عشرة عشرة ، فكانوا يشبعون
ويخرجون ، وأكلنا معهم وشبعنا .

وروي عن يعلى بن أمية (١١٣) ان النبي ﷺ أراد الوضوء وهو في

(١١١) هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . صحابية ،
عالية الشهرة ، كانت فصيحة جريئة ، صاحبة رأي وحزم ونفس
وانفة . وقفت - قبل ان تسلم - في وقعة أحد ، ومعها بعض النسوة
يمثلن بقتلى المسلمين ويجدن آذانهم وأنوفهم ، وتجعلها هند قلائد
وخلاخيل . ثم كانت ممن أهدر النبي (ص) دماءهم يوم فتح مكة وأمر
بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة فجاءته مع بعض النسوة في
الابطح ، فأعلنت إسلامها . شهدت اليرموك وحرضت على قتال
الروم . اخبارها كثيرة . توفيت سنة ١٤ هـ (٦٣٥ م) .

(١١٢) الحيس طعام مركب من تمر وسمن وسويق .

(١١٣) هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي الحنظلي : صحابي ،
من الولاة ، ومن الاغنياء الاسخياء من سكان مكة . وهو أول من أرخ
الكتب . أسلم بعد الفتح ، وشهد الطائف وحنينا وتبوك مع النبي
(صلعم) . استعمله أبو بكر على حلوان في الردة ، ثم استعمله عمر
على نجران ، واستعمله عثمان على اليمن . ولما قتل عثمان انضم يعلى
الى الزبير وعائشة ، قال ابن الأثير : ثم صار من أصحاب علي وقتل
وهو معه في صفين (سنة ٣٧ هـ) . روى ٢٨ حديثاً اتفق البخاري
ومسلم على ثلاثة منها .

سَفَرٍ لَهُ فَقَالَ : اذْهَبْ إِلَى تَسْيِينِكَ الشَّجَرَتَيْنِ وَقُلْ لِهَما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا ، فَأَقْبِلْتُمَا تَحْدَانِ الْأَرْضِ خَدًّا حَتَّى اجْتَمَعْتُمَا ، وَتَوَضَّأَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا ثُمَّ أَمَرَهُمَا بِالرَّجُوعِ إِلَى مَكَانِهِمَا فَرَجَعْتُمَا (١١٤) .

وَرَوَى أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَاهُ إِلَى طَعَامٍ وَقَرَّبَ إِلَيْهِ شَاةً مَسْمُومَةً ، فَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَذِهِ الشَّاةُ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ، فَأَقْرَأَ الْيَهُودِيُّ بِذَلِكَ وَقَالَ :
أَرَدْتُ امْتِحَانَكَ ، وَقُلْتُ إِنَّكَ نَبِيٌّ لَمْ يَخْشَفْ ذَلِكَ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ
مَلَأْذَا أَكَلَ مِنْهَا وَأَرْحَتُ النَّاسَ مِنْهُ (١١٥) . وَرَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْأَنْصَارِيِّ (١١٦) قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ (١١٧) فَأَصَابَنَا عَطَشٌ شَدِيدٌ
فَجَهَشْنَا إِلَيْهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَوْرٌ فِيهِ مَاءٌ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ ، وَجَعَلَ الْمَاءُ يَتَخَلَّلُ
مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهَا عَيُونَ فَشَرَبْنَا وَرَوَيْنَا مِنْهُ وَنَحْنُ أَرْبَعُمِائَةَ رَجُلٍ وَتَوَضَّأْنَا .

فَهَذَا فِي هَذَا الْكِتَابِ كَافٍ ، وَلَوْ أَرَدْنَا الْاسْتِقْصَاءَ لَطَالَ الْكِتَابُ ، وَفِي
هَذَا شَفَاءٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ هِدَايَتَهُ وَانْقَاذَهُ ، فَإِنَّ مِنْهُ مَا هُوَ مَأْخُودٌ وَمَوْجُودٌ
فِي الْقُرْآنِ نَفْسُهُ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَأْخُودٌ عَنْ أَخْذِ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُ الْقُرْآنُ وَأَتَمِّينَ

(١١٤) أَنْظَرَ الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ج ١ ص ١٧٠ (ط . بِيروت ١٩٦٠)
(١١٥) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَعُم) لَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْكُلُ
الْهَدِيَّةَ ، فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ يَهُودِيَّةٌ شَاةً مَصْلِيَّةً فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَعُم)
مِنْهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، فَقَالَتْ أَنِّي مَسْمُومَةٌ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : ارْفَعُوا
أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا قَدْ أَخْبَرَتْ أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ ، قَالَ : فَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ ، قَالَ :
فَمَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَعُم) فَقَالَ : مَا
حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَتْ : أَرَدْتُ أَنْ أَعْلَمَ أَنَّكَ نَبِيٌّ لَمْ يَضُرَّكَ ،
وَأَنَّكَ كُنْتَ مَلِكًا أَرْحَتُ النَّاسَ مِنْكَ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِهَا فُقِّلت . (الطَّبَقَاتِ
الْكُبْرَى - ج ١ ص ١٧٢) .

(١١٦) صَحَابِيٌّ ، مِنْ الْمَكْثَرِينَ فِي الرِّوَايَةِ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَعُم) وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ
مِنْ الصَّحَابَةِ . غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً . رَوَى لَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ
١٥٤٠ حَدِيثًا . تَوَفَّى سَنَةَ ٧٨ هـ (٦٩٧ م) .

(١١٧) فِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى : بِالْحَدِيثِيَّةِ .

على ما أدّتي إلى الأمة منه . ومثّلهم في ذلك مثل حواربي^(١١٨) المسيح عليه السلام الذين أدّوا إلى النصرى أسفاراً من الانجيل^(١١٩) ونقلوا إليهم أخبار المسيح . فإن كانوا ثقاتٍ مؤمنين على ما نقلوا وأدّوا من خبره فانهم في جميع ما أخبروا عنه غير متهمين . وإن كانوا غير ثقاتٍ في ذلك فانهم في جميع ما أدّوا متهمون غاشون لأنفسهم أولاً ثم للناس أجمعين .

(١١٨) الحواريون جمع حوارى ، وهو الصاحب والناصر والرفيق ، ومن ثم عرف تلاميذ السيد المسيح الاثني عشر بالحواريين . وقد وردت كلمة الحواريين في خمسة مواضع من القرآن الكريم تشير جميعها الى تلاميذ المسيح . قال تعالى في سورة آل عمران : « قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله » وفي سورة المائدة : « وإذا أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا » و « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء » وفي سورة الصف « كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله » .

(١١٩) الانجيل كلمة يونانية معربة بمعنى البشارة ، وهو اسم يطلق على الكتب التي وضعت بعد زمن المسيح بأكثر من نصف قرن بالنسبة الى أولها وضعاً . وهي تروي احواله وأعماله التي وعظ بها ومعجزاته وخوارق العادات التي أجراها الله على يده وقصة صلبه من وجهة النظر المسيحية . وتعترف الكنيسة المسيحية بأربعة فقط من هذه الأناجيل وهي : انجيل متى ، وهو أقدمها ، وانجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا . والأناجيل على كثرتها التي تبلغ نيفا ومائة منقطة السند ، ولا توجد نسخة انجيل واحد من المعترف بها بخط تلميذ من تلاميذ المسيح . ويعرف الانجيل بالعهد الجديد تمييزاً له عن التوراة أو العهد القديم .

الباب الرابع

فيما فيه عليه السلام حكم أموراً غائبة عنه تمت في أيامه

ونبدأ في هذا الباب بما في القرآن لتأكيد الحجة وإبطال العلة . قال الله عز وجل لرسوله ﷺ : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ » (١٢٠) فدخلوه على ما قال الله في حياته . وقال : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » (١٢١) . فكان كما قال الله وأرادوا أن يمحروا به فرد الله مكرهم وأبسل كيدهم . وقال الله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » (١٢٢) . ف ضرب الله بذلك وجوه الكفار فكان كما قال . وقال : « سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ

(١٢٠) الفتح : ٢٧

(١٢١) الأنفال : ٣٠

(١٢٢) الأحزاب : ٩

(١٢٣) كذا في الأصل ، والصواب : سألقي . الأنفال : ١٢

بَنَانٍ . فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ بِهِمْ كَمَا أَمَرَ بِهِ . وَقَالَ : « أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ تَفَاقَوْا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَأنَّ أُخْرِجْتُمْ لَتَنَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِنَ الْأَذْبَارَ ، ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ » (١٢٤) . فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ، فَإِن أَوْلَانِكَ أُخْرِجُوا فَلَمْ يَخْرُجْ أَخْوَانُهُمْ هَؤُلَاءِ مَعَهُمْ وَقُوتِلُوا فَلَمْ يَنْصُرُوهُمْ . فَمَا عَسَى يَقُولُ الْقَائِلُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْقُرْآنِ يَنْطِقُ بِهَا وَالْأَمَّةُ تَشْهَدُ بِحَقِيقَتِهَا وَأَنهَا كُلُّهَا تَتَوَقَّعُ صَحَّتِهَا وَتَتَحَدَّثُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِهَا ، فَإِن سَاغَ فِي مِثْلِهَا التَّمْوِيهِ وَالْبَهْتُ وَتَقْيِيدُهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَمَا نَوْْمُهُمْ إِنْ يَكُونُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَيْضًا أَبَاطِيلُ مَقِيدَةٍ تَجَافَى عَنْهَا مَنْ شَاهَدَ الْأَمْرَ وَأَغْضَى عَلَيْهَا . فَإِن لَمْ يَسْغَ ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَفِيمَنْ حَضَرَهَا فَذَلِكَ غَيْرُ سَائِغٍ فِي الْقُرْآنِ وَحَمَلْتَهُ أَيْضًا . وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّاكِثِينَ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ : « فَاتِلُوا بِهِمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ » (١٢٥) ، فَكَانَ كَمَا قَالَ .

فَأَمَّا مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّادِقَةُ فَمِنْ ذَلِكَ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ (١٢٦)

(١٢٤) الْحَشْرِ : ١١ - ١٢

(١٢٥) التَّوْبَةِ : ١٤

(١٢٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا ، فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى عَسْكَرِهِ ، وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ رَجُلٌ لَا يَدْعُ لَهُمْ شَاذَةً وَلَا فَازَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا ، يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالُوا : مَا أَجْزَأُ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدًا مَا أَجْزَأُ فَلَانَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا صَاحِبُهُ أَبَدًا ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ ، كُلَّمَا وَقَفَ ، وَقَفَ مَعَهُ ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ ، قَالَ :

السَّاعِدي أنه قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة ومعنا رجل لا يبارز رجلاً من المشركين إلا قتله ، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال : «أما إنه من أهل النار» . قال سعد : فما زلت أتبعه لأعرف عاقبة أمره ، فأصابته جراحةٌ واستبطأ الموت فوضع سيفه على سترته وتحامل عليه حتى قتل نفسه . ورؤي عنه عليه السلام أنه قال لخالد بن الوليد وأصحابه حين وجههم إلى أكيدر (١٢٧)

فجرح الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه ، فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله (ص) فقال : أشهد أنك رسول الله ، فقال : وما ذاك ؟ » قال : الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله (ص) عند ذلك : « ان الرجل ليعمل عمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة » . (صحيح مسلم ٤٧/١) .

(١٢٧) هو أكيدر بن عبد الملك الكندي . كان أميراً على دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية ، وله بها حصن منيع . عاصر ظهور الدعوة الإسلامية وأعرض عنها ، فوجه إليه النبي (ص) خالد بن الوليد في ٤٢٠ فارساً من المدينة ، فلما قارب حصنه رآه في نفر من رجاله يطاردون بقرة الوحش . فأحاط به ، فاستأسر ، فأوثقه خالد وأقبل به على الحصن فافتتحه صلحاً ، وعاد خالد بالأكيدر إلى المدينة ، فقبل : أسلم ، وردّه رسول الله (ص) إلى بلاده وكتب له كتاباً يمنع المسلمين من التعرض لقومه ممن آثروا الاحتفاظ بدينهم ما داموا يؤدون الجزية . ولما قبض رسول الله (ص) نقض أكيدر العهد ، فسار إليه خالد في خلافة أبي بكر واستولى على دومة الجندل ، وفيها قتل الأكيدر عام ١٢ هـ . (٦٣٣ م) .

دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ (١٢٨) انكم ستأتونه فتجدونه على سطحه يتصيدُ البقرَ فوجدوا كذلك .

وروي عنه عليه السلام انه ضلّت ناقته فجعل يسأل عنها فقال المنافقون هذا محمد يدعي خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته . فعلم ما يتحادثون به وقال : « ألا واني لا أعلم الا ما علّمني ربي وقد خبرني ربي أن ناقتي بوادي كذا متعلق رأسها بشجرة » فطلبوها فوجدوها كذلك . وروي عنه عليه السلام انه جمع الناس يوماً ونعى إليهم النجاشي ملك الحبشة وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات . فورد الخبر بوفاة في ذلك اليوم . وكان بينه وبين أرض الحبشة البحر ولم تكن مكة مدرجة مثل مدارج الشرق والغرب .

(١٢٨) واحة وبلدة في جوف السرحان في جزيرة العرب شمالي نجد على حدود الشام .

الباب الخامس

في نبوات النبي عليه السلام التي تمت بعد وفاته

ونبدأ في هذا الباب أيضاً بما في القرآن الكريم من نبوات النبي ﷺ لئلا يبقى لأهل الفتنة والعناد حجة يستندون إليها ولا علقة يتمسكون بها، فمن ذلك قول الله عز وجل: «أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» (١٢٩). أي انه يكون مذكوراً مقدماً اسمه بعد اسم الله في كل خطبة ومناظرة ونكاح وصلاة .

ومن ذلك قول الله تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (١٣٠). فنمى بهذه السورة نفسه إلى أمته ، وأنبأهم بما هو كائن بعده من دخول الناس أفواجا وأرسالا في دينه ، فكان ذلك كذلك ، يروونه ظاهراً بعد دهر ولا يدفعونه . وقال الله تعالى . « أَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ

(١٢٩) الانشراح : ١ - ٤

(١٣٠) النصر : ١ - ٣

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ (١٣١) . فَكَانَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَتَبَيَّنَ لِلْعَرَبِ أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ صَدَقَ ، وَمَا زَالَ ذَلِكَ حَدِيثَهُمْ وَحَدِيثَ صِبْيَانِهِمْ وَنِسْوَانِهِمْ فِي الْبُيُوتَاتِ يَتَوَقَّعُونَهُ وَيَسْتَخْبِرُونَ عَنْهُ حَقَّ صَحٍّ ذَلِكَ لِلْجَمِيعِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَا يُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا » (١٣٢) . فَهَذِهِ أَيْضًا نُبُوءَةٌ قَدْ تَمَّتْ وَظَهَرَتْ لَا يَحْدُ أَحَدٌ إِلَى إِنْكَارِهَا سَبِيلًا ، فَقَدْ اسْتَخْلَفَ الْمُسْلِمِينَ وَمَكَّنَ لَهُمْ دِينَهُمْ وَأَبَدَّلَهُمْ بِالْخَوْفِ أَمْنًا ، فَأَيَّةُ آيَةٍ وَنُبُوءَةٍ أَصَحُّ وَأَبِينُ مِنْ هَذِهِ .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » (١٣٣) . فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَظَهَرَ دِينُهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ وَأَذْعَنَ لَهُ أَهْلُ كُلِّ مِلَّةٍ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : « قُلْ لِلْمُخْلَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (١٣٤) . وَكَانَ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تَخَلَّفُوا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَنْبَأَهُمْ أَنَّهُمْ يَقَاتِلُونَ الرُّومَ وَالْفُرْسَ أَوْ يُسْلِمُونَ ، فَكَانَ كَذَلِكَ كَمَا فِي الْقُرْآنِ يَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ الْعَيَانُ .

(١٣١) الروم : ١ - ٤

(١٣٢) النور : ٥٥

(١٣٣) التوبة : ٣٣

(١٣٤) الفتح : ١٦

فما عسى يقول المخالفون في هذه النبوءات ، وما عسى يسوغ لهم فيها من الردّ والحجة وقد برّت وتمّت وانتشرت شرقاً وغرباً وأشرقت ، وإن غمط ذلك غامطاً ولم يكتف به وصمم في رده وتكذيبه لم يوبق إلا نفسه ، ولم يُسخط إلا ربه ، ولم يُغيّر إلا حظّه . ولم يقدر أن يوجدنا في كُتبه إلا مثله .

فأما ما جاءت به الروايات التي لا شك فيها فقول النبي ﷺ : « إن لي خمسة أسماء ، أنا محمد ، وأحمد ، والمأحى يمحو الله بي الكفر ، والحاشر أحشر الناس ، والعاقب أي آخِر الأنبياء » (١٣٥) . فقد صدّق حديثه عليه السلام ، وختم الله به النبوءات ، وحى به الكفر ، أي ذلّه وقلّله ومحاه عن سرّة الأرض وقلوبها ، وبقي رسمه في أطرافها وحواشها .

وروي أنه كان على جبل (١٣٦) فتحرك الجبل فقال : « اسكن فما عليك إلا نبي وصدّيق وشهيد » . وكان معه أبو بكر فسُمّي صدّيقاً وعمر وعثمان فاستشهدا بعده . وأنه عليه السلام كان يقول لأصحابه : « أنا

(١٣٥) عن جبير بن مطعم أن رسول الله (ص) قال : « إن لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي » ، وأنا المأحى الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب » زاد مسلم : الذي ليس بعدي أحد ، والترمذي : الذي ليس بعدي نبي . أخرجه مسلم والبخاري في صحيحيهما ، ومالك في الموطأ ، والترمذي في المناقب والنسائي في التفسير .

(١٣٦) جبل حراء . فعن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله (ص) كان على جبل حراء فتحرك ، فقال رسول الله (ص) : « اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد » وعليه النبي (ص) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنهم . (صحيح مسلم ١٢٨/٧) .

فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ (١٣٧) أَيِ اتَّقَدُّمُكُمْ ، وَالْفَارَطَ الْمَتَقَدِّمُ ، فَقَبَضَهُ
اللَّهُ قَبْلَهُمْ .

وقال عليه السلام لفاطمة رضي الله عنها : في مرضته التي مات فيها :
(إِنَّكَ أَسْرَعُ أَهْلِي لِحَوْقًا بِي) (١٣٨) فكانت أولَ مَنْ مات من أهله
بعده (١٣٩) . وقال لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه : « لَتُخَضَّبَنَّ »

(١٣٧) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل . وسببه كما في صحيح
مسلم عن أبي هريرة أن النبي (ص) أتى المقبرة فقال : السلام عليكم
دار قوم مؤمنين ، وإنا أن شاء الله بكم لاحقون ، أنا قد رأينا إخواننا
قالوا أولسنا بإخوانك ؟ قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا
بعد . قالوا : كيف تعرف من يأتي بعدك من امتك ؟ قال : أرايتم لو
أن رجلا له خيل غرّ محجلة بين ظهرائي خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟
قالوا : بلى . قال : فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطكم
على الحوض ، ألا ليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير الضال ،
اناديهم ألا هلم ، فيقال : انهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا .
(١٣٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت : اجتمع نساء النبي (ص) فلم يفادر
منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله (ص)
فقال : مرحبا بابنتي ، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم انه أسر إليها
حديثا ، فبكت فاطمة ، ثم انه سارها فضحكت أيضا ، فقلت لها : ما
يبكيك ؟ فقالت : ما كنت لأفشي سرّ رسول الله (ص) ، فقلت : ما
رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن ، فقلت لها حين بكت : أخصك
رسول الله (ص) بحديثه دوننا ثم تبكين ، وسألته عما قال ، فقالت :
ما كنت لأفشي سرّ رسول الله (صلعم) ، حتى إذا قبض سألته فقالت :
انه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وانه عارضه
به في العام مرتين ، ولا أراني الا قد حضر أجلي ، وانك أول أهلي
لحوقا بي ، ونعم السلف أنا لك ، فبكيت لذلك ، ثم انه سارني فقال :
الا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ،
فضحكت لذلك . (صحيح مسلم ١٤٣/٧ - ١٤٤) .

(١٣٩) توفيت فاطمة ، عليها السلام ، بعد أبيها بستة أشهر على أرجح
الأقوال .

هذه من هذا ، وأشار إلى خبيته ورأسه ، وأن علياً اعتلّ بعنده علة شديدة ، فقال له أهله : قد تخوَّفْنَا عليك من مرضتك هذه ، قال : لكنني لا أخافها لأن رسول الله ﷺ قال : « لَتُخَضَّبَنَّ هذه من هذا » ، فكان كذلك ، عوفي من مرضته هذه ثم ضرب على رأسه بالسيف فقتل (١٤٠).

وقال عليه السلام لعثمان : « ان الله سيقمّصك قميصاً وإنهم حاملوك على خلعيه فلا تفعل » (١٤١) ، فلما حوَّصر عثمان وقالوا له اخلع الخلافة ، قال لهم ان النبي ﷺ قال لي كَيْتَ وكَيْتَ ولست فاعلاً ما تقولون ، فقتل .

(١٤٠) انظر في مقتل علي بن أبي طالب كتاب « اعيان الشيعة » ج ٣ ومما فيه من مراجع .

(١٤١) عن عبد الرحمن بن جبير قال : قال رسول الله (ص) لعثمان : « ان الله كساك يوماً سربالاً فان اردك المنافقون على خلعه فلا تخلعه لظالم » . وعند عبد الله بن عمر قال : « قال لي عثمان وهو محصور في الدار : ما ترى فيما اُشار به علي المغيرة بن الأحنس ؟ قلت : ما اُشار به عليك ؟ قال : ان هؤلاء القوم يريدون خلعي فان خلعت تركوني وان لم اخلع قتلوني ، قلت : أرايت ان خلعت تترك مخلصاً في الدنيا ؟ قال : لا . قلت فهل يملكون الجنة والنار ؟ قال : لا . فقلت : أرايت ان لم تخلع هل يريدون على قتلك ؟ قال : لا . قلت : فلا أرى أن تسنّ هذه السنة في الاسلام ، كلما سخط قوم على أميرهم خلعوه ، لا تخلع قميصاً قمصكه الله » . وقال في الطبقات الكبرى : كانوا يدخلون على عثمان وهو محصور فيقولون : انزع لنا ، فيقول : لا انزع سربالاً سربليه الله ولكن انزع عما تكرهون » .

وقال ﷺ لعمار بن ياسر (١٤٢) : « تقتلك الفئة الباغية » (١٤٣) فقتل بحرب بين علي ومعاوية ، فكان معاوية لا ينكر الحديث ، لكنه يقول ليس أجنادي الذين قتلوه وإنما قتله من غره وأخرجته إلى القتال .

وقال ﷺ للزبير بن العوام (١٤٤) : « إنك تقاتل علياً وأنت ظالمٌ

(١٤٢) صحابي ، من الولاة الشجعان ذوي الرأي . وهو أحد السابقين إلى الاسلام والجهر به . شهد بدرًا واحدًا والخندق وبيعة الرضوان . ولاته عمر الكوفة ثم عزله . شهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب وقتل في الثانية سنة ٣٧ هـ وعمره ثلاث وتسعون سنة . وفي الحديث : ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما .

(١٤٣) عن أم سلمى قالت : (سمعت النبي) (ص) يقول : تقتل عمارا الفئة الباغية . وعن أبي قتادة قال : قال النبي (ص) لعمار وهو يسمح التراب عن رأسه : بؤسا لك ابن سمية ، تقتلك فئة باغية . وعن حنظلة بن خويلد العنزي قال : بينا نحن عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار ، يقول كل واحد منهما أنا قتلته ، فقال عبدالله بن عمرو : ليطب به أحكما نفسا لصاحبه ، فأنسي سمعت رسول الله (ص) يقول : تقتله الفئة الباغية . فقال معاوية : ألا تغني عنا مجنونك يا عمرو (عمرو بن العاص) فما بالك معنا ؟ قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله (ص) فقال : أطع أباك حيا ولا تعصه ، فأنا معكم ولست أقاتل . (الطبقات الكبرى ج ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣) .

(١٤٤) صحابي شجاع ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من سل سيفه في الاسلام . وهو ابن عمه النبي (ص) . أسلم وله ١٢ سنة . شهد بدرًا واحدًا وغيرهما . قالوا : كان في صدر الزبير أمثال العيون من الطعن والرمي . قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل (٣٦ هـ - ٦٥٦ م) بوادي السباع (على سبع فراسخ من البصرة) روى له البخاري ومسلم ٣٨ حديثا .

له (١٤٥) ففعل ، وقرعه عليّ بذلك . وقال ﷺ لامرأته عائشة رضي الله عنها : « انك ستنبّح عليك كلاب الحوء ب » (١٤٦) ، فلما سارت إلى البصرة سمعت نباحاً وهي تسير ليلاً فسألت عن الموضع فقالوا ماءً يقال له الحوء ، فذكرت قوله عليه السلام فاسترجعت وندمت على ما كان من خروجيها .

وكان عليه السلام يقول في الحسن بن علي عليهما السلام : « انّ ابني هذا سيّدٌ وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين » (١٤٧) . وقال عليه السلام :

(١٤٥) قال الطبري : « قال علي للزبير (في يوم الجمل) أتذكر يوم مرت مع رسول الله (ص) في بني غنم فنظر الي فضحك وضحكت اليه فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك : صه ، انه ليس به زهو ، ولتقاتلنه وانت له ظالم ، فقال : اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً » . ثم ترك زبير الحرب ، ولم يحارب مع علي ، وتوجه الى وادي السباع قاصدا المدينة ، فقتل هناك . (راجع الحاشية السابقة) .

(١٤٦) الحوء من مياه العرب على طريق البصرة . قال ياقوت : « وفي الحديث ان عائشة لما أرادت المضي الى البصرة في وقعة الجمل مرت بهذا الموضع ، فسمعت نباح الكلاب ، فقالت : ما هذا الموضع ؟ فقيل لها : هذا موضع يقال له الحوء ، فقالت : انا لله ، ما أراني الا صاحبة القصة . فقيل لها : وأي قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول وعنده نساؤه : ليت شعري أيتكن تنبّحها كلاب الحوء سايرة الى الشرق في كتيبة » وهمت بالرجوع ففالتوها وحلفوا لها انه ليس بالحوء (معجم البلدان ٢/٣٥٢ - ٣٥٣ . وانظر أيضا مسند الامام أحمد بن حنبل ٥٢/٦ و ٩٧) .

(١٤٧) عن أبي بكرة قال : « كان النبي (ص) يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد صبي صغير حتى يصير على ظهره - أو رقبتة - فيرفعه رفعا رفيقا ، فلما صلى صلاته قالوا : يا رسول الله ، انك لتصنع بهذا الصبي شيئا لا تصنعه بأحد ، فقال : « ان هذا ريحانتي ، وان ابني هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » (حلية الأولياء ٢/٣٥٠) وانظر أيضا صحيح البخاري والترمذي والنسائي ومسند أحمد بن حنبل .

■ زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغارها وسيلغ ملك أمي إلى حيث زوي لي منها ■ (١٤٨) ومعنى زوي أي جمع . وانه أخذ يوم الخندق المعول وضرب به كدية كانت استصعبت على من يحفر فخرجت منها نار فقال عليه السلام : « لقد رأيت من بين هذه النار مدائن كسرى . ثم ضرب ضربة أخرى فخرجت نار فقال لقد رأيت من بينهما مدائن قيصر وليمنحها الله على أمي من بعدي » (١٤٩) .

(١٤٨) عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : « ان الله زوى (جمع) لي الأرض فرأيت مشارقها ومغارها ، وان أمي سيلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين ، الأحمر والأبيض (المراد كنزي كسرى وقيصر) واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة (أي بقطيعهم) وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا » (صحيح مسلم ١٧١/٨) .

(١٤٩) جاء في صحيح البخاري عن جابر ، قل : « إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة (وعند النسائي : صخرة لا تأخذ منها المعاول) فجاءوا الى النبي (ص) فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقام وبطنه مشدود بحجر (من الجوع) — ولنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا ، فأخذ النبي (ص) المعول ف ضرب ، فعادت (أي الكدية) كشيئا أهيل . وعند أحمد والنسائي : فاشتكي ذلك لرسول الله (ص) ، فجاء فأخذ المعول فقال : بسم الله : ف ضرب ضربة فنثر ثلثها ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله اني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، واني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله ، فقطع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله اني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة » . وهذا القول النبوي الكريم أثبتت الأحداث فيما بعد صدقه فصار من اعلام النبوة التي لا تخطيء ، فقد تم استيلاء المسلمين على كل الأماكن التي ذكر النبي (ص) انه اعطى مفاتيحها ، وتم كل ذلك في عهد الخليفين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

ويروى أنه عليه السلام كان إذا رجع من سفره بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم أتى فاطمة رضي الله عنها « فأتاها عند منصرفه من الخندق فجعلت تبكي وتلتئم فاه ، فقال لها : « ما لك يا فاطمة تبكين ؟ قالت : يا رسول الله أراك شعثاً نصباً قد اخلولقت ثيابك . قال : يا فاطمة إن الله بعث أباك بأمر لا ينبغي على وجه الأرض بيتٌ مدّر أو شعر إلا أدخل فيه عزّاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث يبلغ الليل (١٥٠) » .

وروي عن أنس بن مالك (١٥١) أنه قال لي : كنت مع النبي ﷺ في حائط فسمعت قرع الباب ، فقال لي « قم يا أنس افتح له الباب وبشره بالجنة » وأخبره أنه يلي أمراً أمتي من بعدي ، فذهبت فإذا أنا بأبي بكر رضي الله عنه فبشرته وأعلمته ما سمعته وانصرفت « فقرع الباب قارع آخر ، فقال : قم وافتح له الباب وبشره بالجنة وبأنه يلي أمراً أمتي من بعد أبي بكر ، ففتحت ، فإذا أنا بعمر رضي الله عنه ، ففعلت ما أمرت به . ثم سمعت قرع الباب ، فقال لي عليه السلام : قم وافتح له الباب وبشره بالجنة وبولاية أمر الأمة بعد عمر ، فإذا أنا بعثمان رضي الله عنه » (١٥٢) .

(١٥٠) انظر مسند أحمد بن حنبل ٤/٦ .

(١٥١) انظر الحاشية التالية .

(١٥٢) عن سعيد بن المسيب قال : أخبرني أبو موسى الأشعري رضي الله عنه « أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال : لألزم رسول الله (ص) ، ولاكونن معه يومي هذا ، قال : فجاء المسجد ، فسأل عن النبي (ص) فقالوا : خرج وجهه ها هنا ، قال : فخرجت على أثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب ، وبابها من جريد ، حتى قضى رسول الله (ص) حاجته وتوضأ ، فقامت إليه ، فإذا هو قد جلس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت ، فجلست عند الباب ، فقلت

وروي عنه عليه السلام انه كان يقول : « لا تقوم الساعة حتى تروا أقواما كأن وجوههم المجان المطرقة » (١٥٣) ، وانه ﷺ يقول : « أي »

لأكونن بواب رسول الله (ص) اليوم ، فجاء أبو بكر ، فدفع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رسلك ، قال : نعم ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن ؟ فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ، ورسول الله يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله (ص) في القف ، ودلى رجله في البئر ، كما صنع رسول الله (ص) وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت ، فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان (يريد أخاه) خيرا يأت به ، فاذا انسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت : على رسلك ، ثم جئت الى رسول الله (ص) فسلمت عليه ، وقلت : هذا عمر يستأذن ؟ قال : « ائذن له وبشره بالجنة » فجئت عمر رضي الله عنه فقلت : اذن ويبشرك رسول الله (ص) بالجنة ، قال : فدخل فجلس مع رسول الله (ص) في القف عن يساره ، ودلى رجله في البئر ، ثم رجعت فجلست ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرا - يعني أخاه - يأت به ، فجاء انسان فحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان . فقلت : على رسلك ، قال : وجئت النبي (ص) فأخبرته ، فقال : « ائذن له ، وبشره بالجنة » ، مع بلوى تصيبه » قال : فجئت فقلت : ادخل ويبشرك رسول الله (ص) بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وجاههم من الشق الآخر . قال شريك : فقال سعيد بن المسيب : فأولتها قبورهم . (صحيح مسلم ١١٩/٧) .

(١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر » . (صحيح مسلم ١٨٤/٨) .

بلدانكم حُرْشَة؟ ففيل له : خُرَاسان، قال : ستفتح عليكم من بعدي» (١٥٤).
وما يشكُّ أحدٌ من أبناء هذه الدولة العباسية وغيرهم أن أبا مسلم (١٥٥)
خرج وهو غير شاكٍّ في أن الغلبة والخلافة لأهل هذا البيت (١٥٦) ، وأنه

(١٥٤) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول :
« ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه »
(صحيح مسلم ٥٢/٦ وأحمد بن حنبل ١٥٧/٤) وانظر أيضا سنن
أبي داود وابن ماجه .

(١٥٥) هو أبو مسلم الخراساني (١٠٠ - ١٣٧ هـ) أحد كبار القادة ،
ومؤسس الدولة العباسية . ولد في ماه البصرة (مما يلي أصبهان)
عند عيسى ومعقل ابني ادريس العجلي ، فربياه الى أن شب ، فاتصل
بإبراهيم بن محمد (زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها) فولاه
إبراهيم أمر الدعوة في خراسان ، وطلب من دعائه اطاعته ، فحارب
أبو مسلم عمال بني أمية ، وسقطت مدن إيران وخراسان بين يديه
واحدة بعد أخرى . وبويع لأبي العباس السفاح بالخلافة (سنة ١٣٢ هـ)
فخطب أبو مسلم باسمه ، ومات السفاح ، وخلفه أخوه المنصور ،
فراى من أبي مسلم ما أخافه ان يطمع بالملك فقتله سنة ١٣٧ هـ .
(٧٥٥ م) برومة المدائن . أخباره كثيرة .

(١٥٦) عن محمد بن الحسن الشامي قال : حدثني محمد بن أبي صفوان
الثقفي قال : قال أبو مسلم : شهدت خطبة يزيد الناقص بمسجد
دمشق وأنا مع الامام إبراهيم فقال لي : يا عبد الرحمن هذا آخر ملك
بني أمية ، قد جاءهم ما كانوا يوعدون ، (فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين) (الانعام : ٤٥) شمر يا عبد الرحمن،
شمر ، الوحي الوحي (أي البدار البدار) والنجا النجا ، الحق
بشيعتي وأنصاري بعقوة خراسان . قال أبو مسلم : فأوصاني بوصاياهم
وأمرني بأمره فخرجت من فوري ذلك ، فأزال الله ملك بني أمية ،
وقطع دابرهم ، وأظهر حق بني العباس ، فما انصرفت الى العراق الا
وأبو العباس خليفة قد استوسقت له البلاد ، واجتمعت عليه الأمة ،
وظهر أمر الله وهم كارهون ، ولله عاقبة الأمور » (أخبار الدولة
العباسية ص ٢٥٧) .

لما اقترب من الحيرة^(١٥٧) ، وجه من يسأل عمن كان فيها من بني العباس^(١٥٨) ، فلما رآهم الرسول^(١٥٩) قال : « أيكم ابن الحارثية ؟ وهو أبو العباس^(١٥٩) أمير المؤمنين غفر الله له ، لأنه كان في الحديث أن أول من يستخلف ابن الحارثية^(١٦٠) لا يشكثون فيه . وأعجب من هذا أن بني أمية لم يكونوا يشكثون في أن الخلافة صائرة إلى أهلها من أهل هذا البيت ، فكانوا يقتلونهم ويطلبونهم تحت كل حجر . وكان أهل خراسان يرسلون إليهم الرسل وهم بالشراسة^(١٦١) تأملا لهم . ولا يشكثون في أمرهم

(١٥٧) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة . افتتحها خالد بن الوليد سنة ٦٣٣ م .

(١٥٨) في الكامل لابن الأثير ، وغيره من كتب التاريخ ، أن أبا حميد محمد بن ابراهيم الحميري - وهو أحد الدعاة السبعين - دخل الكوفة فلقي خادما لابراهيم بن محمد يقال له سابق الخوارزمي ، فعرفه ، فسأله عن ابراهيم ، فأخبره ان الخليفة الأموي مروان بن محمد قتله ، وان ابراهيم أوصى الى أخيه أبي العباس واستخلفه من بعده ، وانه قدم الكوفة ومعه أهل بيته ، فصار اليهم وهم في سرداب ، فلما دخل عليهم سأل أبو حميد : أيكم ابن الحارثية ؟ فأشير له الى أبي العباس ، فسلم عليه بالخلافة وقبّل يديه ورجليه وقال : مرنا بأمرك ، وعزّاه بأخيه ابراهيم ، ثم مضى وأحضر أصحابه ، وأخرج أبا العباس ، فبايع الناس له . . . » .

(١٥٩) هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، أول خلفاء الدولة العباسية . لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء الأمويين . ولد سنة ١٠٤ هـ (٧٢٢ م) وبويع له بالخلافة جهرا في الكوفة سنة ١٣٢ هـ ، ومرض بالجذري فتوفي شابا بالأنبار سنة ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) .

(١٦٠) أنظر في ذلك سيرة السفاح في مختلف كتب التاريخ .

(١٦١) كتلة صخرية تبدأ في شمالي الحجاز وتنتهي في فلسطين والأردن .

حتى قُتل منهم مَنْ قُتل . ثم ظهر الأمرُ في الوقت الذي قدّر الله أن يظهرَ بأحاديثٍ ماثورةٍ ، ولقد بلغنا أنه ورد على أبي العباس رحمه الله فتحُ اليمَن والسندِ في يومٍ واحدٍ . فأظهر اغتاما شديداً بذلك ، فقال له أهلُ بيته : يا أميرَ المؤمنين انه يومُ سرور ، فما هذا الحزنُ ؟ فقال لهم : أنسيتم الحديثَ المأثورَ عن النبي ﷺ : « إن فتحَ فاتحُ اليمَن والسندِ في يومٍ واحدٍ فقد حضرَ أجلُهُ » . فحمّ من يومِهِ ومات بعد أيامٍ (١٦٢) .

(١٦٢) ذكر محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من اسحاق بن عيسى بن علي ما يرويه عن أبيه في قصة السفاح ، فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل على السفاح يوم عرفة بكرة فوجده صائما ، فأمره أن يحادثه في يومه هذا ثم يختم ذلك بفطره عنده . قال : فحادثته حتى أخذه النوم فقمّت عنه وقلت : أقيل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك . فذهبت فنمت قليلا ثم قمت فأقبلت الى داره ، فاذا على بابه بشير يبشر بفتح السند وبيعتهم للخليفة وتسليم الأمور الى نوابه . قال : فحمدت الله الذي وفقني في الدخول عليه بهذه البشارة ، فدخات الدار فاذا بشير آخر معه بشارة بفتح افريقية ، فحمدت الله فدخلت عليه فبشرته بذلك وهو يسرح لحيته بعد الوضوء ، فسقط المشط من يده ثم قال : « سبحان الله ، كل شيء بائد سواه ، نعت والله الى نفسي ، حدثني ابراهيم الامام عن أبي هشام عن عبدالله بن محمد بن علي بن ابي طالب عن رسول الله (ص) أنه قال : « يقدم علي في مدينتي هذه وافدان ، وافد السند والآخر وافد افريقية ، بسمعهم وطاعتهم وبيعتهم ، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة ايام حتى أموت » . قال : وقد اتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك . فقلت : كلا ، يا أمير المؤمنين ان شاء الله . قال بلى ان شاء الله . لئن كانت الدنيا حبيبة الي فالآخرة أحب الي ، ولقاء ربي خير لي ، وصحة الرواية عن رسول الله بذلك أحب الي منها والله ما كذبت ولا كذبت الخ . . » نقل ذلك ابن كثير عن ابن عساكر وقال : وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا .

ورؤي عن النبي ﷺ أنه كتب إلى كسرى (١٦٣) وقيصر (١٦٤) كتابين (١٦٥) دعاهما إلى الاسلام وبدأ بنفسه . فوضع قيصر كتابه على الوسادة وأجابه بجواب حسن . وأما كسرى فإنه مزق كتابه وكتب إلى فيروز الديلمي (١٦٦) وهو باليمن يأمره بالمسير إلى النبي ﷺ وأخذ .

(١٦٣) لقب ماوك فارس . والمقصود هنا كسرى الثاني وهو ابرويز بن هرمز . (٥٩٠ - ٦٢٨ م) .

(١٦٤) هو هرقل الأول (٦١٠ - ٦٤١ م) .

(١٦٥) انظر نص الكتابين في كتاب « مكاتيب الرسول » ج ١ ص ٩٠ و ١٠٥ وفي كتب التاريخ والسيرة النبوية . حمل الرسالة الأولى لكسرى عبدالله بن خرافة ، وحمل الثانية لقيصر دحية بن خليفة الكلبي .

(١٦٦) هو ابو الضحاك فيروز الديلمي . أمير ، صحابي يمني، فارسي الأصل ، من أبناء الذين بعثهم كسرى لقتال الحبشة . توفي سنة ٥٣ هـ .

وفي الطبقات الكبرى والسيرة الحلبية وسيرة زيني دحلان وغيرها ان كسرى كتب الي باذان عامله على اليمن : ان ابعث من عندك رجلين جلدتين الى هذا الرجل الذي بالجحاز ، فليأتياني بخبره ، فبعث باذان قهرمانه (وهو فيروز أو بابويه) مع رجل آخر اسمه خرخره . فقدا المدينة وأعلما رسول الله بما قدما له ، فقال لهما رسول الله (ص) أرجعا حتى تأتياني غدا ، فجاءاه في الغد ، فقال لهما : ان ربي قد قتل ربه - رب باذان - كسرى في هذه الليلة ، سلط عليه ابنه شيرويه فقتله ، اخبرا باذان ذلك عني وقولا له : ان ديني وسلطاني سيبلغ الى منتهى الخف والحافر ، انك ان أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك . فخرجا وقدا على باذان وأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا كلام ملك ، واني لأراه نبيا . ولم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه يخبر بقتل كسرى ، فأسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا معه باليمن .

وقتلِهِ ، فقال : « اللهم مزقْ مُلْكَهُ » ، (١٦٧) فتمزقْ مُلْكُهُ كما ترون .
وسار إليه فيروزُ واعلمَ النبي ﷺ بما قد أمر به فيه . فقال له النبي (ص) :
« إن ربي أعلمني انه قد قتل ربك فأمسكْ عني حتى يصحَّ عندك الخبرُ .
فأتاهم الخبرُ بذلك وأسلم فيروزُ لما رأى وسمع ، ودعا مَنْ كان باليمن من
أبناء الفُرس إلى الاسلام فأسلموا . فلما خرج باليمن الكذاب العنسي (١٦٨)
يدعي النبوة كتب إليه النبي (ص) يأمره بقتله ، فدخل عليه فيروزُ
وهو نائمٌ ولوى عُنقه ودقها فقتله . وقال عليه السلام : « إن هذا
الأمر لا يزال في قريش » يعني الخلافة (١٦٩) .

(١٦٧) لما وصلت رسالة النبي (ص) الى كسرى دعا من يقرأها له ، فاذا
فيها : من محمد رسول الله ، الى كسرى عظيم فارس ، فغضب لان
رسول الله (ص) بدأ بنفسه ، ومزق الرسالة قبل أن يعلم ما فيها ،
فعاد الرسول الى النبي (ص) وأخبره الخبر ، فقال : مزق كسرى
ملكه ، وقيل دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق ، وقال : اللهم مزق ملكه .
انظر الكامل ج ٢ ص ٢١٣ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٠ وما بعدها ،
وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٧ .
(١٦٨) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي : متنبئ مشعوذ ، أسلم لما
أسلمت اليمن ، وهو من أهلها ، وارتد في أيام النبي (ص) فكان أول
مرتد في الاسلام ، وادعى النبوة ، فاتبعته مذحج ، وتقلب علي نجران
وصنعاء . واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت الى
الطائف الى البحرين والاحساء الى عدن . قتله فيروز الديلمي في
خبر طويل أورده ابن الأثير (الكامل ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٤١) .
(١٦٩) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) :
« لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان » (صحيح
مسلم ٣/٦) وفي رواية البخاري : « ما بقي منهم اثنان » . قال
الشيخ ناصر الدين الألباني : والمراد به (الأمر) هنا الخلافة . يعني لا
يزال الذي يليها قرشياً . والحديث خبر بمعنى الأمر ، فهو كقوله
(ص) : « الأئمة من قريش » . وهو حديث صحيح ، بل قال الحافظ
ابن حجر : انه متواتر ، فقول بعض الاحزاب الاسلامية : انه حديث
ضعيف ، مما يدل على جهلهم بالسنة أو انحرافهم عنها .

وقال ﷺ للعباس عمه وقد أتاه بعبد الله رحمة الله عليهما صغيراً : « إن هذا سيكون من أفقه أمّتي وأعلمهم بالتأويل والتنزيل » ودعا له وتقل في فيه وقال : اللهم فقته في الدين وعلمه التأويل (١٧٠) . فكان كما قال « وسمي لذلك الحبر (١٧١) » .

ومِن الدلائل على ما يوجب الله للنبي عليه السلام والمؤمنين به ما جاء في الأحاديث المشهورة الشائعة من استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما عام الرمادة (١٧٢) ، فإنه أخذ بيده وتقدم وقال : اللهم إنا جئناك نستسقيك ونستشفع إليك بعَم نبيك « فما برحوا حتى ارتفعت سحابة ثم أرسلت مطراً جوداً (١٧٣) » . وكان يقول لأصحابه : « والذي بعثني بالحق إن كنتم أمسيتم وضعاء لتشرقن حتى تصيروا نجوماً يهتدي بكم المهتدون » . ويقال أن فلاناً حدث عن رسول الله (صلم) وقال عنه كذا وكذا « فقد ترون ذلك كما قال .

وروي أن عكرمة بن أبي جهل (١٧٤) قتل في الحرب رجلاً من الأنصار وعكرمة يومئذ مشرك فتبسم النبي (صلم) « فقال له رجل من الأنصار : يا رسول الله تبسمت أن قتل رجل من قومك رجلاً منسأ ؟ قال : « لا » ولكن تبسمت لأنها جميعاً في درجة واحدة في الجنة »

(١٧٠) انظر حديث رسول الله (ص) في ابن عباس في كتاب الإصابة لابن حجر .

(١٧١) الحبر : العالم .

(١٧٢) سنة ١٨ هـ .

(١٧٣) للتوسع في ذلك ، راجع « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ج ٢ ص ٥٥٥ ، حوادث سنة ١٨ هـ .

(١٧٤) من صناديد قریش في الجاهلية والاسلام . أسلم بعد فتح مكة ، وحسن اسلامه ، فشهد الوقائع ، وولي الأعمال لأبي بكر رضي الله عنه . استشهد في اليرموك ، أو يوم مرج الصفر .

فأسلم عكرمة بعد ذلك واستشهد في وقعة أجنادين (١٧٥) بالروم .

وقال عليه السلام لعدي بن حاتم (١٧٦) : أسلم يا عدي تسلم ،
أظن الذي يمنعك يا عدي من ذلك خصاصة (١٧٧) تراها بمن حولي وإنك
تري الناس علينا إلشبا واحداً . هل رأيت الحيرة ؟ قال : قلت لا ، قال :
يوشك الظعينة أن ترحل بلا جوار حتى تطوف بالبيت . ولتفتحن
علينا كنوز كسرى بن هرمز ثلاث مرات . قال عدي : فلقد رأيت جميع
ما قال عليه السلام (١٧٨) . وقال أبو بكر رضي الله عنه حين ارتدت

(١٧٥) حول اسلام عكرمة واستشهاده ، راجع « الاصابة » و « تهذيب
الاسماء واللغات » ج ١ ص ٣٣٨ ، و « الكامل في التاريخ » انظر
فهرسته ، و « رغبة الأمل » ج ٧ ص ٢٢٤ .
(١٧٦) سبقت ترجمته .

(١٧٧) في مسند أحمد ومعجم البغوي وصحيح البخاري : غضاضة .
(١٧٨) عن أبي عبيدة بن حذيفة قال : قال عدي بن حاتم : لما بعث النبي
(ص) كرهته كراهية شديدة ، فانطلقت حتى كنت في أقصى الأرض
مما يلي الروم ، فكرهت مكاني أشد من كراهته . فقلت : لو أتيت ،
فان كان كاذبا لم يخف علي ، وان كان صادقا اتبعته ، فأقبلت ، فلما
قدمت المدينة استشرفني الناس فقالوا : عدي بن حاتم : فأتيته فقال
لي : يا عدي أسلم تسلم . قلت ان لي ديناً ، قال : أنا أعلم بدينك
منك ، ألسنت تراس قومك ؟ قلت : بلى . قال : ألسنت تأكل المرباع ؟
قلت : بلى . قال : فان ذلك لا يحل لك في دينك ، ثم قال : أسلم
تسلم . قد أظن انه يمنعك غضاضة تراها ممن حولي ، وانك ترى الناس
علينا إلشبا واحدا . قال : هل أتيت الحيرة ؟ قلت : لم آتتها وقد علمت
مكانها . قال : يوشك أن تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف
بالبيت . ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز . فقلت : كسرى بن
هرمز ؟ قال : نعم ، وليفضلن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته .
قال عدي : فرأيت اثنتين الظعينة وكنت في أول خيل أغارت على
كنوز كسرى وأحلف بالله لتجيئن الثالثة « رواه أحمد في مسنده
والبغوي في معجمه ، وآخر الحديث عند البخاري من وجه آخر .

العرب^(١٧٩) . ووجه إليهم بالجيوش : إن رسول الله (صلعم) قد وعد المسلمين بالنصر والفتح من الله . وإن الله يظهر دينه على كل دين ولن يخلف الله وعده . فقد صدق الله ظنه وحقق قول النبي (صلعم) وارتفع الشك^٤ .

(١٧٩) انظر في اخبار الردة « الكامل في التاريخ » ج ٢ ص ٣٤٢ وما بعدها، وغيره من كتب التاريخ .

الباب السادس

في امية النبي صلى الله عليه وسلم وان الكتاب
الذي انزله الله عليه وانطقه به آية للنبرة

ومن آيات النبي (صلعم) هذا القرآن ، وإنما صار آية لمعان لم أر
أحداً من مؤلفي الكتب في هذا الفن فسرها بل أطلق القول والدعوى
فيه . وما زلت وأنا نصراني* (*) أقول ويقول عم لي كان من علماء القوم
وبلغائهم ان البلاغات ليست من آيات النبوة لأنها مشتركة في الأمم كلها ،
حتى إذا اعتزلت التقليد والألف وفارقت لزاز العادة والتربية وقدبرت
معاني القرآن علمت أن الأمر فيه كما قال أهله ، وذلك اني لم أجد لأحد
عربي ولا عجمي هندي ولا رومي كتاباً جمع من التوحيد والتهليل والثناء
على الله عز وجل ، والتصديق بالرسل والأنبياء ، والحث على الصالحات
الباقيات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والترغيب في الجنة
والترهيد في النار ، مثل هذا القرآن منذ كانت الدنيا ، فمن جاءنا بكتاب

* راجع ترجمة المؤلف في أول الكتاب .

هذه نسبتُهُ ونعته وله من القلوب هذا المحلُّ والجلالة والحلاوة ومعه هذا النصرُ واليُمن والغلبة ، وكان صاحبُهُ الذي نزل عليه أُمِّيًّا لم يعرف كتابةً ولا بلاغةً قطَّ . فهو من آيات النبوة لا شكَّ فيه ولا مرية .

وأيضاً فإنِّي رأيتُ جميعَ الكتبِ المخلدة لا تعدو أن تكون إمّا في آداب الدنيا وأخبارِ أهلِها وإمّا في الدين . فأمّا كُتُبُ الآدابِ والفلسفات والطبِّ فإنَّ غرضَها ومغزاهما غير هذا الغرض ولن تُذكر مع كتب التنزيل وأما ما كان منها في الدين فأوّلُ مسمّياتِها وموجوداتها التوراة (١٨٠) التي

(١٨٠) وردت كلمة التوراة في القرآن في ١٨ موضعاً منها عشرة مواضع وردت فيها منفردة ، وسبعة مواضع وردت فيها معطوفة بكلمة انجيل ، ووردتا مرة واحدة عطفً عليهما كلمة القرآن ، قال تعالى : « وعدا عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن » . وتشير آيات أخرى إلى القرآن باسم الكتاب ، قال تعالى : « نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل » . وتبشر التوراة بقدوم النبي (ص) قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » . كما تشير بعض آيات القرآن إلى أن اليهود حرفوا التوراة كما حرفها النصارى لانكار نبوة محمد عليه السلام ، من ذلك قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » والاشارة إلى « الذين هادوا » يقصد بها اليهود ، وقوله تعالى « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه بعد ما عقلوه وهم يعلمون » والاشارة إلى قوم موسى . وقوله تعالى « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه » والاشارة إلى بني اسرائيل . وهذه الآيات الكريمة تشير إلى أن اليهود قد حرفوا التوراة لانكار ظهور نبي أمي من أبناء اسماعيل . وتشير سورة الاعراف (الآية ١٥٦ - ١٥٧) إلى التحريف في التوراة والانجيل . قال تعالى : « والذين هم

في أيدي أهل الكتاب (١٨١) . ونجدُ عامَّتَها في أنساب بني إسرائيل ومسيرها من مصر وحطَّها وترحالها وأسماء المنازل التي نزَّلوها ، وفيها مع ذلك 'سُنَنُ' وشرائع تبهرُ العُقُولَ ويعجزُ عنها حَوَلُ الرجالِ وطاقتُهم . فأما ما في القرآن من تلك الأخبار فإنما هي تذكيرٌ بأيام الله وتمثيلٌ وتحذيرٌ

بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » .

والتوراة كلمة مستعربة من أصل كلمة « تورا » العبرية بمعنى قانون ، ويقصد بالتوراة كتاب « العهد القديم » تميزا له عن كتاب « العهد الجديد » أو الانجيل ، ويؤلفان معا الكتاب المقدس ، كما يطلق اسم التوراة بصفة أخص على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (الذي يقسم الى ٢٤ سفرا عند اليهود أو الى ٣٩ سفرا عند النصارى) وتعرف الأسفار الخمسة الأولى باسم أسفار موسى ، وهي مدونة أصلا باللغة العبرية ، بينما أسفار العهد الجديد مدونة أصلا باللغة اليونانية . ومع أن اليهود ينسبون تدوين التوراة الى موسى إلا أن التحقيق التاريخي يؤكد أنها دونت في أزمنة متأخرة بأيدي مختلفة باختلاف أسلوب تدوينها . وتشتمل التوراة على مجموعة أخبار وقصص وتشريعات تكررت فيها رواية الأحداث والأحكام مما يؤيد القول بأنها دونت في أزمنة متأخرة وبأيدي مختلفة .

(١٨١) هم اليهود والنصارى تميزا لهم عن لا يدينون بدين سماوي ولا يؤمنون بكتاب إلهي كالوثنيين ، وهؤلاء يشير اليهم القرآن الكريم باسم المشركين . وجاء هذا الاصطلاح في القرآن في ثلاثين موضعا ، قال تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب » وهو إشارة الى أن الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب قد حرفت وطمس منها ما يبشر بنبوته محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وهو ما أشرنا اليه أيضا في الحاشية السابقة .

وتنذير^{١٨٢} . وأما الانجيل (١٨٢) الذي في أيدي النصارى فإنَّ جُلَّه خبرُ المسيح ومولده وتصرفه ؛ وآدابُ مع ذلك حسنةٌ ومواعظ كريمةٌ وحكمٌ جسيمةٌ وأمثال رائعةٌ وليس فيها من السنن والشرائع والأخبار إلا اليسير القليل .

وأما كتابُ الزبور (١٨٣) ففيه أخبارٌ وتسابيح ومزامير بارعةٌ الحسنِ فائقةٌ الخلاوةِ وليس فيها شيءٌ من السنن والشرائع . وأما كتابُ أشعيا (١٨٤) وارميا (١٨٤) وغيرهما من الأنبياء فجُلُّها لَعَنُ لبني اسرائيل وبشارات بالخزي المعدَّ لهم وإزالةُ النعم عنهم وإنزال النقم والسطوات بهم وهناتٌ سوى ذلك ، قد لسن وطعنَ عليها الزنادقةُ الحَبَثَةُ ، وقالوا انَّ الحكيمَ الرحيمَ يتعالى عن أن يُوحى بمثلها ويأمر بما فيها من رشِّ الدماءِ على المذابح وعلى ثياب الكهنة والأئمة وإحراق العظام وذِكْرِ الرُفُوثِ والفُرُوثِ وما أشبهه وتتابع الغضبِ والسخطاتِ والإستينانِ بالجلالِ عن البُيُوتِ إذا

(١٨٢) سبق التعريف بالانجيل .

(١٨٣) زبر الكتاب وزبره : كتبه . والزبر : الكتابة ، والزجر عن الباطل ، والزبر : الكتاب ، والجمع زبور ، وكتبنا في الزبور ، أي في المزبور وهو المكتوب . ويشمل جميع الكتب المنزلة ، وغلب على مزامير داود عليه السلام وكلها حكم ومواعظ ، وكان إذا قرأها بصوته المؤثر ترنو له الوحوش وتسبح معه الطير والجبال . وزبر الأولين : كتبهم ، مثل التوراة والانجيل . والمقصود هنا مزامير داود . قال تعالى « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً » وقال « إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعد ، وأوحينا الى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً » وقال « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون » .

(١٨٤) سبقت تراجم أنبياء بني اسرائيل صفحة ٤٨ - ٤٩ .

تَلَمَّعَتْ جَدْرَانُهَا بِالْبَيَاضِ ، لَأَنَّ ذَلِكَ بَرَصٌ يَعْتَرِي الْبُيُوتَ . وَمَا أَمْرُ بِهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ بِأَنْ يَمْشِيَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مُصْلِحِينَ وَأَنْ يَتَجَالَدُوا صَابِرِينَ حَقَّ يَتَفَانُوا ضَرْبًا وَخَبْطًا ، ففَعَلَ الْقَوْمُ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْنُوا وَأَجَابُوا إِلَى التَّفْسَانِي وَالِاسْتِقْتَالِ وَلَمْ يَتَنَبَّهُوا ، وَمَنْ سَارَعَ إِلَى مِثْلِهَا فَهُوَ مُطِيعٌ وَلَيْسَ بِعَاصٍ وَوَلِيٌّ وَلَيْسَ بِعَدُوٍّ ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْأُولِيَاءُ وَأَهْلُ الطَّاعَةِ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالتَّفَانِي وَالتَّقْتِيلِ .

ثُمَّ أَمَرَهُمُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يَأْتُوا جِبَلَيْنِ مُتَقَارِبَيْنِ ، وَيَضَعَا أَحَدَ الْجِبَلَيْنِ سِتَّةً أَحْيَاءٍ مِنْهُمْ وَيَضَعَا سِتَّةَ أَحْيَاءٍ الْجِبَلَ الْآخَرَ ، وَأَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ مِنْهُمْ نَوَامِيسَ (١٨٥) التَّوْرَةِ الَّتِي لَا يَحْمِلُهَا الرِّجَالُ وَلَا الْجِبَالُ نَامُوسًا نَامُوسًا وَسَنَّةً سَنَّةً وَيَقُولُونَ إِنَّ مَنْ خَالَفَ هَذِهِ النِّوَامِيسَ وَقَصَّرَ فِيهَا وَأَضَاعَ شَيْئًا مِنْهَا فَهُوَ مُلْعُونٌ وَتَجَاوَزَ بِهِمُ الْقَبَائِلُ الَّتِي عَلَى الْجِبَلِ الْآخِرِ بِالتَّأْمِينِ لِأُولَئِكَ اللَّاعِنِينَ بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ فَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا عَمَّهُ بِاللَّعْنَةِ . وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَلْعَنُوا أَعْقَابَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مُجْتَهِدِينَ طَائِعِينَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ غَيْرَ مُخَالَفِينَ ، فَصَارُوا إِلَى الْبَوَارِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَقَرَّ بِهِمُ الدَّارُ ، وَإِلَى اللَّعْنَةِ الشَّامِلَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِيحُوا رَائِحَةَ الْغَلَبَةِ وَالسَّعَةِ .

وَفِي مِثْلِ قَوْلِ حَزَقِيَّالِ النَّبِيِّ ، أَنْ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَخْلُقَ رَأْسَهُ وَلَحْيَتَهُ بِسَيْفٍ صَارِمٍ حَسَادٍ . وَمِثْلُ قَوْلِ هُوشَاعِ النَّبِيِّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ مَشْهُورَةٍ بِالزَّانَةِ فَوُلِدَتْ لَهُ ابْنَتَيْنِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْمِيَ أَحَدَهُمَا «لَا أَرْحَمُ» وَالثَّانِي «لَيْسُوا حِزْبِي» لِيَعْلَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنِّي لَا أَرْحَمُهُمْ وَلَا أَعْتَدُهُمْ أَوْلِيَاءَ وَحِزْبًا . وَقَالَ هُوشَاعُ عَنِ اللَّهِ فِي الْيَهُودِ : إِنَّ أُمَّتَهُمْ زَانِيَةٌ وَأَنَّهُمْ

(١٨٥) الناموس صاحب السر المطاع على باطن أسرك . والناموس أيضا الكذاب والنمام . والمقصود هنا الشريعة .

وُلِدُوا لغير رَشْدَةٍ . وقولُ بعضِ الأنبياءِ لليهود عن الله ان أمَّكم أعجَبَتْهَا ذُكُورُ أَهْلِ مصر . وخطب أشعيا على بني اسرائيل بخطبةٍ ثم قال : انَّ قائلَ ذلك هو الربُّ الذي نورُ بصهيون^(١٨٦) وتَنُورُهُ ببيتِ المقدسِ .

فأمَّا القرآنُ فلن يُوجدَ فيه حرفٌ ممَّا يُشبه ذلك ، بل منسوجٌ بالنوحيد والتهاليل والتحاميد والسُّنن والشرائع والخبر والأثر والوعود والوعيد والرغبة والرهبنة والنبوات والبشارات بالأمور الجميلة التي تليق بحلال الله وحكمته وطوله وبَسْطُ الأمل في الغفران والرافة وقبول التوبة والمعاني التي ترتاحُ لها الأنفسُ وتستريح إليها الآمال فلا تقنط . بل يقول الله فيه : **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**^(١٨٧) . **وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**^(١٨٨) . ويقول : **« يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »**^(١٨٩) . ولذلك استحقَّ أن يُقال ان هذا الكتاب آية من آيات النبوة إذ لم يكن له نظيرٌ مذ خلقَ الخلقُ وخطَّ في الرِّقِّ . وإنه ليشتملُ على فضائل أخرى باهرة ذات أنوار وأسرار وهي : انَّ تلك الكتب ، بل هذه التي للحكماء خاصة ، إنما ألَّفها قومٌ أدباء علماء بعد تفكُّرٍ وارتياض ، وبعد أن نشأوا في المدُن وسمعوا الأخبار وثافنوا^(١٩٠) العلماء .

(١٨٦) تلة في بيت المقدس عليها المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة وهيكل سليمان .

(١٨٧) البقرة : ١٧٣ ، واللفظ في ٧١ آية .

(١٨٨) آل عمران : ١٣٥

(١٨٩) الزمر : ٥٣

(١٩٠) ثافنه : جالسه ، كأنه ألصق ثفنة ركبته بثفنة جليسه . وثفنه : لزمه ، ودفعه .

فأما النبي (صلعم) ، فلم يكن كذلك ، بل أمّي أبْطَحِي لم يسمع من مصري ولا رومي ولا هندي ولا فارسي ، ولا اختلف إلى مجالس الأدباء لطلب أدب وقراءة كتاب ، وجاء بكلام بهر أهل اللغة وغمر أهل الفصاحة والصلاح . وخضعت له رقاب الأمة ، فإنه قال عن الله عز وجل : « قل فأتوا بعشر سُورٍ مثله مفتريات وادعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (١٩١) . وقال : « قل فأتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (١٩٢) . فما كان في القوم مَنْ تَزَمَزَمَ ونطق بل بَصْبَصُوا وادعُوا ودانوا . وقد يحتج علماء أهل الذمة (١٩٣) بأن النبي عليه السلام كان أمّيًا وإن الله لا يبخل على أنبيائه برسم الكتابة إذ كان أحسن ما اختصهم به وأقل ما علمهم من غيبه وآياته ، والجواب فيه أن الله تعالى خصّ كلاً منهم بما رأى جلّ وعزّ ، فمنهم الخطيب البارع مثل داود ، ومنهم التّمّام (١٩٤) والألشغ (١٩٥) مثل موسى . ومنهم من أحيّا الميت دون غيره (١٩٦) . ومنهم من فلق

(١٩١) هود : ١٣

(١٩٢) البقرة : ٢٣

(١٩٣) اصطلاح يقصد به اليهود والنصارى . والذمة لغة هي العهد والعقد والأمان . وفي الحديث « يسعى بذمتهم أدناهم » . ويعرف أهل الذمة بأهل العهد وأهل الكتاب .

(١٩٤) الذي يتردد في التاء

(١٩٥) اللّغة النطق بالسين كالشاء أو بالراء كالفين أو كالياء . والألشغ من كان بلسانه لثغة . أنظر كلام الجاحظ على اللثغة والحروف التي تدخلها في « البيان والتبيين » (١ : ٣٤ و ٧١) .

(١٩٦) النبي الذي أيده ربه بالمعجزات الباهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص هو عيسى عليه السلام . وقد وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم بلفظ المسيح ١١ مرّة ، ولفظ عيسى ٢٥ مرّة ، وبكنيته ابن مريم ٢٣ مرّة .

البحرَ وفجّرَ من الصخر ينابيعَ المياه (١٩٧) ولم يُعطِ ذلك غيره . ومنهم حكيمٌ كاتبٌ مثل سليمان (١٩٨) . ومنهم أمّيٌّ مثل داوود ، فإنه قال في زبورهِ : « من أجل إني لم أعرف الكتابة » فلم يُزِرْ ذلك به كما انه لم يُزِرْ بالمسيح أن لا يكون ملاعبَ الأسنةِ أو من رُماةِ الحدقِ أو لا يكون ماسحاً ولا مُهندِساً . وكما أنه لم يُزِرْ بموسى أن لا يكونَ كَسِيناً خطيباً أو ماشياً على الهواءِ وأن لا يكونَ أبرأ الأكمة والأبرصِ . وأن لم يُزِرْ به وبداوود ونُظَرائِهِما عليهم السلام ، أن لا يكونَ اللهُ رفعهما إلى السماء كما

(١٩٧) النبي الذي فلق البحر وفجّرَ من الصخر ينابيع المياه هو موسى بن عمران عليه السلام . قال تعالى : « واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل اناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين » (البقرة : ٦٠) وقال : « وأوحينا الى موسى اذ استسقاها قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم ، وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون » (الاعراف : ١٦٠) وقال تعالى في قصة موسى مع فرعون : « فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إنّ معي ربي سيهدين . فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم » (الشعراء : ٦١ - ٦٣) .

(١٩٨) خصّه الله بخصوصيات خارقة للعادة ، فقد علمه منطق الطير ، وسخر له الريح ، كما سخر له الجن تقضي حاجاته ، وتصنع له العجائب . ويعتبر عصره عصر الخوارق والعجائب ، وفي القرآن الكريم قصص تشير الى ذلك ، مثل قصة بلقيس ملكة سبأ ، وقصة وادي النمل ، الخ . وقد لقب بالحكيم لرجاحة عقله .

رفع غيرهما (١٩٩) . فليس لقائل أن يقول بجَلَّ على فلانِ النبي بما جاد به
لفلانِ النبي بل قائل ذلك مُعاندٌ ماردٌ .

أما نرى أنه لم يُعَبَّ شمعونُ الصفا ولا متَّى ولوقا تلامذةُ المسيح عليه
السلام بأن لم يكونوا بلغوا مَدَى فولوس في بلاغته وبيانِه ، وكذلك النبي
ﷺ لم يشنّه أنه أمّتي مثل داود ، بل جعل الله ذلك آيةً باهرةً وحجةً
على مَنْ كَفَرَ به من قَوْمِه إذ كان قد صحَّ عند الأمم وأهلِ الذمّةِ أنه لم
يجيء بهذا القرآن بفضلِ بيان أو حكمةٍ أَرْضِيَّةٍ . ولقد كان عليه السلام
مُوجِزاً في كلامه نَزُوراً يذمُّ المِكْثَارَ المِهْذَارَ ويترسّل في القول ، بلغنا أن
عائشة رضي الله عنها كانت تقول : انه لم يكن النبي (صلعم) يَسْرُدُ الكلامَ
سَرْدَكُم ، كان كلامه نَزُوراً وأنتم تَنْشُرُونَه نَثْراً . ولقد ذهب يوماً
يتسكّم فضاقَ به فسكت ثم قال : « إن هذا البِكاءَ أمرٌ يكون في الأنبياءِ » .
والبِكاءُ الإقلالُ ، من قولهم بِئْرٌ بِكِيَّةٌ أي قليلةُ الماءِ ، وشاةٌ بِكِيَّةٌ
إذا كانت مُنْقَطَعَةَ اللبنِ .

وسَمِعَ عليه السلام واحداً يَتَشَدَّقُ وَيُشَقِّقُ الكلامَ ، فقال له اسكت ،
ثم أقبلَ على مَنْ حَضَرَ فقال : « قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان
إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربكم مني يومَ القيامةِ أحسنُكم عملاً ، وإنَّ أبغضكم
إليَّ وأبعدكم مني يومَ القيامةِ أسوأكم عملاً ، وإنَّي أبغضُ الثرثارينَ والمُتَشَدِّقِينَ »

(١٩٩) النبي الذي توفّاه الله ورفعَه الى السماء هو عيسى ابن مريم . قال
تعالى : « وقولهم إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وما
قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك
منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله
اليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً » (النساء : ١٥٧/١٥٨) .

والمتفهمين . فالأممية التي عابها أهلُ الذمّة غيرُ مُزريّةٍ به ولا عاتبة بل
حجّةٌ وبرهانٌ مُنيرٌ . فلو جاءَ بمثل هذا الكتاب الذي قد وصفتهُ رجلٌ
أديبٌ خطيبٌ لكان كذلك آيةً من الآيات ، فكيف إذا جاء به رجلٌ
بدويٌّ أمّيٌّ . فإنّ ذلك يشهدُ له ان الله أنطقه وروح القدس سدّده
له وأعانه عليه .

الباب السابع

في ان غلبة النبي صلى الله عليه وسلم آية من آيات النبوة

ومن آيات النبي عليه السلام هذه الغلبة التي احتج بها المسلمون كافة ، وقد كنت أقول فيها مثل الذي قال غيري من النصارى ، ان الغلبة أمر مشترك في الأمم وما كان مشتركاً فليس بآية من آيات النبوة ، حتى إذا أفقت من سكرة التثيه ، وهببت من سنة الحيرة ، وانجابت عني فتنة التقليد (٢٠٠) علمت أن ذلك ليس كما قالوا . وذلك انه ﷺ خرج وحيداً فريداً يتيماً عائلاً كما قال الله عز وجل : « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » (٢٠١) . فدعا العرب قاطبة والأمم عامة إلى الإيمان بالله عز وجل ، والناس يرمونه عن قوس واحدة ويزدرون به ويتشاورشون له ، فما نهته ذلك ولا فلتة ، بل باح بالدين ولم ينكفيت ومضى قدماً لما أمر الله ولم يلتفت . فلما رآهم

(٢٠٠) أي بعد أن هداه الله الى الاسلام . قال تعالى : « ومن يهد الله فما له من مضل » (الزمر : ٣٧)

(٢٠١) الضحى : ٦ - ٨

يَنْسَبُونَ أَمْرَهُ وَيَتَهَمُونَهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ طَوْعًا أَدْخَلَهُمْ فِيهِ كَرَاهًا، حَتَّى ظَهَرَتْ الدَّعْوَةُ وَدَانَتْ الْعَرَبُ قَاطِبَةً ۖ وَتَتَابَعَتْ فِيهِمُ الْآيَاتُ وَالنَّبَوَاتُ وَاحْتَلَوْا لَهُمُ الدِّينُ وَسَطَعَ الْيَقِينُ ، فَبَلَغَ مِنْ حُبِّهِمْ لَهُ بَعْدَ الْبَغْضَةِ وَانْقِيَادِهِمْ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ مَا قَدْ يَرَوْنَ وَيَسْمَعُونَ .

فَمَنْ ادَّعَى غَلْبَةً كَانَتْ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ الدُّنْيَا، لَهَا مِنَ الشَّرَاطِطِ وَالْمَحَاسِنِ، وَالِدَعَاءِ إِلَى خَالِقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالتَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ وَالْفَوَاحِشِ وَالنَّجَاسَاتِ ۖ ثُمَّ ظَهَرَتْ هَذَا الظُّهُورَ وَالْإِسْتِعْلَاءَ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا وَآفَاقِهَا وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا ۖ مِنْ لَدُنِ الشُّؤْسِ الْأَقْصَى (٢٠٢) إِلَى فَيَافِي التُّرْكِ وَالتَّبَتِّ (٢٠٣) بِالْبَكَّائِينَ وَالْبَهَائِلِ ، وَالْإِشَارَةِ بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَكَانَ لِدُعَائِهِ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْإِطْرَاحِ لِأَسْبَابِهَا وَرَفْعِ الْهَمِّ وَحُسْمِ النَّفُوسِ عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ ۖ وَالْقُنُوعِ بِالْقُوتِ الْمَمْسُوكِ ۖ وَالْأَمْرِ بِالتَّسْوِيَةِ فِي الْقَسَمِ وَالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ ۖ حَتَّى لَوْ أَنَّ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا قَتَلَ ذِمِّيًّا كَافِرًا قَتَلَ الْمُسْلِمُ بِهِ قَوْدًا وَعَدْلًا (٢٠٤) ، عَلَّمْنَا عَلِيمًا يَقِينًا أَنَّ تِلْكَ الْغَلْبَةُ

(٢٠٢) منطقة في المغرب الأقصى . راجع معجم البلدان لياقوت .

(٢٠٣) التَّبَتُّ الآن دولة في آسيا الوسطى تحيط بها الجبال الشامخة منها حملايا . وهي دولة دينية رئيسها دالاي لاما وعاصمتها لاسا ، المدينة المقدسة عندهم .

(٢٠٤) بالنسبة للكافر الحربي ، فإن المسلم إذا قتله ، فإنه لا يقتل به أجماعا ، وأما بالنسبة للذمي والمعاهد ، فقد اختلفت فيهما أنظار الفقهاء ، فذهب الجمهور منهم إلى أن المسلم لا يقتل بهما لصحة الأحاديث في ذلك ، ولم يأت ما يخالفهما .

وقالت الأحناف وابن أبي ليلى : « أن المسلم إذا قتل الذمي أو المعاهد بغير حق ، فإنه يقتل بهما ، لأن الله تعالى يقول : « وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ » .

وقال مالك والليث : « لا يقتل المسلم بالذمي ، إلا أن يقتله غيلة ، وقتل الغيلة أن يضجعه فيذبحه ، وبخاصة على ماله » .

للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب « فقه السنة » (٥٢٧/٢) « والفقه على المذاهب الأربعة » المجلد الخامس .

تقوم مقام آيات النبوات لا محالة .

فأما ما عارضونا به من غلبات الأمم فإنهم إذا فارقوا الأهواء التي
تُعْمي وتُصم ، وميزوا العلل ، علموا أن غلبة الاسكندر وأردشير بن
بابك (٢٠٥) وغيرهما لم تكن في الله ولا للدعاء إلى الله ولا إلى أنبيائه ، بل
لطلب الغلبة والعز والسمعة ، وهم من بين دهرى (٢٠٦) أو ثنوي (٢٠٧) أو

(٢٠٥) أردشير اسم أطلقه المسلمون على عدد من ملوك الفرس من
الساسانيين أو الأكاسرة . ويعرف أردشير في المصادر الفارسية
القديمة باسم « ارتخشتر » أو « ارتخشيرشا » . وأردشير بن بابك
(أردشير الأول) هو مؤسس السلالة الساسانية (نحو ٢٢٦ - ٢٤١) .
كانت بينه وبين أخيه سابور حروب انتهت بموت الثاني . كما قتل
أخوته خشية الثورة عليه ، ثم أخضع العرب النازلين على مصب
دجلة وساحل الخليج ومد سلطانته إلى خراسان شرقا وميديا غربا ،
وارتبطت سيرته بكثير من القصص في المراجع العربية .

(٢٠٦) الدهرية مذهب اعتقادي اشتق اسمه من الدهر والقول بأزليته
وقدمه ، وإن الحياة بما في ذلك أفعال البشر تجري نتيجة للقوانين
الطبيعية . وقد نشأت هذه الفرقة في العهد العباسي ، وتأثرت
بالفلسفة اليونانية ، واعتبر اتباعها من الزنادقة لأنهم لا يسلمون
بوجود الله أو بأنه تعالى خالق هذا الكون ومدبره ، ويعتقد الدهرية
أن حياة الإنسان مدارها اللذة والألم في حدود المنفعة المادية كغيره
من أنواع الحيوان .

(٢٠٧) الثنوية مذهب ديني فلسفي يقول بأن العالم مركب من أصليين
قديمين أزليين ، هما النور والظلمة ، يختلفان في الجوهر والطبع
والصفات والفعل ، فجوهر النور الصفاء والنقاء والجمال ، وجوهر
الظلمة القبح واللؤم والكدر ، وفعل النور الخير والصلاح والنظام
والاختيار . وفعل الظلمة الشر والفساد والفوضى ، ومن أجناس
الظلمة الدخان والحريق والسموم .

والثنوية مذهب قديم شاع خاصة في بلاد فارس (إيران) قبل

وَتَنِيَّ . فهذه لا تُقاس بغلبة الاسلام وجلالته وإشراقه ، ولهذه الغلبة
 بَيِّنَةٌ أُخْرَى كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ وهي أنها لن تَخْلُوَ أَنْ تَكُونَ من الله أو من
 الشيطان ، فإنْ أَقْرَأُوا أنها من الله فالإسلامُ إِذَا حَقَّ يَجِبُ عليهم قبوله
 والدخولُ فيه ، وإنْ زَعَمُوا أنها من الشيطان فالشيطانُ إِذَا موافقٌ لله وأنبيائه
 غيرُ مخالفٍ ، ومُطِيعٌ غيرُ عاصٍ ، إِذْ كَانَ يَنْصُرُ مَنْ دَعَا إِلَى الله الفرد
 الدائم ، ويُظْهِرُ دِينَ مَنْ أَمَرَ بالصوم والصلاة ، وَيَنْهَى عن الفجور والكفر
 والفحشاء والمنكر ، وَمَنْ جَعَلَ تَكْبِيرَ الله وتمجيدَهُ شعاراً عند اللقاءِ
 ومقدِّمته عند الزحاف وجُنَّتْهُ عند المداعسة والجلاد ، وإنْ مَنْ ظَنَّ
 بالشيطان أَنْ يُعَيِّنَ عَلَى إظهار مثل هذا الدين وتأييده فقد أَحْسَنَ فِيهِ الظَّنَّ
 وَقَالَ فِيهِ الْجَمِيلَ وكَذَّبَ مَا قَالَ الله وأنبياءَهُ فِيهِ . كيف يُعَيِّنُ الشيطانُ
 مَنْ دَعَا إِلَى مثل هذا الدين ، وفيهِ النجثاتُ أَصْلُهُ ، وانبثاتُ أسبابِهِ ،
 وإبادةُ جميعِ عِبَادَتِهِ ودُعَاتِهِ .

وقد ظنَّ قومٌ من الفَسَاقَةِ بالمسيح عليه السلام مثل ذلك ، وقال فيه

المسيحية وبعدها وانتسبت اليه فرق تحمل أسماء أصحابها أقدمها
 الزرادشتية نسبة الى زرادشت وكان يمثل النور والظلمة بـ « يزدان
 واهرمن » ، ومنها الديصانية نسبة الى ديسان والمناوية نسبة الى
 ماني ، ثم المزدكية نسبة الى مزدك الذي قتل ابان حكم أنو شروان ،
 ومن الثنوية الطائفة « المرقونية » التي حاولت أن تمزج بينها وبين
 المسيحية .

وتقول الثنوية بأن هذا العالم نشأ عن امتزاج هذين الأصلين الأزليين
 ولكن الطوائف الثنوية اختلفت في تقرير طريقة هذا الامتزاج ، فمنهم
 من قال بأن النور وهو الذي يمثل عنصر الخير قصد اصلاح الظلام
 الذي يمثل عنصر الشر ، ومنهم من قال بأن امتزاج الخير بالشر
 حدث مصادفة ، ولم تتأثر الفرق الإسلامية العديدة بمذهب الثنوية
 الا قلة يسيرة اتهمت بالزندقة ، ذلك ان الاسلام يقوم على أصل
 أصيل وهو الوحدانية أو التوحيد وهو ما يتنافى مع القول بالثنوية .

رَبَّانِيُو الْيَهُودَ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ بِرئيس الشَّيَاطِين ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَسِيحُ : إِنْ كُلٌّ مَمْلُوكَةٌ تَفْتَنُ عَلَى نَفْسِهَا فَإِنَّمَا تَهْلِكُ وَلَا تَقُومُ ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ يَقَعُ فِيهَا التَّشْتِيتُ وَالْخِلَافُ فَإِنَّمَا لَا تَدُومُ وَلَا تَثْبُتُ ، قَالَ : فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ هُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَكَيْفَ يَدُومُ مُلْكُهُ وَعِزُّهُ ؟ فَبِهِتَ الْيَهُودُ عِنْدَ ذَلِكَ . فَهَذِهِ حُجَّتُنَا عَلَى مَنْ قَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ فِي الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّ مِمَّا أَدَّى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الشَّيْطَانِ قَوْلُهُ : « أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » (٢٠٨) وَقَوْلُهُ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » (٢٠٩) . وَقَوْلُهُ : « فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » (٢١٠) وَقَوْلُهُ : « لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبَعُكَ مِنْهُمْ أُجْمَعِينَ » (٢١١) . وَقَوْلُهُ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ » (٢١٢) . وَقَوْلُهُ : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ النَّوَاسِطِ الْخَنَّاسِ » (٢١٣) وَلَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالاستعاذة منه فِي كُلِّ صَلَاةٍ وَوَقْتٍ فِي قَوْلِهِ : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٢١٤) .

فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَنْصُرُ مَنْ يَلْعَنُهُ وَيُنْذِرُ النَّاسَ شَرَّهُ ، لَمْ نَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْأَدْيَانِ بِاسْمِ اللَّهِ الْفَرْدِ الْوَاحِدِ هُوَ مُوَافِقٌ لِلشَّيْطَانِ وَمِنْ عِنْدِهِ . وَقَدْ أَجْمَعَتِ الْأُمَّمُ كُلُّهَا عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يَأْمُرُكَ بِالشَّرِّ

(٢٠٨) المجادلة : ١٩ (٢٠٩) فاطر : ٦ . (٢١٠) سورة ص : ٧٧ - ٧٨ .

(٢١١) سورة ص : ٨٥

(٢١٢) النور : ٢١ (٢١٣) الناس : ١ - ٤ .

(٢١٤) أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

بالله وعبادة الأوثان والنيران ■ ويُزَيِّن الزناءَ والفجورَ والغدرَ، وفيه محبَّتُه
ووسوستُه ■ وأنه عدوُّ الله وعدوُّ لانبِيائِه الذين يأْمرون بخلاف ذلك كلِّه .
فالله إذا برى من حزب الشيطان والشيطانُ برى من حزب الله وأوليائه ■
وهذه الغلبةُ من الله لا من غيره .

الباب الثامن

في ابن الداعين الى دينه والشاهدين بحقيقة
امره كانوا خيار الناس وابرارهم

وقد ظن قومٌ بحواريي النبي ﷺ الزورَ والزيغَ وقالوا فيهم فأتوا
وحادوا عن سبيلهم فضلُّوا . وأنا ذاكرٌ من فضائلهم وزهدهم وتورعهم
ما يدعو إلى حسن الظنِّ بهم ويُكفِّ عن تنقُّصهم .

في زهدِ ابي بكر رضوانُ الله عليه

فأولُّهم ابو بكر (٢١٥) رضي الله عنه ، بلغ من زهده في الدنيا واستهانته
بها وتنزُّهه عنها أنه دُعي إلى الخلافة وهي أرفعُ أمور الدنيا قدراً
وأعظمُها شأنًا وأجمعُها لكل عزٍّ ورفعةٍ وقهرٍ ولذةٍ عاجلةٍ وآجلةٍ

(٢١٥) أنظر في سيرة أبي بكر الصديق « أشهر مشاهير الاسلام » و « عمدة
التحقيق في بشائر آل الصديق » و « أبو بكر الصديق » لمحمد حسين
هيكل ، ومثله لعلی الطنطاوي ، ومختلف كتب التاريخ .

وأجلبها لكل أُمّية ، فامتنع منها وتابّها حتى أكرهوه عليها فطاف على الناس بعد أيّام وهو يقول بأعلى صوته : هل من مُقيلٍ هل من مُقيلٍ ؟ فلما لم يُجبّه أحدٌ خطب الناس وقال : إن بيعتي هذه كانت فَلَنتَةً وانما قبلتها أني خشيتُ الفتنَةَ ، والله ما حرّصتُ عليها يوماً ولا ليلةً ولا سألتُها الله سرّاً ولا علانيةً وما لي فيها راحةٌ ولا لي بها طاقةٌ . فهل سمع السامعون برجلٍ أنبلَ من هذا نبلاً وأبلسَ ورعاً وأرفعَ همةً إلى الأمور السماوية ؟

وقد بلغ من عفّته وتوقّيته أنه قدّر لنفسه في كل شهرٍ من الرزق ستين درهماً من مال المسلمين . ويقال انه سأل أن يؤخذَ منه ماله ويُدخلَ في بيت مال المسلمين ويُنفقَ من رزقه كما يُنفقُ غيره فأبى المسلمون ذلك ، فقال لهم هذه خلافتُكم ردّ عليكم ، لا والله لا أليها إلا على هذا . فأجابوه إلى ذلك . وبلغنا أنه رضوان الله عليه رُئي بعد أن استُخلفَ بأيّامٍ وهو يرفعُ قميصه لمن زاد . وقيل له في مرضه ندعو لك الطبيب ؟ فقال : « قد رأيَني الطبيبُ » قالوا : فما قال لك ؟ قال : « إنه يفعل ما يشاء » يعني الله ، فلما اشتدّتْ علتهُ قال : أين طبيبُكم هذا ليردّها إن كان صادقاً ؟ والذي أكرّم وجهَ أبي القاسمِ ما في الأرض نفسٌ تخرجُ أحبُّ إليّ من نفسي ، ولا نفسٌ هذا الذبابِ الطائرُ ، وتعلمون ممّ ذلك . قالوا : لا . قال : لأنّي خشيتُ والله أن يحييَ أمرٌ يحولُ بيني وبين الإسلامِ » ويُريد به هفوةٌ أو خطيئةٌ .

وعهد إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عند وفاته فقال : إن حفظتَ وصيّتي يا عمرُ فإنه لا غائبٌ خيرٌ لك أن تلقاه من الموتِ وأنت لاقيه لا محالةً ، وإن ضيّعتَ عهدِي لا غائبٌ شرٌّ لك أن تلقاه ولن تُعجزه . ولما حضرته الوفاةُ أوصى إلى عمر رضي الله عنهما فقال : إني لم أصبُ من مال المسلمين شيئاً إلا هذا البَكْرَ كنتُ أحملُ عليه الماءَ فأشربُ ويشربون منه ، وهذه الجارية كانت تخدمُنِي وتخدمُكم ، وهذه القطيفة ونبذها

برجله ، ثم قال : « وقد رددت ذلك كله وأنا حيٌ سويٌ » وبلغ من خشيتِه ومِن عدلِه أنه اختصم إليه رجلان فكان أحدهما يدخل في حجة الآخر . فنهاه أبو بكر مراراً فلم يَنْتَه . فرفع الدرة . واتَّقاها الرجلُ بيده فأصاب اليَسَدَ وانكسرت ومضى الرجلُ كذلك ، فاغتم أبو بكر رضي الله عنه غمّاً شديداً وقال لِعُمَرُ : « لا وليتُ هذا الأمرَ أبداً وما أوقعني فيه غيرُك » فقال عمر : والله إن هذا الأمرَ ألزمُ لك من أذنِكَ ، إي والله يُضربُ بالخشب وبالسيف . ثم قام ومعه عُمَرُ حتى صار إلى الرجل ودفع أبو بكر الدرةَ إليه وبرك بين يديه وقال له استَقْدُ فلان ، يَكُنْ ذلك عاجلاً أحبُّ إليَّ من أن يكونَ آجلاً . فأبى الرجل وقال : لقد كنتُ على أن أروح إليك وأسألك أن تستغفر لي لأنني أغضبتك . فقال عمر للرجل : « كَتَفَعَلَنَ وَلَتَجَعَلَنَه في حِلٍّ » قال الرجل : « فأنت في حِلٍّ يا خليفة رسول الله غفر الله لك » . فقام أبو بكر وهو يقول : « غفر الله لك كما غفرت لي » وعفى عنك كما عفوت عني .

وخطب رضي الله عنه فقال : « إني وليتُكم ولستُ بخيرِكم فإن استقمتمُ فأعينوني وإن ضعفتُ فقوموني » الضعيف عندكم هو القويُّ عندي حتى آخذَ له بالحقِّ . والقويُّ عندكم هو الضعيف عندي حتى آخذَ منه الحقُّ ، الصدقُ أمانةٌ والكذبُ خيانةٌ ، ما أطعت الله أطيعوني فإذا عصيته فلا طاعةَ لي عليكم . فمن كان هذا زهده في الدنيا وقد ملكها ، وهذا قوله في الخلافة وقد أكره عليها لم يُظنْ به قبولُ الباطل والقولُ به .

في زهد عمر بن الخطاب (٢١٦) وفضائله رحمة الله عليه ورضوانه

إنه لا شيء من أمر الدنيا أجل من الخلافة ولا أقل من القوت والبلغة ،

(٢١٦) للتوسع في سيرة عمر بن الخطاب راجع « أشهر مشاهير الاسلام » و « عمر بن الخطاب » لابن الجوزي ، ومثله لعلي الطنطاوي ، و « الفاروق عمر » لـ محمد حسين هيكل ، و « عبقرية عمر » للعقاد ، و « الكامل » لابن الأثير ، ومختلف كتب التاريخ .

فمن أثنى الخلافة صَفَواً عَفَواً فَعَفَّ عَنْهَا ، ورضي بالقُوت منها ، وقنع بالعري والبؤس . وافترش الحصى وتوسّد الذراع وحسم نفسه عن كل شهوة ولذّة ، وأتى بخزائن كسرى المصنونة منذ آلاف السنين فحقّرها وقذّرها ولم يمدّ يده إلى درهم ولا دينار ولا دُرّة ولا آنية ولا جوهرة ولا حلّة ولا حلّية ولا وصيف ولا وصيفة منها ، فما في الأرض أزهّد منه ولا أعفّ ولا أكفّ . وكان إذا وُجّه جيشاً قال : « يا أيها الناس ان عليّ لكم ما ضمننتُ يوم وليتُكم ، لا آخذ من مالكم درهماً إلاّ بحقه ، وإذا صار إليّ لم أخرجهُ إلاّ في وجهه ، ولا أجترّكم في البُعوث . ولا أكلّفكم فوق طاقتكم ، وأكون أبا العيال حتى تنصرفوا » . فكان يختلف إلى منازل المغيبات فيسلم عليهنّ ويشترى حوائجنّ بنفسه وهو أمير المؤمنين ويأتيهنّ بكتب أزواجهنّ وينفذ إليهم كتبهنّ . ويقال انه رأى امرأةً مغيبةً قد حملت جرّةً فأخذ عمر رضي الله عنه الجرّة وحملها على رأسه حتى أتى بها منزلها . وأنه مرّ بشيخ نصرانيّ وهو يسأل ويقول : « اللهم احكم بيني وبين المسلمين جبوني شاباً وأسلموني كبيراً » فقال عمر : هاك عمر ، ومضى مبادراً حتى ملأ غرارةً من دقيقٍ ودعا بحمّال ليحملها ثم قال للحمّال : لا أنا أولى بحملها . فحملها على رأسه . وأتى بها الشيخ مع دراهم دفعها إليه وأجرى له في كل شهر قوته .

وَبُعِثَ إِلَيْهِ بَسَلَةٌ مِنْ حَلَسَاءٍ فَقَالَ : هَلْ أَهْدَى لْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهَا؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : « فَلَا حَاجَةَ بِي إِلَى مَرْفُقٍ أَوْ مِطْمَعٍ لَا يَعْمُ الْجَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ » وَأَمَرَ بِرَفْعِهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ . وَقِيلَ لَهُ فِي مَرَضَتِهِ : نَأْتِيكَ بِالطَّبِيبِ ؟ قَالَ : لَوْ كَانَ شِفَائِي فِي مَسْحِ أَذْنِي مَا مَسَحْتُهَا ، نَعَمْ الْمَذْهُوبُ إِلَيْهِ رَبِّي . وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّامِ وَقَدْ نَزَلَ عَنْ بَعِيرِهِ وَهُوَ يَقُودُهُ وَانْتَهَى إِلَى نَهْرٍ فَجَلَسَ وَخَلَعَ خَفَتَهُ بِيَدِهِ وَخَاضَ النَّهْرَ فَقَالُوا : « مَا رَأَيْنَا مُلْكاً فِي رَهْبَانِيَّةٍ غَيْرِ هَذَا » . وَيُقَالُ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ فِي حَائِطٍ لَهُ يَعْمَلُ ، فَسَمِعَ

صوتاً عالياً ، فقال له الحسن بن علي عليهما السلام : « يا أباي اصعدْ تر عجباً » فإذا هو بعمر يعُدُّ وخلف بعير قد دَنَدَ من مال الصدقة وهو يتصبَّب عرقاً ، قال علي رضي الله عنه : « هذا الأحوزيُّ بن حنْثَمَة الذي لَانَ في غير ضعف واشتدَّ في غير عُنف » .

ولما أتى بالهرمزان (٢١٧) ملك الأهواز (٢١٨) وعليه هيئته ولباسه والناس يتعجبون منه قال لهم : أين أمير المؤمنين ؟ قالوا : « هو ذاك النائم » قال :

(٢١٧) للتوسع في سيرة الهرمزان وقصته مع عمر والمسلمين ، راجع « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ج ٢ ص ٥٤٢ وما بعدها ، وغيره من كتب التاريخ .

(٢١٨) الأحواز (وهو الاسم الصحيح) إقليم عربي يقع غربي إيران على شاطئ الخليج العربي ، تبلغ مساحته ١٥٩٠٠٠ ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانه ثلاثة ملايين ونصف المليون عربي حسب احصاء سنة ١٩٦٢ ، وقاربة مائة ألف إيراني ، أغلبهم جاء الإقليم بعد استيلاء إيران عليه أيام رضا شاه بهلوي ليكونوا شوكة في جنب العرب . وليسيطروا على اقتصاديات الإقليم ، وليكونوا عوناً للحكومة تحصى تحركات العرب . من أشهر مدنه (١) « الأحواز » وتقع إلى الشرق من المحمرة حوالي ١٢٠ كم ، وهي مركز الإقليم ، يبلغ عدد سكانها ٢٠٠ ألف نسمة ، ونسبة العرب فيها حوالي ٧٠٪ من مجموع سكانها . أطلق العرب القدماء عليها اسم « سوق الأحواز » لتمييزها عن اسم الإقليم « الأحواز » (٢) عبادان ، وتقع جنوب المحمرة بـ ١٨ كم ، وهي من مدن الإقليم القديمة . فيها أشهر مصفاة للنفط في الشرق ، وهي ميناء لتصدير النفط . ونسبة العرب فيها أقل من ٤٠٪ من مجموع سكانها ، وذلك لوجود الموظفين والعمال الإيرانيين المشتغلين في شركة النفط .

للتوسع في تاريخ الأحواز أنظر كتاب « الأحواز - عربستان » للسيد علي نعمة الحلو ، في ثلاثة أجزاء ، وهو أفضل مرجع عن هذا الجزء من الوطن العربي الذي تحتله إيران الآن .

فأين حجبتَه ؟ قالوا : ليس له حجةٌ . قال : فأين شرَطُه ؟ قالوا : « هو شرطيٌ نفسه » قال : فأين مجلسُ مُلكِه ووِسادُه ؟ قالوا : « مجلسُه الأرضُ والترابُ وفرشَتُه الحَصَى ووِسادُه يدهُ » قال لهم : إنَّما قوينَّهم علينا بهذا ، هانتُ عليكم الدنيا والحياةُ ورَغَبْنَا فيهما . ولما أتى بجزائن كسرى وجواهرِه 'صب' ذلك في المَسْجِدِ صَبًا ، فأظهر اغتَامًا ، فقبل له : يا أميرَ المؤمنين إنه يومُ سرورٍ ، فقال : إنه لم يُفتحْ مثلُ هذا الفتحِ على أحدٍ إلَّا صار بأسُهم بينهم » وجلس فكان يقسم المالَ بالكفِّ وابنهُ جالسٌ ناحيةٌ كأنه شاةٌ كَسِيرٌ ، فلما رآه لا يُعطيه شيئًا قال : « يا أبتى كأنَّكَ لا تري لي في هذا المالِ حقًا » قال : « بلى يا بُنيَّ ، ولكني أخاف أن يتسع كفي لك » فقال بعض من حضر فأني أدفع إليه ما حفنت لي واحفن لي غيره ، ففعل ذلك . وتناولت بُنَيَّةٌ له درهماً من المالِ فصاح بها فلم تلقه ، فقام إليها عمر رضي الله عنه ، فألقته الصبية في فيها ، فلم يزل يعصر حلقها حتى رمت به . وأهدى له رجلٌ حلتين فباعهما واشترى بثمنهما خمسة رؤوسٍ وأعتقهم وقال : إن رجلاً آثر قشرين يلبسهما على عتق هؤلاء لغيبين الرأي .

زهد علي بن أبي طالب رضوان الله عليه

يقال إنه لما استُخْلِفَ علي بن أبي طالب (٢١٩) كرَّم الله وجهه رُؤْي بعد أيام وهو يرفع سيفه لمن زاد وهو يقول : « لو كان لنا عشاء ليلة ما بعناه »

(٢١٩) للتوسع في سيرة علي بن أبي طالب راجع كتاب « الامام علي » لعبد الفتاح عبد المقصود ، و« ترجمة علي بن أبي طالب » لأحمد زكي صفوت ، و« اعيان الشيعة » لمحسن الامين ج ٣ ، و« عبقرية الامام » للعقاد ، و« الرياض النضرة » للمحب الطبري ، ومقدمة شرح نهج البلاغة ، ومختلف كتب التاريخ .

وكان من أحوج الناس إليه فاضطرته الحاجة إلى بيعه وهو يستغل من ضيعة له في كل سنة مالا عظيماً وكان يخلي بيت المال في كل يوم ويرشه وينام فيه وهو يقول: «ياصفراء غُرِّي غُرِّي خَلَّا لَكَ الْجَوْ فَايْضِي وَاصْفَرِّي». ويقال أنه كانت له قטיפة مُتَجَرِّدة بالية فألقت عليه وعلى عياله الجارية قטיפة من قَطَفِ الصدقة فَأَنْكَرَ خَمْلَهَا وقال: ما هذه؟ قالت: قטיפة من مال الصدقة، فألقاها عن نفسه وقال: «لقد أصردتمونا بقيّة لَيْلَتِنَا». وناداه رجل وهو في بيته فخرج إليه مُسرِعاً وهو يقول: والبيكاه.

زهد عمر بن عبدالعزيز^(٢٢٠) وعبد الله بن عمر بن الخطاب^(٢٢١) وعدة من خيار المسلمين رضي الله عنهم اجمعين.

فان قال قائل: إن هؤلاء قد كانوا مُعتادين للبؤس وأنه لم يسُخ لهم

(٢٢٠) الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولي الخلافة سنة ٩٩هـ وتوفي سنة ١٠١هـ، ومدة خلافته سنتان ونصف. للتوسع في سيرته راجع «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي، و«عمر بن عبد العزيز» لأحمد زكي صفوت، و«سيرة عمر بن عبد العزيز» لعبد الله ابن الحكم، و«الخليفة الزاهد» لعبد العزيز سيد الأهل، و«حلية الأولياء» ج ٥ ص ٢٥٣ وما بعدها وفيه طائفة كبيرة من أخباره، ومختلف كتب التاريخ.

(٢٢١) صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. ولد سنة ١٠ ق.هـ، ونشأ في الاسلام، وهاجر الى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. أفتى الناس في الاسلام ستين سنة، وكان جريئاً جهورياً، غزاً فريقية مرتين، الأولى مع ابن أبي سرح، والثانية مع معاوية بن حديج. كفّ بصره في آخر حياته وتوفي بمكة سنة ٧٣هـ، وهو آخر من توفي بها من الصحابة. أنظر في ترجمته «نكت الهميان» ص ١٨٣ و«الطبقات الكبرى» لابن سعد ج ٤ و«حلية الأولياء» ج ١ ص ٢٩٢ و«الاصابة» الترجمة ٤٨٢٥ و«صفة الصفوة» ٢٢٨/١ وتهذيب الأسماء ٢٧٨/١ ومختلف كتب التاريخ.

غير ما فعلوا . فقد يكون الرجل معتاداً للبؤس فإذا صار إلى السعة اتسع وتخرق في اللذات واستدرك منها ما فات في خوالي الأزمنة . فهذا معاوية (٢٢٢) وابنه يزيد (٢٢٣) ومن بعده من خلفاء بني أمية قد تمتعوا ونالوا لذاتهم من كل مأكول ومشروب وملبوس ومشوم ومحبوب ومعشوق ، فما انتطح فيه عزان ولا امتنع عليهم اثنان . ما خلا الوليد بن يزيد بن عبد الملك (٢٢٤) ،

(٢٢٢) معاوية بن أبي سفيان، مؤسس الدولة الأموية في الشام . ولد سنة ٢٠ ق.هـ . وولي الخلافة سنة ٤١ هـ ، ومات سنة ٦٠ هـ . للتوسع في سيرته راجع كتاب « الاسلام والحضارة العربية » ١٤٦/٢ و« تاريخ اليعقوبي » ١٩٢\٢ و« الكامل » لابن الأثير ج ٤ أنظر فهرسته، ومختلف كتب التاريخ ، و« منهاج السنة » ٢٠١/٢ وما بعدها ، و« معاوية بن أبي سفيان في الميزان » للعقاد ، و« المحبر » أنظر فهرسته ، وهو فيه ص ٤٧٣ « من المؤلفة قلوبهم » و« الاعلام » للزركلي ١٧٢/٨ وما فيه من مراجع .

(٢٢٣) ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد بالماطرون سنة ٢٥ هـ ، وولي الخلافة سنة ٦٠ هـ ، وتوفي سنة ٦٤ هـ . في أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٦١ هـ . أنظر في سيرته « منهاج السنة » ٢٣٧/٢ وما بعدها ، و« رغبة الأمل » ٨٣/٤ ، وتواريخ الطبري وابن الأثير والخميس واليعقوبي ، و« الاعلام » ٢٤٤/٩ وما فيه من مراجع و« يزيد بن معاوية » لعمر أبو النصر . وفي تاريخ المانوزي - الجزء السادس من المعسول - ان ليزيد هذا سلالة باقية الى الآن في جهة تازوننت بسوس المغرب الأقصى ، يعرفون ببني يزيد ، ويقدر عددهم بمئتي أسرة ، انتقل أسلافهم من الأندلس لما اضمحل فيها ملك بني عمهم بني مروان في القرن الرابع الهجري ، وفيهم بقية من العلماء ، ولهم مكتبة من أعظم الخزائن العلمية في السوس .

(٢٢٤) من ملوك الدولة مروانية بالشام . ولد سنة ٨٨ هـ ، وولي الخلافة سنة ١٢٥ هـ فمكث سنة وثلاثة أشهر، خلع بعدها وقتل (سنة ١٢٦ هـ) . للتوسع في ترجمته أنظر « تاريخ الاسلام » للذهبي ١٧٣/٥ وما

←

فإنه كشف القناع وخلع العذار وأهل الأمر وبُلي بالإيتسار (٢٢٥) والقدر الجاري . وهذا عمر بن عبدالعزيز ، رحمة الله عليه ، وقد تقدّمه عدّةٌ مما ذكرنا من أصحاب الملاحية وإخوان الدنيا ، فلم يلتفت إلى شيءٍ من ذلك ، فلقد بلغ من نسكه واستهائته بالدنيا بعد أن كان أنعم أهل دهره بدنساً ، وأطيبهم ريحاً ، وأحسنهم زينةً ، وأشدّهم في كل شيءٍ نيقَةً ، أنه صعد المنبر بعد أن استُخلف فقال : « والله ما تمنيت هذا الأمر قطُّ ، ولا سألت الله فيه في سرٍّ ولا علانيةً فمن كان كارهاً لنا فالآن . » وأنّ ممّا حقق به قوله هذا أنه تهدّمت درجة في داره فرمّتها بعض أهله ، فقال عمرُ رضي الله عنه : سبحان الله ، كأنّ الذي صنّعَ نفسٌ على أن يخرج من الدنيا ولمّا أضعُ لُبنةً على لُبنةٍ . ثم أمر يهدمها .

وأنه أتى في يوم بارد بماءٍ مسخنٍ فقال للجارية : من أين لكم هذا؟ فقالت : سَخَنَناه حيث يُطبخُ طعامُ المسلمين » فقال : « لولا انّك أتيتيها بجهالة لم تخدميني بعدها ، أرددي عليهم ثمنَ الخطب . » واشترى له غلامه ثوباً بعشرة دراهم فقال : « هذا لثينٌ جداً أريدُ أدونَ من هذا » ، فقال الغلامُ : لقد اشتريتُ له قبلَ الخلافةِ ثوبَ وشيٍّ بسبعمئة دينار ، فقال : أريدُ أرفعَ من هذا . وأنه قيل له يوماً أن بني أميّة قد اشتدّ عليهم ردُّك المظالم فقال : بوُدِّي أن الله قد ردّ لي كلَّ مَظْلَمَةٍ على أني كلما رددتُ مظلمةً قطع من جَسَدِي أنملةً فيكون آخرُ مظلمةٍ أردّها مع خروج نفسي . وكان يقول ما كذبتُ منذ عَقَلْتُ ، أن الكذب يشين أهله . وكُنِبَ إليه عاملُ

بعدها ، و« تاريخ الخميس » ٣٢٠/٢ وأمالى المرتضى (تحقيق أبي الفضل) ١٢٨/١ وما بعدها ، وتاريخ اليعقوبي ٧١\٣ و« العبر » لابن خلدون ٣ انظر فهرسته و« الكامل » لابن الأثير ٢٦٤/٥ و« الاعلام » ١٤٥\٩ وما فيه من مراجع .

(٢٢٥) كذا بالأصل .

حصص (٢٢٦) يسأله أن يزيدَ في ثَمَن قراطيسهِ ودهن مصباحهِ ويستأذنهُ في مَرَمَةِ سُور المدينة ، فكتب إليه : ارقّ القلسمَ وأوجز الكلامَ وأجمع حاجتَين في حاجة ، وأما دهنُ المصباح فإنَّ عَهدي بك وأنت تخرج في الليلة الظلماء إلى المسجد لا مصباح معك ، وأما سورُ المدينة فَحصِّن مدينتَكَ بالعدل ونقّ طُرُقَهَا من الجور .

وكتب إليه والي العراق بأن قد اجتمعت عنده اموالٌ عظيمة ، فأمره أن يُوسع بها على المسلمين وذراريهم في أرزاقهم ، فكتب إليه أنه قد فعلَ وحصلت اموالٌ ، فأمره أن يُزوِّج أبكار الرجال من أبكار النساء ، فكتب إليه أنه قد فعلَ وحصل مالٌ ، فكتب إليه أن يقوي أهل الذمّة على العمارَة ويجعله سلفاً عليهم فلا حاجةَ لعمر وآل عمر في شيءٍ من ذلك .

وبلغنا أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، رحمةُ الله عليهما ، اشتهى في مرضهِ عنباً فوجدوا عثقوداً واشتروه له بدرهمٍ وجاء سائلٌ فأمر بدفعهِ إليه فذهبوا فاشتروه من السائل وردوه إليه ، فجاءَ سائلٌ آخر فدفعه إليه وأبى أن يذوقَ منه .

وبلغنا أن الربيع بن خيثم (٢٢٧) رحمة الله عليه لما مرض قالوا: لو دعوتَ

(٢٢٦) حمص : مدينة قديمة في سورية . افتتحها العرب سنة ٦٣٦م فأصبحت قاعدة أحد الأجناد . من آثارها القلعة وضريح الصحابي ، سيف الله الفاتح الكبير خالد بن الوليد .

(٢٢٧) كذا بالأصل ، وفي الكامل لابن الأثير (١٢٢/٤) خثيم . وهو زاهد من أهل الكوفة . توفي سنة ٦٣ هـ .

بطبيب ، قال : قد أردت ذلك ثم قصرت فقلت أين عاد (٢٢٨) وثمرود (٢٢٩)

(٢٢٨) عاد هم قوم هود، ينسبون الى عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح: يقال : انه كان في بابل ، ورحل بولده وأهله الى اليمن ، فاستقر في الأحقاف (بين عمان وحضرموت) وكانت له ولبنيه من بعدد حضارة، وعناية بالعمران . من آثارهم : أبنية حجرية لا تزال أنقاضها في حضرموت ، جلها في « وادي عدم » وشرقيه ، وفي نواحي « وادي سونة » وان صحَّ أن أطلال « جش » من آثار عاد فيكون فريق منهم قد هاجر من جنوبي الجزيرة الى شمالها . وفي علماء الأخبار من يذكر أن « عادا » قبيلتان : الأولى « عاد ارم » هذه ، وقد بادت ، وأصبح اسمها رمزا للقدم ، حتى قيل : مجد عادي ، أي قديم ، ونسبت اليها في زمننا « العاديَّات » أي التي لا يعرف عصرها ، و« عاد الأخيرة » قالوا : انها « بنو تميم » ومنازلها في رمال «عالج» المتصلة بوبار ، و« وبار » ما بين نجران وحضرموت وبين مهرة والشحر . وقال ابن حبيب : عاد ، من قبائل العرب العاربة الذين « الهموا » العربية فتكلموا بها .

وقد أشار القرآن الكريم الى عاد في آيات عدة بأنهم عصوا نبيهم هودا واستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد منا قوة ، فأهلكهم الله لكفرهم وجحودهم وجورهم ، ولما يئس هود منهم هو ومن آمن معه رحل الى الحجاز قبل أن يحقق بهم عذاب الله . وقد ورد ذكر عاد في ٢٤ موضعا من القرآن الكريم .

(٢٢٩) ثمود هم قوم صالح ، ينسبون الى ثمود بن عامر بن ارم ، من بني سام ابن نوح : رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية الأولى . كانت اقامته في بابل ورحل عنها بعشيرته الى الحجر (بين المدينة والشام) ثم انتشروا بين الشام والحجاز ، وبقيت آثارهم في الحجر المعروفة بمدائن صالح الى اليوم . وفيها من عجيب الآثار بيوت منقورة في الصخور . وفي المؤرخين من يرى انهم كانوا وبادوا قبل زمن موسى ، وأن الكتابات الأرمية التي هي على بعض القبور كتبت بعدهم . وورد ذكرهم في تاريخ « الاشوريين » وانهم غلبوا سنة
←

وقارون (٢٣٠) ، بين ذلك كثير ، كان فيهم اطباء فلم يبقَ المداوون ولا الذين داووا ، فما معنى الطبيب والموت لا مدفع له .

وولي البصرة رجل من أهل الشام وكان يستدرج القراء ويتأتى لهم

٧١٥ قبل الميلاد وأسكنت بقاياهم في مقاطعة «السامرة» بفلسطين .
وقدماء اليونان يسمونهم « ثموديني » ويممون الحجر Agra ودلت الاكتشافات الحديثة على أن بقايا من ثمود أدركت أيام المسيح وعاشت بعد الميلاد . وبين الكتابات الثمودية نص أرخ بسنة ٢٦٧ للميلاد . ونقل الدكتور جواد علي أن في المتاحف الأوربية الآن وفي مكتبات بعض الجامعات وفي أوراق المستشرقين مجموعة من النصوص الثمودية يزيد عددها على ١٧٠٠ نص وجدت في منطقة حائل (بنجد) وأرض تبوك وتيماء ومدائن صالح والسلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز . ووجد بعضها في الطائف وبقرب الوجه وفي شبه جزيرة سيناء وفي الصفا (شرقي دمشق) وفي مصر واليمن ، ويشك في صحة نسبة الكثير منها الى الثموديين . ورد ذكر ثمود منفردا أو مقرونا باسم عاد (السابقة) في ٢٦ موضعا من القرآن في بعضها تفصيل لقيام نبي بينهم يدعى صالحا كانت معجزته أن أخرج من الصخر ناقة عشراء ، ولكن ثمود عقرتها فأهلكهم الله وقضى على مدينتهم ، قيل بالصاعقة وقيل بزلزال .

(٢٣٠) كان قارون أحد أقارب موسى عليه السلام ، اتخذه فرعون مصر وزيرا له ، وولاه على قومه فظلمهم وابتز أموالهم حتى اكتظمت خزائنه بها ، وكان يعتقد أن هذا المال الطائل قد ناله باجتهاده وجدارته واستحقاقه له ، فبنى القصور الفخمة التي كان أشهرها فيما يقال قصر القتيه أو قصر لابيرانت المشرف على بحيرة قارون بمحافظة الفيوم بمصر ، وقد نصح له الناصحون أن يخفف من غلوائه وغروره ، وأن يحسن كما أحسن الله اليه بالصحة والجاه والثراء ، ولكنه أبى وظل سادرا في ضلاله حتى خسف الله به وبداره الأرض جزاء جبروته وطغيانه . وقد ورد ذكر قارون في ٣ مواضع من القرآن الكريم .

حقى يَقْبَلُوا أَرْزَاقَهُ وَصَلَاتِهِ . فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَى امْرَأَةٍ نَاسِكَةٍ فَقَالَتْ : يَا فَاضِحُ
الْقُرَّاءِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ مَالِكَ الدُّنْيَا شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا
فَكَيْفَ أَسْأَلُ ذَلِكَ مَمْلُوكاً مِثْلِي فَقِيراً .

وَبَلَغَ بَعْضَ وَلَاةِ الْكُوفَةِ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ عَنْ رَجُلٍ مُسْتَوْرٍ زَهْدٌ وَوَرَعٌ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِمَالٍ عَظِيمٍ ، وَامْتَنَعَ الرَّجُلُ مِنْ قَبُولِهِ ، وَظَنَّ الْهَاشِمِيُّ أَنَّهُ مِمَّنْ
يَبْغِضُ دَوْلَتَهُمْ وَلَا يَسْتَحِلُّ مَا لَهُمْ فَهَمُّ بِهِ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَامَ وَصَلَّى
رَكَعَاتٍ وَقَالَ : « يَا رَبُّ إِنَّهُمْ رَغَبُونِي فِيمَا زَهَّدْتَنِي فِيهِ وَأَرَادُونِي عَلَى مَا
نَهَيْتَنِي عَنْهُ ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ » ، فَوَجَدُوهُ مَيْتاً فِي مَحْرَابِهِ .

وَحَجَّ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فَاتَى زَاهِداً مِنْ زُهَّادِ مَكَّةَ فَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ
وَأَحْضَرَهُ مَالاً عَظِيماً لِيَفْرُقَهُ فِيمَنْ يَرَى . فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يُوصِيَهُ
فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا اسْتَرْعَاكَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وَاكْتَفِ بِالْقُرْآنِ هَادِياً
وَمُؤَدِّباً .

فَهَذَا زُهْدٌ عَدَّةٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَخِيَارِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ لَا يَجِدُ لَهُمْ شَبِيهَ وَلَا
شُرُوبَ فِي مَلُوكِ الْأَرْضِ وَأُمَمِ الْأَنْبِيَاءِ مَذَكَّتِ الدُّنْيَا . فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ
يُظَنَّ بِهِمُ الْبَاطِلُ وَالْكَذِبُ . وَلَقَدْ اعْتَنَقَتْهُمْ الدُّنْيَا فَهَرَبُوا مِنْهَا ، وَأَقْبَلَتْ
عَلَيْهِمْ بِمَحَاسِنَ وَجْهِهَا فَأَدْبَرُوا عَنْهَا ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِمْ أَفْلاذَ كِبْدِهَا وَدَفَائِنَ كُنُوزِهَا
وَنَصَبَتْ لَهُمْ غَرَائِبَ فَخَاخِهَا وَبِدَائِعَ خُدْعِهَا وَفَتَنَهَا فَمَا دَنَوْا مِنْهَا وَقَنَعُوا
بِالْأَطْمَارِ وَالْأَسْمَالِ وَبِالْمَطْعَمِ الْجَشْبِ الْعَلْتِ ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ أَصْحَابَ
عِزٍّ وَنَخْوَةٍ وَسَعَةٍ وَمَاشِيَةٍ وَنَعَمٍ وَأَرْبَاحٍ وَتِجَارَاتٍ . أَقُولُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي
لَا أَحِبُّ شَيْئاً إِلَّا فِيهِ ، وَلَا أَنْصُرُ قَوْلاً إِلَّا لَهُ ، وَلَا أُوْمَلُّ فَوْزاً إِلَّا بِهِ . فَإِنْ
كَانَ مِنْ صَبْرٍ هَذَا الصَّبْرِ وَغَلَبَ الدُّنْيَا هَذِهِ الْغَلْبَةَ يُظَنَّ بِهِ الْكَذِبُ وَالْمُخْرِقَةُ
فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ هَذِهِ الظَّنَّةِ وَالتَّهْمَةِ غَيْرُهُ .

لأنَّ تِلَامِذَةَ مُوسَى وَالْمَسِيحِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَإِنْ كَانُوا أَبْرَاراً أَطْهَاراً

فإن الحق لا يُستَحْيَ منه ويستَحِقُّ تقدِيمَه . ومتى أتهم أمثالُ من سمَّينا
فبالحري ان نتهَمَ من لم يبلغ درجة زهدهم ولا أبتلي بمثل محنتهم وخلصهم .
لأنه ان كان من ترك مصيدةً (٢٣١) وفارق مصلحة (٢٣٢) أو خرج عن
مهنة (٢٣٣) أو مزرعة من حواربي موسى والمسيح عليها السلام يجب قبول
قوله وتصديق خبره . فبالحري أن يصدّقَ من ملك الخلافة بأسرها فكانت
أدقّ في عينه من قفلة في نهر ، بل بَعْرَة في بحر .

فإن قال قائلُ أن أصحابكم إنما صبروا على ما ذكرت طلباً للعز والرياسة
عارضناهم بمثله وقلنا : فكذلك يظنُّ بأصحابكم . إنهم لما انتقلوا من حال
السُّوقَةِ والقلةِ إلى أن أطاعهم المطيعون ، وتبرّك بهم المتبرّكون ، واجتمع
إليهم أهل الأموال والأقدار . ونفَذَت أوامرهم في الأهل والمال ، تآقت
أنفسهم إلى الرياسة فصبروا في حبّها على الجفاء والخشونة . فقد بلغكم ما فعل
شمعون الصفا برجل باع ضيعته وأتاه بثمنها متقرّباً به إليه فكان جزاءه
عنده أن غَضِبَ عليه وسأل الله أن يُمَيِّتَهُ وأهله من ساعته . لأنّ البائس
لم يكن أتاه بالثمن كله بل ذخّر لنفسه وأهله بعضه . فإن الحرصَ مما
لا يظنُّ بحواريي المسيح . فكذلك ظنُّوا بحواريي محمد عليه السلام .

فإن قالوا : إن أصحابكم هؤلاء وإن كانوا خياراً في أنفسهم أبراراً ،
فإنه لما كانت شهادتهم لابن عمّهم وفي استيالة الناس إلى دينه شككنا

(٢٣١) يقصد سمعان بن يونا . كان صياد سمك على بحيرة طبرية فدعاه
المسيح عليه السلام وسمّاه كينا أو الصخرة (بطرس) وأقامه رئيساً
للسل .

(٢٣٢) لعله يقصد متى من تلاميذ المسيح الاثني عشر ، فقد كان عشاراً في
كفرناحوم .

(٢٣٣) لعله يقصد لوقا من تلاميذ المسيح . فقد كان طبيباً .

فيهم ، قلنا : وكذلك أصحابكم أيضاً ، فما شهد لموسى وعيسى إلا بنو عمهما . فإن قالوا : وما حاجتنا إلى شهادات أممنا لنا مع إيمان صاحبكم بأنبيائنا ؟ قلنا : فما تقولون فيمن قبل قولهم قبل ظهور النبي ﷺ ، أهو مُصيبٌ أم مُخطئٌ ؟ رَشدٌ أو غويٌ ؟ على أن بين نعتِ المسيح الذي يؤمنُ به أهلُ الإسلام (٢٣٤) وبين مسيحكم بؤناً بعيداً جداً ، فإن النصارى يقولون انه قديمٌ ، وهو عندنا حديثٌ ، ويذكرون انه خالقٌ وهو عندنا مخلوقٌ ، وأنه قُتل وهو عندنا حي (٢٣٥) . فهذه نعوت مُتضادة غير مُتشابهة .

(٢٣٤) المسيح عيسى بن مريم ، في نظر الاسلام ، هو عبدالله ورسوله وكلمته التي ألقاها الى مريم وروح منه ، ولا غرابة في خلق عيسى بغير أب ، لأن الله قادر على كل شيء ، خلق آدم من تراب ، وعيسى هو آخر انبياء الله ورسله من بني اسرائيل .

(٢٣٥) لما بلغ عيسى الثلاثين نزل عليه جبريل بالوحي ، وبدأ بتبليغ رسالته الى قومه بني اسرائيل ، وقد أیده ربه بالمعجزات الباهرة من احياء الموتى وبراء الأكمه والأبرص ، فناصره اُحبار اليهود العداء لما رأوا في دعوته من الآيات البينات ما سوف يقضي على نفوذهم ، ويذهب بالأموال التي يجمعونها بالباطل ، فوشوا به وسعوا في قتله والتخلص منه ومن دعوته ، ودبروا مكيدتهم للقضاء عليه ، ولكن الله أحبط تدبيرهم برفعه الى محل كرامته ، والقاء شبهه على من خانه من أتباعه وهو يهوذا الاسخريوطي فقتلوه . والحقيقة في نهاية عيسى انه لم يقتل ولم يصلب ، والقول بأنه صلب كفر صريح في نظر الاسلام ، لأن الله توفاه ورفعاه اليه . قال تعالى : « اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » (آل عمران : ٥٥) . وقال : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » (النساء : ١٥٧ - ١٥٨) .

وأيضاً فإن الواجب لله على الناس كافة طلب الحق واتّباعه في كل دهر ،
والواجب للناس على الله جلّ ذكره تأييد الحق وإظهاره وقطع حجج
الساكنين فيه . ولسنا نشك في أن كثيراً من الأمم المحيطين بأرض مصر
والشامات قد كان يبلغهم خبر موسى عليه السلام وسائر الأنبياء وتتنوّع
أنفسهم إليه وإلى أخبار المسيح قبل ظهور محمد ﷺ وعليهم ، ويسألون
عنها من طراً عليهم ، فهل كان يجب عليهم قبول ما يبلغهم عنها والتصديق
به أو لا ؟ فإن لم توجبوا قبوله كفرتم بكل نبي ، وإن أوجبتم ذلك قلنا
ولم وجب ؟ فإنما كان الذين يخبرون بذلك ويشهدون به يهوداً ونصارى ،
ومن قبل قول أمثالهم واغترّ به فهو مخالف للحق في قولكم ، راكم
إلى الأباطيل والزور ، لأنه صدّق فيهما قول أمّتهما وبني عمّهما الذين لم توجد
عندهم آية ولا دلالة . فإن كان قبول ذلك واجباً على تلك الأمم قبل أن
يشهد لهم به محمد النبي ﷺ فقبول خبر أصحاب النبي ﷺ أيضاً واجب ،
لا سيما وقد شهدت الأنبياء له ، ووصفوا مخرجه وزمانه ، وذكروا من
تصحيح ذلك ما ليس لأحد أن يدّعيه سوى المسلمين ، لأنه إذا ادّعت
اليهود تلك النبوات التي أنا ذاكرها مكابرة وجهلاً ، فما عسى يقول النصارى
وهم يشهدون بأن الله قطع دابر اليهود ، ومحى دينهم عن جريد الأرض ،
وأخبر أنه غير موجب لهم رحمة ، ولا مقيل لهم عثرة . ولا قابل منهم
صرفاً ولا عدلاً إلا بالرجوع عنها ومفارقة أسبابها .

الباب التاسع

في انه لو لم يظهر النبي صلى الله عليه وسلم
لبطلت نبوات الأنبياء

لو لم يظهر النبي ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء في اسمعيل عليه السلام وفي النبي عليه السلام خاتم الأنبياء بالضرورة ، لأن الله عز وجل لا يخلف وعده ، ولا يكذب خبره ، ولا يخيب راجيه . ولقد كان بشّر ابراهيم عليه السلام ، وهاجر (٢٣٦) رحمة الله عليها ، ببشارات بيّنات سارّات ، ولم نرها تمّت وظهرت إلاّ بظهور النبي ﷺ . ولقد بُشّرت هاجر من ذلك بما لم نرَ امرأة من النساء الماضين بُشّرت به بأكثر منه بعد مريم الطاهرة والبتول أمّ المسيح عليه السلام ، على أن مريم عليها السلام بُشّرت بالمسيح مرّة واحدة ، وبُشّرت هاجر باسما عيل مرتين ، وبُشّر أبوه عليه السلام مراراً . ثم ذكر الله عز وجل هاجر بعد وفاتها كال مخاطب لها على النسبة الأنبياء مراراً ، وأنا موضح ذلك في أبوابه إن شاء الله .

(٢٣٦) أمة ابراهيم الخليل عليه السلام وام اسماعيل الابن الاكبر له .

فَأَمَّا مَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِسْمَاعِيلَ وَحْدَهُ ،
فَهُوَ قَوْلُهُ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّوْرَةِ فِي
الْفَصْلِ الْعَاشِرِ مِنْهُ ، أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدْ أَجَبْتُ دُعَاكَ
فِي إِسْمَاعِيلَ وَبَارَكْتُ عَلَيْهِ وَكَثَرَتْهُ وَعَظَمْتُهُ جَدًّا جَدًّا وَسَيِّدًا اثْنَيْ عَشَرَ
عَظِيمًا وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً . فَهَذَا فِي تَرْجُمَةِ مَارْقُسِ التَّرْجُمَانِ . فَأَمَّا فِي
التَّوْرَةِ الَّتِي فَسَّرَهَا الْإِثْنَانِ وَسَبْعُونَ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ :
إِنَّهُ سَيِّدُ اثْنَيْ عَشَرَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ . فَلَيْسَ يَكُونُ مِنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْبَشَارَاتِ
فِي أَحَدٍ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : إِنِّي قَدْ بَارَكْتُ فِيهِ وَكَثَرْتُهُ وَعَظَمْتُهُ
جَدًّا جَدًّا ، وَأَقْلُّ مِنْ هَذَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَبِيرٌ وَأَصْغَرُهُ جَلِيلٌ . لِأَنَّ
الْقَدْرَ الَّذِي يَرَاهُ اللَّهُ كَبِيرًا عَظِيمًا جَدًّا جَدًّا ، فَلَا قَدْرَ أَعْظَمَ مِنْهُ ، فَهَذَا
تَبَكُّيْتُ وَتَكْذِيبُ لَذَلِكَ الْجَلِيفِ الْجَانِي الَّذِي وَقَعَ فِي إِسْمَاعِيلَ وَعَابَهُ بِقَوْلِ
اللَّهِ فِيهِ أَنَّهُ يَكُونُ غَيْرَ النَّاسِ . وَأَنَا مُفَسِّرُ ذَلِكَ فِي هَذَا الْبَابِ تَوْبِيخًا
لِذَلِكَ الْمَائِيقِ الْمَشْعُوفِ .

وَقَدْ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنْبَأً بِمَثَلِ هَذِهِ النُّبُوءَةِ فِي السَّفَرِ الْأَوَّلِ وَالْفَصْلِ
التَّاسِعِ وَقَالَ : إِنَّهُ لَمَّا هَرَبْتُ هَاجِرٌ مِنْ سَارَةَ (٢٣٧) تَرَأَى لَهَا مَلِكُ اللَّهِ
وَقَالَ : يَا هَاجِرُ أُمَّةَ سَارَةَ ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ وَأَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قَالَتْ هَاجِرُ
بِحَبِيبَةٍ لَهُ : أَهْرَبُ مِنْ سَيِّدَتِي سَارَةَ . قَالَ لَهَا مَلِكُ الرَّبِّ : ارْجِعِي إِلَى
سَيِّدَتِكَ وَاخْضَعِي لَهَا فَإِنِّي سَأَكْثُرُ ذُرِّيَّتَكَ وَزُرْعَكَ حَتَّى لَا يُحْصُونَ كَثْرَةَ ،
وَهَا أَنْتِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ إِسْمَاعِيلَ ، لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ تَبَتُّلَكَ
وَخُشُوعَكَ ، وَهُوَ يَكُونُ غَيْرَ النَّاسِ وَتَكُونُ يَدُهُ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَيَدُ الْجَمِيعِ
مَبْسُوطَةٌ إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ مَسْكَنُهُ عَلَى تَخُومِ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ . فَهَذِهِ بَشَارَةٌ
ثَانِيَةٌ شَافَهُ الْمَلِكُ بِهَا هَاجِرَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَشَافَهَةً ، وَأَخْبَرَ
أَنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ يَدَ ابْنَيْهَا الْعُلْيَا وَأَيْدِي جَمِيعِ النَّاسِ عِنْدَهُ السُّفْلَى ، وَلَمْ نَرِ

(٢٣٧) امْرَأَةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمُّ وَلَدِهِ إِسْحَاقَ .

ذلك من نبوة موسى عليه السلام تمت وظهرت إلا بعد ظهور محمد النبي ﷺ .
وقال موسى في السفر الأول والفصل الثالث عشر : إن الله قال لإبراهيم عليه السلام : « إني جاعلٌ ابن أمتك أيضاً أمة عظيمة لأنه من زرعك »
فهذه بشارة ثالثة في اسمعيل عليه السلام . وقال موسى بعقب هذا القول :
إنه لما أصبح إبراهيم أخرج هاجرَ وولده عن منزله طلباً لمسرة سارة ،
وانتهى إلى ما أمره الله به فيها ، وأنه دفع إليها زاداً ومزاداً ، وحمل الصبي
على كتفها ووجَّهها لطيفتها ، فشخصت هاجرَ وضلَّت في البرية التي يقال
لها بئر سبع (٢٣٨) ونفذ ماؤها فوضعت الصبي تحت أصل شجيرة وانتبذت

(٢٣٨) بئر السبع أقصى المدن الفلسطينية جنوباً ، تقع الى الجنوب الغربي
من الخليل والى الجنوب الشرقي من غزة على بعد نحو ٤٨ كيلومتراً
من كل منهما ، أي أن موقعها على رأس زاوية يمتد أحد ضلعيها
شمالاً شرقياً الى الخليل والثاني شمالاً غربياً الى غزة . وتعلو عن
سطح البحر ٢٨٦ متراً وقد دُعيت بهذا الاسم نسبة الى وجود سبعة
آبار قديمة فيها . وهي عريقة في القدم ، كانت في عهد الرومان
محط القوافل . وقد فتحها العرب في أيام عمر بن الخطاب ، على
يد عمرو بن العاص ، الذي أقام فيها بعد تنحيته عن ولاية مصر .
وزادت شهرتها كثيراً في العهد الأموي ، إلا أن قلة الأمطار وكثرة
المحل وتحول طرق التجارة ، أدت الى تأخرها حتى هجرت في القرن
الخامس عشر الميلادي وأصبحت خراباً ، الى أن جدد بناؤها بطريقة
حديثه في أواخر العهد العثماني (١٩٠٩ م) وأنشئ لها خطان
حديدان يصلها أحدهما بوادي الصرار والآخر برفح - إلا أنهما نزعا
في عهد الانتداب البريطاني عام ١٩٢٧ م . وتعود أهميتها الى أنها
السوق الطبيعي للتعق القبايل البدوية الكثيرة الضاربة في منطقة
النقب . فكان البدو يجتمعون فيها لبيع الأغنام والابقار والخيول
والبغال والحمير والابل والدواجن على اختلاف أنواعها ، وكذلك
المتوجات الحيوانية من سمن وصوف وجلود ، ويستبدلون بهذه
السلع حاجاتهم من ملابس وبن وسكر وغير ذلك . وكان يقطنها في
أواخر عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨ ما لا يقل عن (٧) آلاف
نسمة .

بقدر مرّمي حجرٍ لثلاثي موتٍ ابنها، وإنها لكذلك (٢٣٩) باكية حزينه،
وسمع الله صوت الصبيّ ونادى ملك الله هاجر من السماء وقال : ما بالك
يا هاجر ؟ ليَفْرَحْ روعك ، فقد سمع الله صوت الصبيّ . قومي احمله
وتمسكي به فإن الله جاعله لأمة عظيمة . وإن الله فتح عينها فإذا هي ببئر
ماءٍ ودببت فمالت المزاراة منه وسقت الصبي منه . وكان الله معها ومع
الصبي حتى تربى ، وكان مسكنه في برية فاران ، وأقبل على الرمني يتعلمه .

فهذا من نبوة موسى عليه السلام في اسمعيل وفي أمه هاجر ، شبيه بقول
جبريل الملاك لمريم البتول : « إن ربنا معك يا أيتها المباركة في النساء » ،
ففستين النصراني بذلك وقالوا : ان الله كان حالاً فيها لقول جبريل لها : ان
ربنا معك ، وقال موسى عليه السلام في هاجر مثل ذلك ، وهو أن الله كان
معه ومع الصبي حتى تربى .

فهذه اربع بشارات خالصة في اسمعيل عليه السلام ، نزل اثنتان منها على
ابراهيم واثنتان على هاجر . فليوجدنا ذلك الغمز الغافل بشارات من الله تعالى
تتابعت في مولود على والديه منذ كانت الدنيا بأكثر واشهر وأصح من هذه .
فأمّا ما بشر الله به ابراهيم في جميع ذريته ووُلده . فإنه أيضاً بشارتان
إحداهما قول الله عز وجل لابراهيم حين قرّب ابنه للذبيحة : من أجل أنك
فعلت هذا الفعل ولم تشفق على ولدك وفرّدتك ، فهنا أنا أقسّم بنفسي
لأباركنّ عليك ، ولأكثرن ذريتك ، ولأجعلنهم في عدد نجوم السماء ورمل
سواحل البحار ، ويرث ولدك بلدان أعدائهم ويتبرك بهم جميع أمم
الأرض . وتقول التوراة أيضاً إن ابراهيم قال : ها أنا ميت وما لي ولد
وعقب . وإنما يرثني عبدي وتلد بيتي . فقال له الرب : كلا لن يرثك

(٢٣٩) كذا في الأصل . ولعله « لذلك » .

هذا بل يرثك الذي يخرج من صلبك ، فاخرج وأنظر إلى نجوم السماء .
فإن كنت مُحصياً لها فإنك ستُحصى ولذك أيضاً .

فتلك البشارات الأربع المتقدّمات خالصة لإسماعيل وحده . ويُشارك
إسماعيل اسحق وغيره من إخوته في هاتين ، فتلك ستنبؤات وبشارات
قاهرات فيه (٢٤٠) . ويزعم ذلك الجلف الجرّمقاني الحبيث الغي أن إسماعيل
غير معدود في ولد إبراهيم عليه السلام ، وإنما تمت هذه الكلمات وظهرت
بظهور النبي ﷺ ، فأما قبل ذلك فقد علمت النصارى واليهود كافة أنه لم
يزل بنو إبراهيم المعروفون به المنسوبون إليه في طائفة من طوائف الدنيا ،
فريق منهم بمصر خول للفراعنة والقيسبط ممتهنون مقهورون ، وفريق في ناحية
البوادي وأرض الحجاز بالجفاء والحروب . ثم انتقل من كان منهم بمصر إلى
الشام ، ويُغاديهم ويُراوحهم فيها من حوّلهم بالحرب ، ثم لم يلبثوا أن صاروا
مُسَرَّدِين ومطرودين . مسلوباً عزّهم ، زائلاً ملكهم ، مُنتشراً جمعهم في
آفاق الدنيا وأقطارها ، فقد ضربت فيهم فوائج السودان وأمواج الحُمُرَان ،
حق إذا ظهر النبي ﷺ ، تمت تلك النبوات وظهرت البشارات بعد دهرٍ
طويل ، وغلب بنو إسماعيل على من حوّلهم فهشموهم هَشْماً وذروهم في
الهواء ذرّاً ، كما قالت الأنبياء عليهم السلام ، وطحنوهم طحناً ، وانتشروا
في آفاق الدنيا كالدُّبَا ، ومازجوا الأمم كالدِّمَاء والأرواح ، وعلّوهم علوّ
الثريّا فيما بين الهند والحبشَان والسُّوس الأقصى وبلاد الترك والخزَر ،
وملكوا ما بين الخافقين وحيث يصنطك موج البحرين . وظهر ذكر إبراهيم
على أفواه الأمم كلها صباح مساء ، فليس من رجل وامرأة عبد أو أمة ،
غني أو فقير ، مسرور أو مكروب في بر أو بحر ، إلا وهو يوحّد الله
ويكبّر إله إبراهيم ويعوذ به .

(٢٤٠) في الأصل فيهم ، والصواب ما ذكرناه .

فأما اليهودية فإنما كانت ظهرت في طائفةٍ من الناس ، وأما المسيحية فإنها وإن كانت قد ظهرت في أمة كبيرة جليلة ، فإنه لم يكن لهم (٢٤١) في بلد ابراهيم وزوجته سارة ، ولا في بلاد آبائهما وأجدادهما ، ولا في بلد هاجر وآبائهما سلطانٌ قاهر ولا عزٌّ ظاهر كما جعل الله لهم بالنبي ﷺ وسأتي بشهادات الأنبياء على ما ادّعت ، وأبدأ بالرد على ذلك الجلفِ الجرُمقاني الذي انتقص اسمعيلَ وعابه بما وصفه الله به ، ولولا غباوته وسخفه لعلم أن لألفاظ التنزيل وجوهاً وأسراراً لا يعرفها إلا الراسخون في العلم . فقد قالت التوراة أن الله صار أسداً وافترس بني اسرائيل ، وقيل فيها ان الله نار محرقة ، وليس الله بنار ولا سبع ضار وإنما ضرب به مثلاً للغضب والإحتدام والمعاقبة والانتقام . وسمى المسيحُ رئيس حواريه الذي استرعاه أمر أمته شمعون الحجر ، وسمى أمته كلها النعاج ، وسمى المسيح نفسه حملَ الله وخروفه ، فلو عارض معارض ذلك السفیه المائق بذلك لكان له أن يقول : إن العيرَ أعزُّ وأمنع من الحمل الذي يأكله الذئب ويطمع فيه الكلب والثعلب ، فلا شيء في ذوات الأربع أقل وأضعف منه ، فإن رجع ذلك الجاهل الأنوكُ ومن يقول بقوله إلى تأويل هذه الأسماء ، رجعنا نحن أيضاً إلى التأويل وقلنا :

ان تأويل العير يشتمل على عدة معان منها ، ان الله تبارك وتعالى أشار بهذا الاسم أن اسمعيل عليه السلام يأوى المعاطش والفلكوات ، ويمنعُ جانبه ، ويكون مغواراً غيوراً كالعير الذي يأوى البراري ويخصي الذكر من جُحشانه للغيرة ويغيرُ على قطعان غيره من الفحولة ، فلا يزال يحارب الفحل ويُراكله ويكادمه حتى يغلبَ على عانتِهِ وقطيعه ، فإذا حازهنَّ حرسهنَّ وذَبَّ عنهن وطلب نتاجهنَّ ولا يأكلهن كما تفعل الأسد والذئب ، فإن تلك إنما

(٢٤١) في الأصل له ، والصواب ما ذكرناه .

تطلب الغلبة للأكل والإستراطِ وتطلب الاعيار الغلبة للنشاط والإستنباط .
وسمّاه الله بهذا الاسم أيضاً لئلا يجد الجاحدون سبيلاً إلى إنكار مسكن
اسماعيل عليه السلام من البراري ، وان الله صيّرهُ في تلك البراري لمعنى
جليل القدر لطيف ، وهو أنه جلّ وعزّ أحبّ أن يصون نسبه ويحفظ
حريّته من أن ينال مثلما نزل به غيره من الإسترقاق في الأمم كما سبي
ومزق غير .

فليفهم ذلك الخيّاب الخاسر هذه المعاني . ولا يتمرّس بمن أخبر الله
تبارك وتعالى أنه قد بارك عليه وعظمه جداً جداً ، فإن من صغر من عظم
الله كان كمن عظم من صغره الله . وكفى بمن فعل ذلك خزيّاً وتوبيخاً .
وللعير معنى أيضاً كان يستعمله العجم وسائر الأمم فإنهم كانوا يسمّون من كان
فاتيكاً نهيكاً نجيداً جوز . ولذلك سمي بهرام جوز ، ومعنى الجوز
هو العير ، وبه سمي أهل طبرستان الجورية ، ولهذا سمي الرجل الشجاع
الأرمحي . جوز مرّدان ، أي غير الرجال كقول العرب للرجل الشجاع :
فلان ككَبش العشيّة . وتشبيهم إياه بفحولة الإبل وقرومها وبغير ذلك
من الحيوان .

الباب العاشر

في نبوات الأنبياء علم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وعليهم

وقد قدّمت ذكر أربع نبوّات في اسماعيل عليه السلام فيها من الشواهد على حقيقة أمة النبي ﷺ ما لا يحمله إلاّ جاهل ولا يحسد إلاّ غي ، وبأنه لو لم يبعث النبي ﷺ لبطلت النبوات واستحالت . وأنا ذاكر مما بقي من نبوات الأنبياء عليهم السلام عليه ما هو كالمشاهدة والعيان ، فإن منهم من قد وصف زمانه وبلده ومبعثه وتبعه وأنصاره وصرّح باسمه تصرّيحاً .

فالنبوة الخامسة الدالة عليه المشيرة إلى نبوته وحقه قول موسى عليه السلام في الفصل الحادي عشر من التوراة من السفر الخامس « وهو الأخير لبني اسرائيل : ان الربّ إلهكم يقيم نبياً مثلي من بينكم ومن إخوتكم فأسمعوا له » . وقالت التوراة في هذا الفصل بعينه مؤكداً لهذا القول وموضحاً له ، انه قال الرب لموسى عليه السلام : إني مقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم « وأما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه » ولم يقم

الله نبياً من إخوة بني اسرائيل إلاّ محمداً عليه السلام . وقوله من بينهم تأكيداً وتحديداً انه من ولد أبيهم لا من ولد عمومتهم ، فأما المسيح عليه السلام وسائر الأنبياء صلى الله عليهم فإنهم كانوا منهم أنفسهم . ومن ظنّ بأن الله تعالى لم يميز بين مَنْ هو من القوم أنفسهم ومَنْ هو من إخوانهم فقد ظنّ عجزاً . فأما مَنْ ادعى ان هذه النبوة في المسيح عليه السلام فقد ظلم بخلتين وتجاهل من وجهين ، أحدهما ان المسيح عليه السلام من ولد داوود ، ودأود منهم انفسهم وليس من إخوانهم ، والثانية ان من قال مرة ان المسيح هو خالق غير مخلوق ثم زعم ان المسيح مثل موسى ، فقد تناقض خبره وتذبذب قوله ، وان من زعم ان هذه النبوة في يشوع بن نون (٢٤٢) فقد أخطأ ، لأن يشوع ليس يُعدّ في الأنبياء ، ولم يؤد عن الله تعالى إلى بني اسرائيل شيئاً سوى ما أداه موسى عليه السلام ، ولأنه من القوم أنفسهم وليس من إخوانهم ، والنبى الذي أقامه الله تعالى من بني إخوانهم هو محمد (صلعم) وهو الذي من خالفه انتقم الله منه ، فقد تروى آثار النعمة بيّنة على من خالفه ، ودلائل النعمة ظاهرة على من قبله .

وقال موسى في هذا السفر في الفصل العشرين : إن الرب جاء من طور سينين (٢٤٣) . وطلع لنا من ساعير (٢٤٤) ، وظهر من جبل فاران ، ومعه عن يمينه ربوات القديسين فمنحهم العز وحبّتهم إلى الشعوب ودعا بجميع قديسيه بالبركة . ففاران هي البلدة التي سكنها اسمعيل عليه السلام ولذلك قدّم الله ذكرها في التوراة في قوله : فكان يتعلّم الرّمني في برية

(٢٤٢) خادم موسى وخلفه . أدخل العبرانيين أرض كنعان وقاد جيشهم في محاربة العمالقة فاجتاز الأردن ، ودخل أريحا .
(٢٤٣) هو الجبل الذي كلّم الله عليه موسى عليه السلام ، في صحراء سيناء .

(٢٤٤) قيل هو اسم لجبال مكة . أنظر معجم البلدان لياقوت .

فاران . وقد عَلم الناس كلهم أن اسمعيل سكن مكة ۝ فولده وأعقابه فيها وفيما حَوَلها يعرفون مأوى جدّهم ولا يجهلون بلده ووطنه ۝ وقد طلع الربُّ من فاران ۝ فإن لم يكن كما ذكرنا فليُوجدونا رباً ظهر من جبل فاران ، ولن يفعلوا . فأما اسم الربِّ هاهنا فإنه يَقع على النبي (صلعم) وهي كلمة مستعملة من العرب والعجم في الله عزّ وجلّ ۝ وفي عباده ۝ كقولك ربُّ البيت ، وقول السريانيين لمن أرادوا تفخيمه « مَار » أي يا ربّي ويا سيّدي ، ومار بالسريانية هو الرب (٢٤٥) .

نبوات داوود على النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً

وقال داوود النبي عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين : ۝ من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد ، فتقلّد السيف أيها الجبّار لأنّ بهاءك وحمدك البهاء والحمد الغالب ، إركب كلمة الحق وسمت التّأله ۝ فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة والأمم يخرّون تحتك ۝ . ولا نعرف أحداً تجب له هذه المعاني ، من تقليد السيف ، وشحذ النّصول ، وهيبة اليمين ، ووقوع الأمم تحته ، إلّا النبي (صلعم) فقد ركب كلمة الحق ، وتواضع لله بالدّيانة ، وشاهد المشركين حتى ظهر الدّين .

وقال داوود عليه السلام في المزمور الثامن والأربعين : إن ربّنا عظيمٌ محمود جداً ۝ وفي قرية إلّها وفي جَبَله قدوس ومحمد ، وعمّت الأرض كلها فرحاً . فهذا من نبوة داوود عليه السلام ۝ هو الإبانة والتصريح الذي لا تلبسه شكوك فقد سمّي (٢٤٦) النبيّ تسميةً .

(٢٤٥) قال في المنجد : مار كلمة سريانية معناها سيد ، وأكثر استعمالها للقدّيسين .

(٢٤٦) في الأصل سمّاه .

وقال داوود عليه السلام في المزمور الخمسين : ان الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، فالله يأتي ولا يُهمل ، وتحرق النيران بين يديه وتضطرم حواليه اضطراماً ، أفما ترون أن لا يخلي داوود النبي عليه السلام شيئاً من نبواته من ذكر محمد أو محمود كما قد تقرأون ، ومعنى قوله إكليلاً محموداً أي أنه رأس وإمام محمد محمود ، ومعنى محمد ومحمود وحميد شيء واحد في اللغة ، وإنما ضرب بالإكليل مثلاً للربّانية والإمامة .

وقال أيضاً في المزمور الثاني والسبعين ما أكد به وشدّد النبوات المتقدمة ، انه يحوز من البحر إلى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، وانه يخبر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم وتلحس أعداؤه التراب . تأتيه ملوك تارسيس^(٢٤٧) والجزائر بالقرايين ، وتقرب إليه ملوك سبأ وملوك سبأ القرايين ، وتسجد له الملوك كلهم ، وتدين له الأمم كلها بالطاعة والإنقياد ، لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه ، ويتفقد الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، وينجي أنفسهم من الضر والضم ، وتعزّ عليه دماؤهم ، وأنه يبقى ويعطى من ذهب بلاد سبا^(٢٤٨) ويصلى عليه في كل

(٢٤٧) بلاد ورد ذكرها في الكتاب المقدس . كان الفينيقيون يقصدونها قديماً في طلب المعادن الثمينة ، وقد يكون موقعها على الساحل الأطلسي الأسباني (المنجد) .

(٢٤٨) سبأ : بلاد في جنوب غربي الجزيرة العربية (اليمن) . ذكرت في كتب العهد القديم وفي مؤلفات العرب واليونان والرومان . كانت على جانب عظيم من الحضارة . تعاطى سكانها تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة . وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان : من كبار ملوك اليمن في الجاهلية الأولى . قيل اسمه عبد شمس وقيل عامر . ويظن انه كان في القرن العشرين قبل الميلاد . ملك صنعاء وما جاورها ، ووصفه ←

وقت « وبارك عليه كل يوم مثل الزروع الكثيرة على وجه الأرض ، ويطلع ثماره على رؤوس الجبال كالتي تطلع ^(٢٤٩) من لُسْنَانٍ وينبت في مدينته مثل عشب الأرض ويدوم ذكره إلى الأبد ، وأن اسمه لموجود قبل الشمس فالأمم كلهم يتبركون به وكلهم يحمّدونه » . فهذه نبوة شافية كافية ما فيها لبس ولا إظلام . فما نعلم أحداً ملك ما بين البحر والبحر « وبين الأنهار التي ذكرها الله في التوراة ، وهي دجلة ^(٢٥٠) والفرات ^(٢٥١) وبنيشون ^(٢٥٢)

مؤرخوه بالشجاعة وعلو الهمة ، وقالوا : انه طمح الى اخضاع القبائل النائية ، فحاربها ، وأولع بالعمران فابتنى مدينة مأرب وفيها السد . وقالوا : ان سبأ أول من خطب في الجاهلية ، ولم تكن الخطابة على ملاء من الناس معروفة قبله . وقالوا : انه أغار على بابل ففتحها وأخذ اتاوتها ، وانه أول من فتح البلاد وأخذ الاتاوات . وأعقب نسلا كثيراً ، قال النسابة الكلبي : ولد لسبأ : حمير وكهلان وصيفي وبشر ونصر وأفلح وزيدان والعود ورهم وعبدالله ونعمان ويشجب وشداد وربيعه ومالك وزيد ، فيقال لبني سبأ كلهم السبئيون ، الا حميرا وكهلان ، فان القبائل قد تفرقت منهما ، ومن قال انه سبىء فليس بحميري ولا كهلاني ، وانما هو من أبناء سبأ الآخرين . وقد ورد ذكر سبأ في موضعين من القرآن . قال تعالى : « وجئتكم من سبأ نبأً يقين » (النمل : ٢٢) وقال : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال » (سبأ : ١٥) .

(٢٤٩) في الأصل : كالذي يطلع

(٢٥٠) نهر ينبع في تركيا شرقي جبال طوروس ثم يجري في العراق مارا في الموصل وبغداد . تمتزج مياهه بمياه الفرات عند القرنة فيكونان شط العرب الصالح للملاحة .

(٢٥١) نهر نبعه في أرمينيا ، يجري في تركيا مخترقا جبال طوروس وسورية والعراق حيث تتسرب منه مياه كثيرة الى الأراضي المنخفضة المجاورة فتظهر بحيرات أهمها الحبانية ، ثم يلتقي بنهر دجلة عند القرنة (انظر الحاشية السابقة) . اعتبر الفرات قديما أحد أنهر الفردوس الأربعة ودعي بالنهر الكبير .

(٢٥٢) لم أعثر على اسم هذا النهر ومكانه فيما بين يدي الساعة من

وجينحون (٢٥٣) وخرت الملوك بين يديه سجداً على الركب ، ولحس أعداؤه ،
التراب ، وأتته ملوك اليمن بالقرايين ، إلا النبي ﷺ وأمته وإلا مكة وما
فيها من أثر قدم إبراهيم ، ولا نعلم أحداً يصلي ويبارك عليه في كل وقت غير
محمد ﷺ ، وهو قول الأمم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد
وعلى آل محمد . آية دلالة أشهر ، ونبوة أظهر وأنور من هذه . ولقد ختم
داود النبي عليه السلام نبوته هذه بأن قال : فالأمم كلها يتبركون به ويحمدونه
ويسمونه محمد ، ومعنى محمد ومحمود واحد .

وقال داود عليه السلام في المزمور المائة والعشرة : إن الرب عن يمينك ،
وهو يكسر في يوم رجزه الملوك ويضعف ركن الملك ، ويحكم بينهم بالحق ،
ويكثر القتل والجيف ويقطع رؤوس بشر كثير في الأرض ، ويشرب في
سفره من ماء الأودية ، ومن أجل هذا يسمو للمعالي رأسه . فهذه أيضاً صفة
كالعيان ، فمن ذا الذي كان الرب عن يمينه والذي حكم بالحق وضرب الرقاب
وأكثر القتل والجيف غير غير أمته ﷺ .

وقال في المزمور المائة والتاسع والأربعين : من أجل أن الرب ارتاح
لشعبه ، وتطوّل على المساكين بالخلص ، فليتمنّ الأبرار بالكرامة ، ويسبحونه
على مضاجعهم ، ويكرموا الله بحناجرهم ، لأن في أيديهم السيف ذا الشفرتين
للانتقام من الشعوب وتوبيخ الأمم وإثقال ملوكهم بالقيود وعليتهم ومكرمهم
بالسلاسل ليحملهم على القدر المكتوب المبرم فالحمد لجميع أبراره . أما ترون

مصادر . ولعل المؤلف يقصد به وادي بيشة ، قال الزمخشري :
بيشة واد يصب من اليمن . وانظر معجم البلدان ٧٩١\١ والبكري
٢٩٣/١ .

(٢٥٣) نهر نبعه من جبال بامير بالهند ، يجتاز آسيا السوفياتية ويصب
في بحر آرال .

يهديكم الله هذه للصفات خالصة للنبي ﷺ ولأمته ؟ فهو الذي معه ' السيف ' ذو الشفرتين ، وهو المنتقم بأمته من جبابرة فارس وطغاة الرُّوم وغيرهم ' وهو الذي قيّدت أمته الملوك وساقّت جلّتهم وأولادهم في السلاسل والأغلال ، وهم الذين يُسبّحون الله على مضاجعهم ويُكبّرونه صباح مساءً تكبيراً وفي كل وقت ، وذلك قولهم : الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً .

وقال عليه السلام في المزمور المائة والثاني والخمسين ، فسَمّي البلد والأهل فلم يدع موضع مقال ولا اعتلال ، وهو مزمورٌ ينسبُ إلى اشعيا النبي عليه السلام : لتراتح البوادي وقراها وانتَصِرَ أرض قيذار (٢٥٤) مروجاً وليسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قُلل الجبال بحمدِ الربِّ ويذيعوا تسابيحَه في الجزائر ، لأنَّ الربَّ يحمي كالجبار وكالرجل المحرَّب المتلطي للتكبر فهو يزجر ويتجبر ويقتل أعداءه « فليمن البوادي يا بني عمّي يهديكم الله إلا لهذه الأمة ، أو من قيذار إلا » ولِدُ اسماعيل عليه السلام وهم سكان الكهوف الذين يحمدون الرب ويذيعون تسابيحَه في الهواجر والأسحار ، ومن ذا الذي زَجَرَ وتجبر وقتل أعداءه غير محمد ﷺ وأمته ؟ فأما معنى قوله ان الرب يحمي ، فقد بينّا انه اسمٌ واقعٌ على السادات والعُظماء .

(٢٥٤) قيذار : قبيلة عربية سكنت ربوع تدمر ومنطقة الجنوب الشرقي من دمشق .

نبوءات اشعيا علم النبي طام الله عليه وسلم

قال في الفصل الثاني من كتابه : **إِنَّ الرَّبَّ يَتَعَزَّزُ وَيَتَعَمَّالِي يَوْمَئِذٍ وَحْدَهُ عَلَى جَمِيعِ صَنُوبَرٍ^(٢٥٥) لِبُنْيَانِ الْمَسْتَطِيلَةِ الشَّائِخَةِ ، وَعَلَى جَمِيعِ شَجَرِ الْبَلُوطِ^(٢٥٦) الَّتِي بِأَرْضِ بَيْنَسَانَ^(٢٥٧) وَعَلَى جَمِيعِ**

- (٢٥٥) الصنوبر جنس اشجار حرجية من فصيلة الصنوبريات . يشمل اصنافا عديدة يزرع بعضها للتزين ، ويستخرج من بعضها روح البطم .
- (٢٥٦) شجر كبير غليظ الساق متين الخشب ، ثمرته بيضوية الشكل لها قمع يغطي قاعدتها وقشرة يابسة قاسية تضم بذرة واحدة .
- (٢٥٧) قرية فلسطينية تقع الى الجنوب من طبريا وعلى بعد ٦ كيلومترات غربي نهر الأردن والى الجنوب الشرقي من مرج ابن عامر ، وهي المدينة الكنعانية القديمة المعروفة في العهد السحيقة باسم (بيت شان) . وكانت في مختلف العصور التاريخية ، وخاصة العهد الروماني ، صلة الوصل بين فلسطين وسورية والبلاد الواقعة شرقي نهر الأردن ، وكانت الاراضي التي حولها كثيرة المستنقعات مما أدى الى انتشار الملاريا ، الا ان هذه المستنقعات اختفت بسبب زراعة عدد وافر من احراج شجر الكينا فيها . وتغلب مزروعات المنطقة الحارة على الاراضي المحيطة بها وبصورة خاصة اجود انواع الموز ، فالنخيل فالقطن . كما ان لزراعة الحبوب اهميتها في اراضي المدينة . وقد بلغ عدد سكانها في اواخر عهد الانتداب البريطاني البفيض ما يزيد على (٥) آلاف نسمة . وقد سقطت بيد اليهود أعداء العروبة والاسلام في ١٢ أيار (مايو) سنة ١٩٤٨ ، بعد هجوم استمر ٣ ساعات ولم يكن في حوزة مناضليها الذين استماتوا في الدفاع الا بنادق عادية . وقد سمح اليهود لسكانها بالبقاء شرط ان يسلموا أسلحتهم . وبعد شهر واحد أمروهم بالرحيل بالقوة . فلم يبق في المدينة عربي واحد .

الجبّال الرّوّاسيّ ، وَعَلَى كُلِّ قَلْبَةٍ مُّصِيفَةٍ ، وَعَلَى كُلِّ قِصْرِ رَفِيعٍ ،
 وَعَلَى كُلِّ جَبَلٍ مَّنِيعٍ ، وَعَلَى جَمِيعِ سَفُنٍ تَارِسِيٍّ ، وَعَلَى
 كُلِّ مَنْظَرَةٍ رَّائِعَةٍ بَهِيمَةٍ ، وَيُبِيدُ الْأَوْتَانَ بَيْنُدُودَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَيُغَيِّبُ
 فِي صُدُوعِ الصَّخُورِ وَأَنْفَاقِ التُّرَابِ مِنْ قُدَّامِ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَمِنْ بَهَاءِ حَمْدِهِ . فَوَافَقَ إِشْعِيَا دَاوُودَ النَّبِيَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ : إِنَّ
 بَهَاءَكَ وَحَمْدَكَ هُوَ الْحَمْدُ الْغَالِبُ ، فَكَأَنَّهُمَا خَرَجَا مِنْ مِشْكَاةٍ
 وَاحِدَةٍ ، فَأَمَّا تَأْوِيلُ الْجِبَالِ وَالشُّجَرِ فَإِنَّهُمْ الْأَكْبَرُ وَالْأَصَاغِرُ وَالْمُلُوكُ ،
 وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي كُتُبِهِمْ .

وقال في الفصل الثالث عن الله تعالى : إني رافع آيةٍ لِلْأَمَمِ مِنْ بَلَدٍ
 بَعِيدٍ ، وَأَصْفَرُ لَهُمْ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ صَفِيرًا فَيَأْتُونَ سِرَاعًا عِجَالًا ،
 لَا يَمْلُونَ وَلَا يَعْثُرُونَ وَلَا يَنْعَسُونَ وَلَا يَنَامُونَ وَلَا يَحِلُّونَ مَنَاطِقَهُمْ
 وَلَا يَنْقَطِعُ عَقْدُ خَفَافِهِمْ ، سَهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ ، وَقِسِيَّتُهُمْ مُوتَرَةٌ ،
 وَحَوَافِرُ خَيْلِهِمْ كَالْجِلَامِيدِ صَلَابَةٌ ، وَعَجَلَتُهُمْ مُسْرَعَةٌ مِثْلُ الزَّوَابِعِ ،
 وَزَيْئُهُمْ كَزَيْئِ اللَّيْثِ وَكَشِبَلِ الْأَسَدِ الَّذِي يَزَارُ وَيَنْتَهِمُ لِلْفَرِيَسَةِ ،
 فَلَا يَسْجُو مِنْهُ نَاجٍ ، وَيَرْهَقُهُمْ يَوْمُئِذٍ مِثْلُ دَوِيِّ الْبَحْرِ وَاصْطِطْكَاهُ ،
 وَيَرْمُونَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا النَّكَبَاتِ وَالظَّلْمَاتِ ،
 وَيَنْكَسِفُ النُّورُ عَنْ عَجَاجِ جَمُوعِهِمْ » فهذا قولُ الله عَزَّ وَجَلَّ ،
 وهؤلاء بنو إسماعيل عليه السلام وأُمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ ، الَّذِينَ صَفَّرَ اللَّهُ لَهُمْ
 صَفِيرًا فَجَاءُوا مِنْ بَلَدَانِهِمْ سِرَاعًا لَا يَمْلُونَ وَلَا يَسْأَمُونَ ، وَكَانَتْ سَهَامُهُمْ
 مَسْنُونَةً وَقِسِيَّتُهُمْ مُوتَرَةٌ وَحَوَافِرُ خَيْلِهِمْ كَالصَّفَا وَالْجِلْمُودِ ،
 وَزَيْئُهُمْ كَزَيْئِ اللَّيْثِ ، وَهُمْ الَّذِينَ افْتَتَرَسُوا الْفَرَائِسَ شَرْقًا وَغَرْبًا
 فَمَا نَجَا مِنْ أَيْدِيهِمْ نَاجٍ . وَصَارَتِ الْجَبَابِرَةُ عَنْدهُمْ كَالنَّعَاجِ ، وَثَارَ مِنْ
 زُحُوفِهِمُ الْعَجَاجُ ، وَضَاقَتْ بِهِمُ الْمَنَاهِجُ وَالْفَجَاجُ .

وقال في الفصل الخامس مُفسِّراً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ نُبُوَّاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ

الأمّة التي كانت في الظلمات رأتُ نوراً باهراً ، والذين كانوا في الدُجى وتحت ظلال الموت سَطَعَ عليهم الضّوءُ ، أَكْثَرَتْ من التّبَسُّع والاحزَاب ولم تَسْتَكَثِرِ الاغْتِبَاطَ بِهِمْ ، فَأَمَّا هُمْ فَإِنَّهُمْ فَرَحُوا بِبَيْنِ يَدَيْكَ كَمَنْ يَفْرَحُ يَوْمَ الْحَصَادِ ، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم لأنّكَ فَكَكْتَ النّير الذي كانَ أَذْلَهُمْ والعصا التي كانت على أَكْتَافِهِمْ وكسرتَ القَضِيبَ الذي كان يَسْتَعْبِدُ بِهِمْ مثل كسركَ من كسرت في يوم مدين (٢٥٨) . وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي ﷺ في القرآن وقال أنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم (٢٥٩) . فانظروا يهديكم الله وتبينوا من ذا الذي فكّ النير عن ولد إبراهيم ، وأبطل سلطان الأعداء ، وبتر قضيب الأعزة ، وهل أشرق ذلك الضوء إلا على أهل تلك البادية الظلماء من عبّاد الأوثان من ولد إسماعيل ؟

وقال في هذا الفصل : « إنه ولد لنا مولود ووهب لنا ابنٌ سلطانه على

(٢٥٨) مدين اسم قرية كانت على البحر الأحمر وكان بها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لبنات شعيب .
وجاء في التوراة ما يفيد أن مدين اسم ولد من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم أطلق الاسم على القبيلة التي تكونت من ذريته ، وأطلقت على مساكنهم وأرضهم التي كانت تمتد ما بين طور سيناء إلى نهر الفرات وقد أرسل الله اليهم شعيبا نبيا ، وقد ورد ذكر مدين في ١٠ مواضع من القرآن الكريم .

(٢٥٩) قال تعالى : الذين يتَّبِعُونَ الرّسولَ النّبِيَّ الأَمِيَّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون « (الأعراف : ١٥٧) . ومعنى الإصر في هذه الآية الكريمة : التكاليف الشاقة .

كتّفه » . ومعنى قوله هذا إن نبوته على كتفه ، فهذا في كتب السريانية التي فسرّها مارقوس ، فأما في العبرانية فإنه يقول : إن على كتفه علامة النبوة ، وهي التي يسميها أهل الإسلام خاتم النبوة (٢٦٠) . فهذا تصريحٌ بصفة النبي ﷺ وإشارة إلى صورته وشاماته .

(٢٦٠) من الألقاب التي ينعت بها الرسول العربي الكريم (ص) : خاتم النبوة ، وخاتم الانبياء والمرسلين ، وخاتم النبيين ، أي آخرهم ولا نبي بعده . وقد ورد هذا النعت في موضع واحد من القرآن . قال تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » (الاحزاب : ٤٠) .

ومما تذكره كتب السيرة أن النبي (ص) خرج الى الشام في سن الثانية عشرة في صحبة عمه أبي طالب ، فلما نزل « بصرى » (مدينة في سورية - محافظة حوران) بصر به راهب مسيحي يدعى «بحيرا» عرف أنه النبي الموعود ، وحذر عمه عليه من اليهود . قال ابن سعد أن بحيرا قال للنبي : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك ، فقال رسول الله ، (ص) : لا تسألني باللات والعزى ، فوالله ما ابغضت شيئا بفضهما . قال : فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، قال : سلني عما بدا لك ، فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله (ص) يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده ، قال : فقبّل موضع الخاتم وقال لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال أبو طالب : ابني ، قال : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال فابن أخي : قال فما فعل أبوه ؟ قال : هلك وأمه حبلى به ، قال : فما فعلت أمه ؟ قال : توفيت قريبا ، قال : صدقت ، أرجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبغّنه عنتا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما رويناه عن آبائنا ، واعلم أني قد أديت اليك النصيحة . » وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ، (صلعم) وعرفوا صفته ، فأرادوا أن يفتالوه فذهبوا الى بحيرا فذاكروه فنهاهم أشد النهي وقال لهم : أتجدون صفته ؟ قالوا : نعم ، قال : فما لكم اليه سبيل ، فصدقوه وتركوه ، ورجع به أبو طالب فما خرج به سفرا بعد ذلك خوفا عليه . . . » .

وقال في الفصل العاشر كاشفاً لما اشتبه ومبيناً لما اغتصص من نبوءاته :
هكذا يقول الرب ، إنك ستأتي من جهة التيمن (٢٦١) من بلد بعيد ومن أرض

(٢٦١) قال ياقوت : تيمن بالفتح وآخره نون موضع بين تباله وجرش من
مخالف اليمن ، وتيمن أيضا هضبة حمراء في ديار محارب قرب
الربذة ، قال الحكم الخصري خضر محارب :
أبكاك والعين تذري دمعها الجزع بنصف تيمن مصطفى ومرتبوع
جرت بها الريح أذيلًا وغيَّرها مر السنين وأجلت أهلها النجع
ولا أدري أيهما أراد ربعة بقوله حيث قال :
وأضحت بتيمن أجسادهم يشبهها من رآها الهشيمة
وقال ابن السكيت في قول عروة :
تحن إلى سلمى بحر بلادها وأنت عليها بالمالا كنت أقدرا
تحلّ بواد من كراء مضلة تحاول سلمى أن أهاب وأحصرا
وكيف ترجيها وقد حيل دونها وقد جاورت حيا بتيمن منكرا
قال : تيمن أرض قبل جرش في شق اليمن ثم كراء ، قال : والناس
ينشدونها بتيماء منكرا ، وهذا خطأ ، لأن تيماء قبل وادي القرى
وهذه المواضع باليمن ، وقيل تيمن أرض بين بلاد بني تميم ونجران ،
والقولان واحد لأن نجران قرب جرش . قال وعلة الجرمي :
ولما رأيت القوم يدعوا مقاعسا ويقطع مني ثغرة النحر حائر
نجوت نجا ليس فيه وتيرة كأني عقاب دون تيمن كاسر
وتيمن ذي ظلال واد إلى جنب فذك في قول بعضهم ، والصحيح انه
بغالية نجد . قال لبید يذكر البراض وفتكه بالرحال - وهو عروة بن
ربيعه بن جعفر بن كلاب - بهذا الموضع وهاجت حرب الفجار :
وابلغ ان عرضت بنسي كلاب وعامر والخطوب لها موالي
بان الوافد الرحال أمسى مقيما عند تيمن ذي ظلال
وقال في « قاموس الكتاب المقدس » : « تيمان : اسم عبري معناه
اليمني أو الجنوبي ، واسم قبيلة تسميت باسم بكر اليفاز بن عيسو
والاقليم الذي تسكنه . وواضح ان الاقليم الذي كانت تسكنه واقع
في الجزء الشمالي من أدوم . ويسمى أرض أبناء الشرق . ويدعى
أيضا « تيمن » وقد اشتهر أهله بالحكمة . وربما كان مكانه الآن
طويلان شرقي البتراء » .

البادية ، مسرعاً مقدماً مثل الزوابع والزعازع من الرياح ، ولقد رأينا منظرًا رائعاً هائلاً ظالماً يظلم ، ومنتهباً ينهب ، فأصعدي (٢٦٢) يا جبال عيلم (٢٦٣) وجبال الماهين (٢٦٤) فقد بطل جميع ما كنت تنافسين وتناقشين عليه ، ومن أجل ذلك اعترت ظهري الرعدة ودير بي كما يُبدار بالمرأة النفساء ، ولقد ذعرت حتى ما أسمع ، وذهلت حتى ما أرى ، وهام قلبي وأذهلتنى السمادير ، وصار ما كنت أحبه مؤنساً أنيفاً وحشة عندي وشيئاً هائلاً ، فانصبوا يا هؤلاء الموائد ، وارفعوا عيونكم أيتها الربايا (٢٦٥) والجواسيس ، وكلوا واشربوا ، ولتقم السادة والقادة إلى أترستهم فليدهنوها دهناً لأنّ الرب قال لي هكذا امض فأقم الربيثة على المنظرة ليخبر بما يرى ، فكان الذي رأى راكبين أحدهما راكب حمار والآخر راكب جمل ، وسمع مقالاً كثيراً جداً وأسرّ صاحب المنظرة إليّ وقال في أذني : إني أنا الرب القيثوم وأنا بالمرصاد والمنظر الأعلى ليلاً ونهاراً ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل أحد الراكبين وهو يقول

(٢٦٢) في الأصل : فاصفري .

(٢٦٣) جاء في قاموس الكتاب المقدس : عيلام : بلاد فيما وراء دجلة وإلى الشرق من مملكة بابل ، وإلى الجنوب من مملكة آشور وميديا ، وعلى الضفة الشمالية لخليج العجم ، وإلى الغرب من مملكة فارس . وكانت عاصمتها شوشان (أي شوش) . وقد سميت بعيلام نسبة إلى عيلام بن سام ، ونسله العيلاميون . . . وعيلام اليوم جزء من دولة إيران وتسمى مقاطعة خوزستان .

(٢٦٤) أي جبال مادي (ميديا) : قال في قاموس الكتاب المقدس : « مادي كلمة مشتقة من ماداي بن يافث الثالث . وهي اسم بلاد يحدها نهر أركسيس وبحر قزوين إلى الشمال والشمال الشرقي ، وفرثية وهركانية وصحراء فارس من الشرق ، وفارس وسوسيانة مسن الجنوب ، وأشور وأرمينية من الغرب . . . ومادي الآن جزء من مملكة إيران الحالية » .

(٢٦٥) طلائع الجيوش .

هَوَتٌ هَوَت بابل وتكسّر جميع آلهتها المنجورة على الأرض، فهذا الذي سمعت من الرب إله إسرائيل العزيز قد أنبأتكم». فهذه أيضاً نبوة مفصّحة مصرّحة لا يدفعها إلّا مَنْ غَشَّ نفسه ونبذ رشده ، فكما أنه ليس لقائلٍ عاقلٍ أن يتجاسرو ويتجاهل فيقول : إنه قد كان في الدنيا راكب حمار أولى بهذه النبوة من المسيح عليه السلام ، فكذلك ليس لذي وَرَعٍ أو لبٍّ أن يقول: إنه قد كان في الدنيا راكب جمل أولى بهذه النبوة من النبي ﷺ ومن أمّته ، أو ما يَسْتَحْيِ أهل الفهم والعلم من أهل الكتاب أن يجعلوا مثل هذه النبوة الواضحة الجليلة لقوم أجلاف جفاة ؟

ولقد شرح أشعيا النبي ذلك ولم يدعمهم في عَمَى وفتح منهم الآذان الصّماء فقال : إنَّ هكذا يقول الرّب إنك ستأتي من جهة التيمّن . ثم فسّر ذلك فقال : من بلد بعيدٍ ومن أرض البادية « لئلا يدع لاحتجّ حُجَّةً . ثم زاد إلى ذلك فقال : هَوَتٌ آلهة بابل وتكسّرت » ولم يزل في إقليم بابل ملوكٌ يعبدون الأوثان مرةً ثم النيران آخرةً حتى ظهر النبي ﷺ فاصطلم عزّهم وهدم بيوت أوثانهم ونيرانهم وأدخلهم في الدين طوعاً وكرهاً . أو لم يستحيّوا أن يقولوا: إن الأنبياء المهديين من آل إسحاق عليهم السلام تنبأوا على ملوك بابل وماهين وفارس والخوز (٢٦٦) وأضربوا عن ذكر مثل هذا النبي الجليل ، والأمة الإبراهيمية العظيمة ، والدولة المنصورة ، وإن الله سترها عنهم أو كرهاها منهم . فأما قوله : رأيتُ ظالماً يظلم ، يعني به فارس

(٢٦٦) أي بلاد خوزستان ، وكانت تسمى قبل ذلك بلاد العيلاميين . أما اليوم فتعرف باسم « الأهواز » وقد سبق التعريف بها ، ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع كتاب « الأحواز » لعلي نعمة الحلوة ، فهو من أجل الكتب في بابه .

والخوز والنبط (٢٦٧) الذين ذكرهم وقال لهم : أرجعوا خائبين وتنحّوا

(٢٦٧) النبط أو الأنباط ، قبائل بدوية عربية ظهرت لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد في الصحراء الواقعة في شرقي ما يسمى اليوم بالملكة الاردنية الهاشمية . وفي القرن الرابع كانت لا تزال رحالة تعيش في الخيام وتتكلم العربية ولا تهتم بالزراعة ثم تركت - في القرن الثالث - حياة الرعي الى حياة الاستقرار وعملت بالزراعة والتجارة ثم تحولت الى مجتمع منظم في اواخر القرن الثاني قبل الميلاد .

وأول تاريخ ثابت للأنباط يرجع الى سنة ٣١٢ ق م حين صدوا هجمات القائد السلوقي انتيفونس الأعور ، أكبر قواد الاسكندر ، الذي احتل سورية وآسيا الصغرى وما بين النهرين سنة ٣١١ ق م . اتخذ الأنباط مدينة البتراء عاصمة لهم لحصانتها ، ووسعوا سلطتهم ومراكزهم الى المنطقة الشمالية المجاورة حيث اعادوا بناء المدن الأدومية والموآبية القديمة .

أشهر ملوكهم (١) الحارث الأول . ورد ذكره في سفر المكابيين امتنع عن قبول ياسون لدى هربه من اورشليم سنة ١٦٩ ق م . (٢) الحارث الثاني : ذكره المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفس في كلامه عن حصار غزة سنة ٩٦ ق م ، شجع المدينة على مقاومة الحصار اليهودي وقدم لها المساعدة . (٣) الحارث الثالث (نحو ٨٥ - ٦٠ ق م) تدخل في حرب الأخوين السلوقيين انطيوخس الثاني عشر وديميتريوس الثالث . وبسط نفوذه على دمشق ، وحارب اليهود ، وحاول أن يوقف امتداد النفوذ السياسي الروماني على انه رحب بالاتصال الثقافي بالحضارة الرومانية اليونانية . وهو أول من صك النقود النبطية التي اقتبس لها النموذج المعروف عند البطالمة . (٤) الحارث الرابع وهو أشهر ملوك النبط ، تابع نشر الحضارة الرومانية في مملكته التي بلغت ذروتها في عهده ، ساعد اوغسطس في معركة مع اليهود سنة ٤ ق م . وقد تزوج هيرودس أنتيباس من ابنة الحارث ثم طلقها مفضلا عليها الراقصة هيرودياس ، فحاربه الحارث وهزمه ...

←

مدحورين مسلوبين إلى بلدانكم . وقال في هذا الفصل : إنكم ستيتون مساءً في الفيضة التي على طريق دورنيم^(٢٦٨) . فتلقوا العطاش بالماء يا سكان التيمن واستقبلوا بالأطعمة القوم المبددين المفرقين لأن السيف بدددم ومن الشفار المشحوذة والقصي الموترة والحرب العوان المستعرة كان تشردهم . فمن هؤلاء العطاش الذين أقبلوا من جهة التيمن الذين أمر الله عز وجل أهل بلدانهم بتلقيهم ؟ أو من هؤلاء الذين أجلتهم الحروب أو شردت بهم ؟ ومن الذين أمر الله باستقبالهم بالمياه والمطاعم غير العرب عند نهوضها لمحاربة الأمم المحيطة بهم الحائلة بينهم وبين المرعى والماء من الفرس والروم وغيرهم ؟

وقال في الفصل الحادي عشر : إنا سمعنا من أطراف الأرض مزموراً

وكانت مملكة الأنباط تضم في أقصى اتساعها جنوب فلسطين وشرقي الأردن وسورية الجنوبية الشرقية وشمالى الجزيرة العربية . وكانت حضارة الأنباط عربية في لغتها ، آرامية في كتابتها ، سامية في ديانتها ، ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية . قضى على الأنباط الامبراطور تراجانس الروماني .

(٢٦٨) في نبوءة اشعيا (الفصل ٢١) « بيتوا في غاب العرب يا قوافل الددانيين » . و « ددان » كما جاء في قاموس الكتاب المقدس : اسم لشعب كوشي ، وربما كان سكنهم في وقت ما بالقرب من رعمة في جنوب الجزيرة العربية ، وهم من نسل ابراهيم من قطورة زوجته بعد موت سارة . وكان الددانيون شعبا تجاريا له مكانة مرموقة في تجارة العالم القديم . وكانوا من بلاد العرب ويقطنون جنوبي الأدوميين ، وكانت طرق القوافل من الجنوب ومن وسط الجزيرة العربية تمر ببلادهم . ولا يزال الاسم باقيا في ديدان وهي مكان يقع الى الجنوب الغربي من « تيماء » . وكانت ددان التي تقع بقرب تيماء مركزا للتجارة في الجزيرة العربية . واسمها الحديث « العلا » في وادي القرى في شمال الحجاز ، وقد كانت محطاً للقوافل كما كانت مركزا للتجارة الآتية من اليمن والهند الى البحر الابيض المتوسط .

وترتيلاً للبرّ والخير وهو يقول: إن لي سرّاً إن لي سرّاً، ويقول: يا ويحي،
فَجَرَّ الفَجَّارَ فَجَرَّ الفَجَّارَ فجوراً، فهأنذا محققٌ بكم يا سكان الأرض الرُّعب
والمهواة والفنخ، فمن نجا من الحرب وقع في المهواة، ومن صعد من المهواة
اشتمل عليه الفنخ لأن أبواب السماء تفتحت، وتزعزعت أساسات الأرض
وارتاعت. فهذا في تفسير مارقوس (٢٦٩). فأما في العبراني الذي هو
الأصل فإنه يقول: «إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد» ومكة هي
في أطراف الأرض وعلى ساحل البحر، فليعلمونا متى وفي أيّ دهر نزل بأهل
الإشراك والكفر من الرّوعات والنقم والنكبات مثل ماعنهم ونزل بهم في
هذه الدولة.

وقال في الفصل السادس عشر مفسراً لما تقدم في النبوءات ومبكتاً لأهل
الحك والغوايات: لتفرح أهل البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات
ولتخرج نوراً كنور الشسلبند (٣٧٠) ولتستتر وتزه مثل الوعل لأنها ستعطى
بأحمد محاسن لبنان، كمثل حسن الدساكر والرياض، وسيرون جلال الله عزّ
وجلّ وبهاء إلهنا «أما ترون يهديكم الله ماذا كشف لكم النبي عليه السلام
ونطق به الوحي من ذكر البوادي والقفار، وما بشرها الله تعالى به من
الجدّة والنصرة والكرامات المعدة لها بأحمد عليه السلام. فهل يختلج شكّ
بعد التسمية ووصف البادية المعطشة؟

وقال في الفصل التاسع عشر، فزاد إبانة وإيضاحاً: هتف هاتف في
البدو وقال خلوا الطريق للرّب، وسهلوا لإلهنا السبيل في القفر، فستمتلئ

(٣٦٩) كذا ورد في مخطوطات الكتاب، وقد ذكر كذلك في الصفحات
السابقة.

(٢٧٠) كذا بالأصل. ولم أجد هذه الكلمة في نبوءة اشعيا (الفصل الخامس
والثلاثون) وهو «الفصل السادس عشر» عند المؤلف كما ورد في
بدايته.

الأودية كلها مياهاً وتفيض فيضاً ، وتنخفض الجبال والروابي انخفاضاً ، وتصير الآكام دكداكاً والأرض الوعرة مذلةً ملساءً ، وتظهر كرامة الرب ويراها كل أحد من أجل أن الرب يقول ذلك . فهل تعرفون يهديكم الله أمة دعاها الله من البدو والقفار ، وسهل لها الوعورة ، وأخصب الجنب ، وأمرع الجدوب . وأترع لعطاشهم الأودية إتراعاً ، وأذل لها الجبابرة والاملاك الذين شبههم بالروابي والجبال ، إلا هذه الأمة التي صارت دجلة بين أيديهم كالشراك المذل . فإنهم لما انتهوا إليها قالوا بأجمعهم : إن الذي حفظنا في البر هو الذي يحفظنا في البحر . ثم خاضوها خوضاً ووراءها كسرى ومرازبته (٢٧١) وأجناده فلم يحفلوا به ولا نكلوا عنه وهم عراة حفاة إنما يوقون رؤوسهم بالانساع .

وقال في هذا الفصل : إن الرب الإله سيظهر بالعز وذراعه بالحول والقوة ، أجره معه . وعمله أمامه ، كالراعي الذي يرعى قطيعه ويجمع غنمه بذراعه ويحملهم في حجره ويغذو الرواضع منهم بنفسه ، وقد بينا في ما مضى ، وفي كتابي الذي في الرد على أصناف النصارى . أن اسم الله واسم الرب واقعان على الناس أيضاً ، ومصدق ذلك في هذه النبوة ، فقد أخبر أن الرب الإله هو إنسان أجره معه وعمله أمامه . وإنما عني به النبي ﷺ ، فهو الذي كان أجره معه . وهو الذي عجل للمجاهدين في سبيل الله نوافله وفضله بالعز والغلبة الذين كانوا معه ، وقوله أنه كالراعي الذي يرعى قطيعه ، فإنه شبه ذلك برأفة النبي ﷺ وتحسنه على أهل دينه . فإن الله عز وجل يقول فيه ﷺ : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ » (٢٧٢) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وقال

(٢٧١) يقصد حماة الحدود ، أو حكام الثغور .

(٢٧٢) كذا بالأصل . والصواب : « عنتم » . سورة التوبة ، الآية ١٢٨

عَزَّ وَجَلَّ لموسى عليه السلام : إِنِّي جَاعِلُكَ إِلَهًا لِّفِرْعَوْنَ (٢٧٣) وقال في التَّوْرَةِ : إِنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَظَرُوا إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَرَأَوْهُنَّ رُوقَةً حَسَنًا فَاتَّخَذُوهُنَّ . وقال داودُ النَّبِيُّ ﷺ : قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي . ففي هذا تَبْيَانٌ أَنَّ إِسْمَى الإلهِ والرَّبِّ كَانَا يَقَعَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ .

وقال أشعيا عليه السلام في هذا الفصل : مَنْ ذَا الَّذِي نَبَّاهُ الْبَرَّ مِنَ الْمَشْرِقِ وَدَعَاهُ إِلَى مَوْطِئٍ قَدَمِهِ لِيُسَلِّمَ إِلَيْهِ الْأُمَمَ وَيُذْهِلَ مِنْهُ الْمُلُوكَ وَيَجْعَلَ سِوْفَهُ فِي عِدَدِ الثَّرَى وَالْبَرَى ، وَقَسِيَّتُهُ فِي عِدَدِ الْحَزَمِ الْمَنْشُورَةِ . فَهُوَ يَغْلِبُهُمْ وَيَضْرِبُ وُجُوهَهُمْ ثُمَّ يَخْدِثُ سِلْمًا وَلَا يَطَأُ بِرِجْلِهِ سَفْرًا . وهذا شبيهٌ بما قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الْقُرْآنِ . فَأَمَّا قَوْلُهُ : مَنْ ذَا الَّذِي نَبَّاهُ الْبَرَّ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَإِنَّ أَرْضَ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقَ وَمَا وَالَاهَا عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ مَشْرِقٌ ، وَالشَّامَ عِنْدَ أَهْلِ بَرْقَةِ وَأَفْرِيقَةِ مَشْرِقٌ . وَأَرْضُ الْيَمَنِ وَالْحِجَازَ عِنْدَ الْحِكَمَاءِ مِنَ التَّيْمَنِ ، وَالْمَدْعُوُّ إِلَى مَوْطِئٍ قَدَمِ خَلِيلِ اللَّهِ ﷺ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِلَيْهِ أَسْلَمَ اللَّهُ الْأُمَمَ وَبِهِ وَبَّخَ الْمُلُوكَ فَذَهَلُوا ، وَهُوَ الَّذِي لَا تُعَدُّ رُمَاتُهُ وَسَيَافُوهُ ، وَبِهِ ضَرَبَ اللَّهُ وُجُوهَ الْأُمَمِ وَخَذَلَهُمْ ثُمَّ أَعْقَبَهُم الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ وَالسَّلَامَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ أَشْعِيَا النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وقال في الفصل العشرين : يَا آلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي الَّذِي قُوَّتُكَ ، دَعْوَتُكَ مِنْ أَقْصَايِ الْأَرْضِ وَمِنْ نَجْوَدِهَا وَعَوَالِيهَا ، نَادَيْتُكَ وَقُلْتُ لَكَ إِنَّكَ عَبْدِي وَأَنَا اجْتَبَيْتُكَ وَلَمْ أَسْتَرْ ذَلِكَ . فَلَا تَخَفْ لِأَنِّي مَعَكَ وَلَا تَرْهَبْ فَهَا أَنَا إِلَهُكَ ، أَيْدَتُكَ ثُمَّ أَعْنَتُكَ ، وَبِيَمِينِي الْعَزِيزَةَ الْبَرَّةَ مَهَّدْتُ لَكَ . وَلِذَلِكَ يَبْهَتُ وَيَخْزِي الْمُسْتَطِيلُونَ عَلَيْكَ ، وَيَضْمَحِلُّ وَيَتَلَاشَى الَّذِينَ يَمَارُونَكَ وَيَشَاقُونَكَ ، وَيَبِيدُ الْقَوْمُ الْمُنَازِعُونَ لَكَ ، تَطْلِبُهُمْ فَلَا تَحْسُ مِنْهُمْ أَثْرًا لِأَنَّهُمْ يَبْطَلُونَ وَيَصِيرُونَ كَالنَّسِيِّ الْمُنْسِيِّ أَمَامَكَ ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ قُوَّتُ يَمِينِكَ . قُلْتُ لَكَ لَا تَخَفْ فَإِنِّي أَنَا عَوْنُكَ وَخُلُصُكَ هُوَ قَدْ وُسَّ اسْرَائِيلَ ، يَقُولُ اللَّهُ الرَّبُّ أَنَا جَعَلْتُكَ مِثْلَ الْجُرْجَرِ الْحَدِيدِ الَّذِي يَدْقُ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ دَقًّا وَيَسْحَقُهُ سَحَقًا ، وَكَذَلِكَ

(٢٧٣) هذه الجملة ليست آية من آي الكتاب المبين .

تفعل أنت أيضاً ۝ تدوس الجبال وتدقها وتجعل المدائن والتلال هشيماً تذروه
العواصف وتلوي به هوج الرياح ، وتبتهج أنت حينئذ وترتاح بالرب وتكون
محمداً بقدوس اسرائيل ۝ . فهذه نبوة ۝ ناطقة ۝ وقول ۝ فصيح ۝ غير أعجم
ومعرب ۝ غير طمطم ۝ والمخاطب به من آل ابراهيم وولد اسمعيل المشبهين
بالحجر المدق (٢٧٤) والحديد المسحق (٢٧٤) الذي يدق الجبال باسم إله محمد
الذي سماه وقال انه يكون محمداً بالله جل وعز ، فقد وضع اليقين وانكشف
الغطاء ، وإن شغب شاغب ۝ فأكثر ما يمكنه أن يقول أن تفسير اللفظة
السريانية هو أن يكون محموداً وليس بمحمد ، ومن عرف اللغة وفهم نحوها
لم يخالفنا في أن معنى محمود ومحمد شيء واحد ۝ .

وقال في هذا الفصل: إن المساكين والضعفاء يستسقون ماءً ولا ماء لهم،
فقد جفت ألسنتهم من الظماء ، وأنا الرب ۝ أجيب حينئذ دعوتهم ولن أهملمهم،
بل أفجّر لهم في الجبال والأنهار ، وأجري بين القفار العيون ، وأحدث في
البدو آجاماً ۝ وأجري في الأرض العطشى ماءً معيناً ، وأنبت في القفار
البلاقع الصنوبر والآس والزيتون ، وأغرس في القاع الصفصاف السرو البهية
ليروها جميعاً ويعلموا ويتدبروا ثم يفهموا معاً أن يد الله فعلت ذلك وقدوس
اسرائيل ابتدعه ۝ . فأين لكم يا بني عمي المحيد عن هذه النبوة الواضحة
الناطقية ۝ وما عسيتم تقولون فيها ، وقد سمى البلاد ووصف المعاطش والقفار
والبلاقع وما فجر فيها من العيون وأجرى من الأنهار وغرس فيها من أنواع
الأشجار وسمى المعاطش المساكين من أهل البوادي والحجاز ۝ وأخبر أن يد
الله عز وجل فعلت ذلك ؟ . فليس لمن دفع هذه النبوة وأنكرها من دين
ولا حياء ولا خلاق ۝ فقد سمى النبي ﷺ في النبوة التي قبلها ، فماذا بقي
أيها الشاكثون ، وما العذر المقبول المنجي لمن تصام وتعامى عنها ؟

(٢٧٤) كذا بالأصل .

وقال في الفصل الحادي والعشرين : « لتسبحني وتحمدني حيوانات البر من بنات آوى حتى النعائم ، لأنني أظهرتُ الماءَ في البدو وأجريت الأنهار في بلد أشيمون (٢٧٥) لتشرب منها أمتي المصطفاة . فلتشرب منه أمتي التي اصطفيتها » . فمن كان شاكًّا فيما تقدم من النبوءات فلا عذر له إن جهل أو تجاهل أن النعائم لا تكون إلا بالبادية ، وإنما ذكر الثعالب والنعائم مثلا ضربه لسكان البوادي والفلوات ، فمن محك فيه وحاول تلييسه فقد هلك .

وقال في الفصل الثاني والعشرين عن الله عزّ وجل : « أنا الرب ولا إله غيري ، أنا الذي لا يخفى عليه خافية ، أنا أخبر العباد بما لم يكن قبل أن يكون » وأكشف لهم الحوادث والغيوب ، وأتم مشيتي كلها فأدعو من البدو طائراً ومن البلد البعيد الشاسع . هو النبي ﷺ ، وهو الذي ارتضاه الله لاجتهاده فيما أرضاه (٢٧٦) وأحبه . وإن بحثوا وتشاغبوا فليعلمونا أين هذا البدو والفلوات التي وصفها الله عز وجل ، ومن ذا الذي دعاه فعمل بمرضاته .

وقال في الفصل الثالث والعشرين يخاطب الناس عن النبي ﷺ : اسمعي أيتها الجزائر وتفهمي يا أيتها الأمم ، إن الربّ أهاب بي من بعيد ، وذكر اسمي وأنا في الرحم ، وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن ، وحاطني بظل يمينه وجعلني في كنانته كالسهم المختار ، وخرنني لسره وقال لي إنك

(٢٧٥) في نبوءة اشعيا (الفصل الثالث والأربعون) القفر . قال : يمجدي وحش الصحراء بنات آوى وبنات النعام لأنني أجعل مياها في البرية وأنهارا في القفر لأسقي شعبي المختار .

(٢٧٦) كذا في الأصل ولعله ارتضاه .

عبدى « فصر في وعدلى قدام الرب حقاً » وأعمالى بين يدي إلهي ، وصرت محمداً عند الرب ، وبإلهي حولي وقوتي « ، فإن أنكر منكراً اسم محمد في هذا الباب فليكن محموداً ، فلن يجد إلى غير ذلك من الدعاوي سبيلاً . وهو الذي جعل الله لسانه كالسيف « وهو العربي المبين الذي خبأه في كنانته لسره وتدبيره الذي قد أظهره ، وهو الذي يقول في أمته صباح مساء : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال في الفصل السادس والعشرين ما يزيد بنبواته المتقدمة إنارة وتأكيذاً وتمهيداً ، وخاطب بها هاجر عليها السلام : سبحي ايتها النور الرقوب ، واغتبطي بالحمد ايتها العاقر ، فقد زاد ولد الفارغة المَجْفِيَّةِ على ولدِ المَشْغُولَةِ الحَظِيَّةِ ، وقال لها الربُّ : أَوْسِعي مَوَاضِعَ خِيَامِكَ وَمُدِّي سِتُورَ مَضَارِيكَ ، لَا تَنْفَسي وَلَا تَضْنِي بَلْ طَوِّلِي أَطْنَابَكَ وَاسْتَوْثِقِي مِنْ أَوْتَادِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْتِ تَتَبَسِّطِينَ وَتَنْتَشِرِينَ فِي الْأَرْضِ يَمِيناً وَشِمَالاً « وَتَرِثُ ذُرِّيَّتَكَ الْأُمَمَ وَيَسْكُنُونَ الْقُرَى الْمُعْطَلَةَ الْيَبَابَ « فَكَلِمَتِ شِعْرِي مَا عَسَاهُمْ يَقُولُونَ فِي هَذِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَارَةَ وَهَاجَرَ جَمِيعاً عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوَصَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيَامَ وَلَدِ هَاجَرَ ، فَإِلَى مَنْ تُضَافُ هَذِهِ وَبِمَنْ تَلِيقُ إِلَّا بَوْلَدِ هَاجَرَ وَذُرِّيَّتِهَا ؟ أَوْ لِمَنِ الْخِيَامُ وَالْأَطْنَابُ إِلَّا لَوْلَدِهَا ؟ لَعَلَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّهُ عَنِ بَهَذَا الْخَبْشَانِ وَالتَّشْرُكِ فَانْهَمُ أَيْضاً أَصْحَابُ عَمْدٍ وَخِيَامٍ ، وَإِنْ مِنْ تَعَامَى عَنْ هَذِهِ وَمَا قَبْلَهَا لَعَمْرٍ قَلِيلُ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ 'مَجَاهِرٌ' بِمَعْصِيَةِ رَبِّهِ ، وَمَا تَرْكَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شُبْهَةٍ بَلْ كَرَّرَ وَأَظْهَرَ وَأَبَانَ .

وقال أيضاً عن الله عز وجل في الفصل الثامن والعشرين : إِنْ أِقْسَمْتُ بِنَفْسِي وَأُخْرِجْتُ مِنْ فَمِي كَلِمَةَ الْحَقِّ الَّتِي لَا خُلْفَ لَهَا وَلَا تَبْدِيلَ ، إِنَّهُ تَخْرُجُ لِي كُلُّ رَكْبَةٍ وَيَقْسَمُ بِي كُلُّ لِسَانٍ « وَيَقُولُونَ مَعاً إِنْ النِّعْمَةُ مِنْ عِنْدِ

الرَّبَّ . فمن هذه الأمة التي تقسم باسم الله ؟ ومن ذا الذي يخرُّ على الركب لاسم الفرد الواحد ويحدث بنعم الله صباحاً ومساءً ويفرِّدُهُ بالدعاء والابتهال غير هذه الأمة ؟ فأما جماعة النصارى فإنهم ينسبون النعم والأفضال إلى المسيح ويقولون في افتتاح الصلوات على المذابح : لتتمَّ علينا نعمُ يسوع المسيح .

وتنبأ اشعيا في هذا الفصل بما كشف به أسرار النبوة المتقدمة ، وبكت به أهل العمى والسفاهة . فلم يترك لمغالط حجة ولا لمعانيد مخرجاً ، وخاطب أيضاً هاجر فقال : أيتها المنغمسة المتغلغلة في الهموم التي لم تنل حظوة ولا سلواً ، إني جاعلٌ حجرك بلثوراً ، وموثق أساساتك بالحجر السماجوني^(٢٧٧) ، ومُزِينٌ حيطانك بالحجر اللازورد ، وأبوابك بحجر البلق ، ومُزخرفٌ حدود بيتك بالأحجار النفيسة ، ويعرفني هنالك جميعٌ ولدك ولا ينكرونني ، وأعمُّ أبناءك بالسلم وتكونين مزيّنةً بالصلاح والبر ، فتنحني عن الأذى والمكاره لأنك آمنةٌ منها ، فانحرفي عن الانكسار والانخزال فلن يقرباك ، ومن انبعث من بين يديّ فأليك يكون وفيك حلوه ، وتصيرين وزراً وملجأً لقاطنيك وسُكَّانك . فتدبروا يهديكم الله هذه فإنكم فهمون جدولون .

وانظروا لأنفسكم فإنكم عتدٌ مسؤولون . هل تعرفون المذلة المتغلغلة في الهموم إلا هاجر ؟ وهل تقع هذه المخاطبة إلا عليها وعلى ولدها ؟ فأَيُّ شيء أرفع وأعظم من شهادة الله لهم أنهم جميعاً يعرفونه ولا يجهلونهُ ، وأنه صير بلدهم وزراً وملجأً للناس أي حرماً وأمناً . وبُنيت مكة بالفسيفساء ونفائس الأحجار وحمل إليها تيجان الملوك . فليسمع مقالي ونصحي من كان ذا أذنين . وليتدبّر هذه الشهادات والمقاييس . وليخل بكتابي هذا وبكتاب الرّد على النصارى ، ويسترشد الله ويعمل لتفسيه في فكّاكها قبل أن يحلّ به هلاكها .

(٢٧٧) كذا بالأصل . وفي نبوءة اشعيا (الفصل الرابع والخمسون) :
الاثمد . والاثمد حجر يكتحل به يعرفه علماء الكيمياء باسم « أنتيموان » .

وتنبأ في هذا الفصل (٢٧٨) ونادى وهتف فقال : « يا معشر العطاش توجهوا الى الماء والورود ومن ليس له فضة فليذهب ويمتار ويستسقي ويأكل من الخمر والابن بلا فضة ولا ثمن . فهذا من نبوة اشعيا دالة على ما أنعم الله به على ولد هاجر من أمة النبي ﷺ ، وعلى أنهم صائرون الى ما وعدهم الله تعالى به في الآخرة من أنهارٍ من خمرٍ وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغير طعمه ، وأنهارٍ من خمرة لذة للشاربين ، فانظروا في هذه المشاكلة والمواقفة التي بين النبوتين جميعاً .

وقال في هذا الفصل : إني أقمتك شاهداً للشعوب ، ومدبراً وسلطاناً للأمم ، لتدعو الأمم الذين لم تعرفهم ، وتأتيك الأمم الذين لم يعرفوك هرولةً وشدةً ، من أجل الرب إلهك قدوس اسرائيل الذي أحمداك ، فاطلبوا ما عند الرب ، فإذا عرفتموه فاستجيبوا له ، وإذا قرب منكم فليرجع الخاطيء عن خطيئته ، والفاجر عن سبيله ، وليرجع إليّ لأرحمه ولينب الى إلهنا الذي عمت رحمته وفضله . فمن تدبر هذه النبوة وكرر النظر فيها لم يحتج الى غيرها ، فقد سمى النبي ﷺ باسمه وقال : إن الله جعلك محمداً ، فإن أثر المخالف أن يقول ليس بمحمد بل محمود وافقناه فيه لأن معناهما معنى واحد . وقد أتته الأمم هرولةً وشدةً وجعله الله مدبراً للأمم وداعياً الى الله كما قال اشعيا ، وسراجاً منيراً .

وقال في الفصل الثامن والعشرين : ان الله تعالى نظر ولم ير عدلاً وأنكر ذلك ، ورأى انه ليس أحداً يعين على الحق فعجب الرب منه ، وبعث وليه فأنقذه بذراعه ومهد له بفضله ، فاستلأم العفصاف كالدرع ووضع على رأسه سنور الإعانة والفلح ، ولبس لباس الخلاص لينتقم من المبغضين له والمعادين و يحيازي أهل الجزائر جزاءهم أجمعين ليتقي اسم الله في مغارب الارض وليخشع

(٢٧٨) أي « الفصل الثامن والعشرون » وفق ما ذكره المؤلف ، وهو في الطبعة العربية للكتاب المقدس « الفصل الرابع والخمسون » . وكلام المؤلف ابتداء من هذه الجملة هو في الطبعة العربية من الكتاب المقدس بداية الفصل الخامس والخمسون .

في مشارقها لجلاله . . وقد استلأم النبي ﷺ البر كالدرع، ووضع على رأسه سنور الإنقاذ والفلح . . ولبس لباس الخلاص والانتقام من أعداء الله، وجازى أهل الجزائر، وأظهر اسم الله في مشارق الأرض ومغاربها وخضع له أهلها. فأين المحيد عنه ؟ وكيف المدفع لهذه النبوءات التي قد تظاهرت عليه ؟ وأين المهرب من الله لمن عانده وتصام عن وحيه وندائه ؟

وتنبأ في هذا الفصل بما لا يردّه إلا الخاسرون ، ولا يجهله إلا الأجهلون الأعمهون ، فإنه ذكر أيضاً هاجر مخاطباً لها ولبلاذ ولدها مكة وقال : قومي وأزهري مصباحك فقد دنا وقتك ، وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخللت الأرض الظلام وغطى على الأمم الضباب ، فالرب يشرق عليك إشراقاً ، وتظهر كرامته عليك . وتسير الأمم الى نورك والملك الى ضوء طلوعك ، ارفعي بصرك الى ما حولك وتأملّي ، فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك ويأتيك ولدك من بلد بعيد ، وتتربى بناتك على الأرائك والسرر ، ويستروح قلبك من أجل أنه يميل إليك البحر ، وتحج إليك عساكر الأمم حتى تعمرك الإبل المربلة ، وتضيّق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك ، ويساق إليك كباش مدين وكباش أعفا (٢٧٩) وتأتبك أهل سبأ ويحدثون بنعم الله ويمجدونه . وتسير إليك أغنام

(٢٧٩) كذا بالأصل . وفي نبوءة اشعيا « الفصل الستون » من الطبعة العربية للكتاب المقدس : عيفة .

قال في قاموس الكتاب المقدس : « اسم عبري ومعناه ظلمة ، وهو ابن مديان بن ابراهيم ، ونسله من بعده ، حتى اختلط الاسم بين الرجل وبين القبيلة . واشتهرت القبيلة بالتجارة ، وكانت تسكن المناطق الشمالية في شبه الجزيرة العربية » .

قيدار (٢٨٠) كلها وتخدمك رخالات (٢٨١) نباوت (٢٨٢) ويرفع إلى مذبحي ما يرضيني ، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً .

فهذه أيضاً ، يهديكم الله . نبوة قد ظهرت وآية قد برت وصدقت ، وسارت الأمم إلى نور الدين ، ومالت إلى هذه الأمة ذخائر البحر ، وحجت إلى مكة إرسال الأمم ، وعمر أهلها الإبل والقطرات عما يردها من الرواحل والجمال ، وحج إليها أهل اليمن وأهل سبأ . وأشهر من ذلك وألزم لأذان المخالفين ، قيذار ونباوت ، هما من أبناء اسماعيل عليه السلام ، وقد احتوشوها وصاروا سادتها وخدامها . وجدد لبيت محمدته حمداً محمد ﷺ . فإن لم يكن ذلك كذلك ، فليسموا لنا غير النبي ﷺ وغير مكة ، وليعرضوا صفته على هذه الصفات . وقيسوا احواله إلى هذه النبوات ، ليفتلك الستر ويبندو اليقين .

وقال في هذا الفصل : هكذا يقول الرب انه سيترجاني أهل الجزائر

(٢٨٠) قال في قاموس الكتاب المقدس : « قيذار : اسم سامي معناه قدير أو أسود ، وهو ابن اسماعيل الثاني . وهو أب لأشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم أيضاً قيذار . وكانوا في الغالب رعاة متبدين يعيشون في خيام سود وهم البدو . إلا أن بعضهم كانوا متمدين يسكنون المدن وهم الحضر ، وكانوا أصحاب مواش كثيرة ، وهم بارعون في الحرب ولاسيما في الرمي بالقوس وكان يحاربهم الاشوريون . وقد نكل بهم نبوخذ نصر حين زحف بعسكره الى بلادهم وخربها ... »

(٢٨١) الرخل (بالكسر) والرخل (بالفتح) والرخل : الانثى من أولاد الضأن . والجمع أرخل ورخال (بالضم) ورخال (بالكسر) ورخلان ورخله ورخله .

(٢٨٢) كذا بالأصل ، وفي نبوءة أشعيا (الفصل الستون) : نباوت . قال في قاموس الكتاب المقدس : « نباوت : الابن الأكبر لاسماعيل ، واليه تنسب إحدى القبائل العربية التي وصفت بكثرة مواشيها . وهي ليست دولة الأنباط التي ازدهرت في القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية وفي شرقي الأردن ... »

وَمَنْ فِي سَفْنٍ تَارْسِيْسٍ كَمَا فَعَلُوا مِنْ قَبْلُ ۖ وَيُورِدُونَ عَلَيْكَ أبنَاءَكَ مِنْ بَلَدٍ
بَعِيدٍ وَمَعَهُمْ فَضْتُهُمْ وَذَهَبُهُمْ مِنْ أَجْلِ اسمِ الرَّبِّ إِيْلَكَ قَدْئُوسُ اسْرَائِيلَ
الَّذِي أَحْمَدُكَ وَأَكْرَمُكَ ، وَيَبْنِي أبنَاءُ الْغُرَبَاءِ سُورَكَ وَمُلُوكُهُمْ يَخْدُمُونَكَ ،
وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَلَا تَتَغَلَّقُ ،
وَيَدْخُلُ إِلَيْكَ أَرْسَالُ الْأُمَمِ وَيُقَادُ إِلَيْكَ مَلُوكُهُمْ أَسْرَى لِأَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٍ
لَا تَخْضَعُ لَكَ قَتَبَدُّ سَتُورِهَا وَتَصْنُطَلِمُ الشُّعُوبُ بِالسَّيْفِ اصْطِلَامًا ، وَتَأْتِيكَ
الْكِرَامَةُ مِنْ صَنُوبَرٍ لِبْنَانِ الْبَهِيِّ وَمِنْ أَهْلَسَها لِيُبَخِّرَ بِهِ بَيْتِي وَيَعْظُمَ بِهِ
مَوْضِعُ قَدَمِي وَمُسْتَقَرُّ كِرَامَتِي ۖ وَتَأْتِيكَ أبنَاءُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يُثْلِلُونَكَ ،
وَيُقَبِّلُ آثَارَ أَقْدَامِكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ يُؤْذِيكَ وَيَضْطَهْدُكَ ، وَأَجْعَلُكَ كِرَامَةً
إِلَى الْأَبَدِ وَغَبْطَةً وَفَرْحًا إِلَى دَهْرٍ الدَّاهِرِينَ ۖ وَتَرْضَعِينَ أَلْبَانُ الشُّعُوبِ ،
وَسَتَصِيْبِينَ مِنْ غَنَائِمِ الْمُلُوكِ ، وَتَتَمَزُّزِينَ مِنْ غَارَاتِكَ عَلَيْهِمْ ۖ وَتَعْلَمِينَ حَيْثُ
أَنِي أَنَا الرَّبُّ مَخْلَصُكَ ، لِأَنِّي أُعْطِيكَ بَدَلَ النِّحَاسِ ذَهَبًا ، وَبَدَلَ الْحَدِيدِ
فِضَّةً ۖ وَبَدَلَ الْخَشَبِ نَحَاسًا ، وَبَدَلَ الْحِجَارَةِ حَدِيدًا ، وَأَجْعَلُ السَّلَامَةَ
مُدْبْرَكَ وَالصَّلَاحَ وَالْبِرَّ سُلْطَانَكَ ۖ وَيَكُونُ الرَّبُّ نَوْرَكَ وَمَصْبَاحَكَ إِلَى
الْأَبَدِ ۖ فَافْهَمُوا يَا بَنِي عَمَّتِي النُّوَّةَ وَانْظُرُوا مِنْ ذَا الَّذِي بَنَى الْغُرَبَاءَ سُورَهُ
وَخَدَمَهُ الْأَعْزَةَ وَسَيَقِ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ مَصْفُودِينَ مَأْسُورِينَ ، وَمِنْ ذَا الَّذِي أَبَادَ
وَأَهْلَكَ بِالسَّيْفِ كُلَّ مَمْلَكَةٍ وَمَلَّةٍ لَمْ تَخْضَعْ لَهُ ۖ وَهَلْ تَعْلَمُونَ لَقْدَمَ خَلِيلِ اللَّهِ
مُسْتَقَرًّا مَذْكُورًا غَيْرَ مَكَّةَ الَّتِي يَحْجُجُهَا خَاشِعِينَ وَيَرْفُلُونَ إِلَى بَابِهَا سَاجِدِينَ
وَيَأْتُونَهَا مِنْ أَقْصَايِ الدُّنْيَا مُلْبِّينَ ؟

وقال في الفصل الرابع والعشرين يُخَاطَبُ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا : هَكَذَا يَقُولُ
الرَّبُّ قَدْئُوسُ اسْرَائِيلَ الَّذِي كَانَتْ نَفْسُهُ مُسْتَرْدَلَةً مُهَانَةً ۖ وَلَمَنْ كَانَتْ
الْأُمَمُ تُسْتَخَفُّ بِهِ وَأَتْبَاعُ السُّلْطَانِ يَهِنُونَهُ ۖ سَتَقُومُ لَهُ الْمُلُوكُ إِذَا رَأَوْهُ
وَتَسْجُدُ لَهُ السُّلْطَانُونَ لِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَهُوَ قَدْئُوسُ اسْرَائِيلَ الَّذِي
انْتَخَبَكَ وَاخْتَارَكَ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ أَجَبْتُكَ عِنْدَ الرِّضَى ، وَلَدَى الشَّدَائِدِ

أعنتك واجتبيتك وجعلتك ميثاقاً للشعوب ونوراً للأمم لتطمئن بك الأرض، وترث تواريث الخرابات وتقول للأسرى اخرجوا وانفكوا، والمحبيين اظهروا وانطلقوا، وارعوا ما شيتكم حينئذ في الطرقات لأن مراعيكم تكون موجودة في كل جهة وسبيل، لا يجوعون ولا يعطشون ولا تضربهم السمائم والشموس لأن رحمتهم معهم وهو يوردهم «شارع المياه وينابيعها»، ويعمل الجبال كلها طرقاً وفجاجاً لهم، ويستغنون لذلك عن المسالك والطرقات ويتوافى القوم من بلد شاسع بعيد بعض من جهة الجربياء وبعض من البحر وبعض من بحر سنيم (٢٨٣) فسبّحي أيتها السماء، واهتزي أيتها الأرض فرحاً، وابتهجي أيتها الجبال بالحمد، فقد تلاقى الرب شعبه ورحم المساكين من خلقه. وهذا إفصاح وليس بمحممة وتصريح وليس بدمدمة، ونبوة واضحة مؤكدة لما تقدم قبلها من النبوة. فلعمري ما ورت الخرابات ولا فك الأسرى من الحبوس والقذ (٢٨٤) ولا رعى في الطرقات بعد الحصار والجهد الذي كانت فيه العرب من قبل كسرى وقيصر، ولا صيّرَت الجبال طرقاً وفجاجاً إلا لهذا النبي وأمه التي ذكرها اشعيا النبي عليه السلام انها كانت مستردة مهانة، فأما معنى قوله «قدوس اسرائيل» فانه لما خاطب بني اسرائيل سمي الله بالاسم الذي كان بنو اسرائيل يسمونه به.

وقال في هذا الفصل وخاطب في بعضه هاجر ومكة: أنا رسمتك على كفي فأسوارك أمامي في كل وقت، وسيأتيك ولدك سراعاً ويخرج عنك من أراد ان يتخيفك ويخربك، فارفعي بصرك إلى ما فوقك وانظري فإنهم يأتونك ويجمعون عن آخرهم إليك، يقول الله قَسَمًا باسمه، إني أنا الحي،

(٢٨٣) في نبوءة اشعيا (الفصل التاسع والأربعون): «هؤلاء من بعيد

يأتون، وهؤلاء من الشمال والغرب، وهؤلاء من أرض السينيين».

(٢٨٤) كذا في الأصل ولعله القيد.

لَتَلْبَسْنَهُمْ مِثْلَ الْحِلَّةِ ، وَلَتَتَزَيَّنِينَ بِالْأَكَالِيلِ مِثْلَ الْعُرُوسِ ، وَلَتَضَيِّقَنَّ عَنْكَ قَفَارُكَ وَخَرَابَاتُكَ وَالْأَرْضُ الَّتِي أَلْجَأُوكَ إِلَيْهَا وَضَعَطُوكَ فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ سَكَنِهَا وَالرَّاعِبِينَ فِيهَا ، وَلِيَهْرَبَنَّ مِنْكَ مَنْ كَانَ يَنْوِيكَ وَيَهْتَضِمُكَ ، وَلِيَقُولَنَّ لَكَ «لَسَدُ عَقْمِكَ أَيْتَهَا النَّزُورُ الرَّقُوبُ» أَنَّهُ قَدْ ضَاقَتْ بِنَا الْبِلَادُ فَتَزَحْزَحُوا وَانْفَرَجُوا فِيهَا لِنَتَسَعَ فِي فَيَافِيهَا ، وَسَتُحَدِّثِينَ نَفْسَكَ حِينَئِذٍ فَتَقُولِينَ : مَنْ رَزَقَنِي هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ وَمَا أَنَا وَحِيدَةٌ فَرِيدَةٌ نَزُورُ رَقُوبٌ ، وَمَا أَنَا مُسَيِّبَةٌ وَالْهَلَّةُ مُسْتَرْقَةٌ ، فَمَنْ رَبِّي لِي هَؤُلَاءِ ؟ وَمَنْ تَكْمُلُ لِي بِهِمْ ؟ «فَأَيُّ تَصْرِيحٍ وَإِبَانَةٍ وَتَنْوِيرِ أَبْنِينَ وَأُنُورَ مِنْ هَذَا ، فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِنَفْسِهِ ، وَبِرَّ قَسَمِهِ ، وَلَمْ يَخْلَفْ وَعْدَهُ ، أَنَّهُ يُصِيرُ الْأُمَمَ لِبَاسًا لَهُمْ كَالْحِلَّةِ وَزِينَةً كَالْحُلِيِّةِ ، فَهَكَذَا الْعَرَبُ ، وَهَكَذَا مَكَّةُ وَمَا تَلْبَسُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ فَاخِرِ الدِّيْبَاجِ وَالتَّسَاجِ ، وَيَحْمَلُ إِلَيْهَا مِنْ نَفِيسِ الْجَوَاهِرِ وَالصَّدَقَاتِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ وَآفَاقِ الْمَمْلَكَةِ ، أَوْ مَنْ صَاحِبُ الْقَفَارِ وَالْخَرَابَاتِ الَّذِي كَانَ مَضْغُوطًا فِيهَا مَضْطَرًّا إِلَيْهَا غَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْبَدَوِيَّةِ الْحِجَازِيَّةِ ؟ وَمَنْ الْفَرِيدَةُ الْوَحِيدَةُ الْوَالِهَةُ الْمُسَيِّبَةُ الْمُسْتَرْقَةُ الَّتِي خَاطَبَهَا اللَّهُ غَيْرَ هَاجِرٍ ؟ فَهَلْ مِنْ نَازِلٍ لِنَفْسِهِ نَاصِحٍ ؟ وَهَلْ مِنْ مُرَاقِبٍ عَلَيْهَا مُشْفِقٍ ؟

وَقَالَ فِي هَذَا الْفَصْلِ : هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ «هَا أَنَا رَافِعٌ يَدَيَّ عَلَى الْأُمَمِ وَنَاصِبٌ لَهَا آيَةً وَهِيَ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ بِأَبْنَاءِكَ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَيَحْمِلُونَ بَنَاتِكَ عَلَى اكْتِفَائِهِمْ ، وَتَكُونُ الْمُلُوكُ ظُؤُورُوتَكَ وَعَقَائِلُ نِسَائِهِمْ وَشِرَائِفُهُمْ مَرْضَعَاتِكَ ، وَيَخْرُثُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ سَاجِدًا لَكَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَلْحَسُونَ تَرَابَ أَقْدَامِكَ ، وَتَعْلَمِينَ حِينَئِذٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْشَى الرَّاجُونَ لِي لَدَيَّ .» فَهَذِهِ أَيْضًا نَبُوءَةٌ لَمْ تَسْتَخْلُ وَلَمْ تَبْطُلْ ، فَلَقَدْ أَتَتْ الْأُمَمَ مِنْ أَقْصَايِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَالسَّنْدِ وَالْهِنْدِ ، وَآفَاقِ الْبَرِّ وَالْبُؤَادِيِّ «بَنَسْلَ هَاجِرٍ وَعَثَرَتَهَا الَّذِينَ تَوَالَدُوا فِي بِلَادِهِمْ إِلَى مَكَّةَ يَزْفُونَهُمْ زَفًا وَيَعْبِقُونَهُمْ تَعْبِيقًا. وَلَقَدْ أَرْضَعْتَ مُلُوكَهُمْ وَعَقَائِلُ نِسَائِهِمْ أَبْنَاءَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنَاتَهُ ، وَخَرَّتْ الْأُمَمُ لَهُمْ

بمكة على وجوهها سجداً . ولحست الجبابرة مواقع قدم ابراهيم واقدام
النبي ﷺ تذلاً وتبركاً وتخشعاً .

وقال في هذا الفصل : من ذا الذي أقبل من أدوم (٢٨٥) وثيابه اشد
حمرة من البسبر وأراه بهياً في حمله ولباسه ، وعزيزاً لكثرة خيله واجناده ،
اني أنا الناطق بالحق والمخلص للأقوام ، وان لدينا ليوم الفتنة نكلاً . ولقد
اقتربت ساعة النجاة وحانت ساعة تخليصي ، لأنني نظرت فلم اجد من
يعينني وتعجبت إذ ليس من يندب إلى رأيي . فخلصني عند ذلك ذراعي .
وثبتت بالغضب قدمي . ودست الأمم برجزي . واشقيت حدودهم بغيظي
واحترامي ، ودفنت عزهم تحت الأرض . فتدبروا هذه أيضاً ولا تكونوا
من الممترين .

وتنبأ اشعيا عن الله تعالى في هذا الفصل وتعقب تلك النبوة فقال : اني
جعلت اسمك محمداً . فأنظر من محالك ومساكنك يا محمد يا قدوس ، لأنك
انت الرب أبونا ومخلصنا ، واسمك موجود منذ الأبد .

فهذا شبيه بما تقدم من نبوة داود النبي عليه السلام في قوله : إن اسمه
موجود قبل الشمس ، وبقوله في الزبور أيضاً : ان في جبلك قدوساً ومحمداً .
وهذا هو التسمية وفيه الكفاية لمن لم تغلب عليه شقوته ولم يمد له في طغيانه .
فأما معنى قول اشعيا النبي عليه السلام : انه قدوس . فإن القدوس في
اللغة السريانية الرجل البر الطاهر . وكذلك اسم الرب واقع على السادات

(٢٨٥) قال في قاموس الكتاب المقدس : « أدوم : الاقليم الذي كان يسكنه
أبناء عيسو أو أدوم (وهو لقب عيسو) . وكان يطلق على هذا الاقليم
اسم أرض سعير وهو اقليم وعر . ويمتد مسافة مائة ميل بين البحر
الميت وخليج العقبة ، على جانبي غور العرب .

كما قد بيّنا ، فمن لم يقنع بهذه ولم يخضع لها عاندَ الربَّ صُراحاً ، وقد سمى
النبي فيها مرتين تسمية لم تدعهم في شبهة ، فإن غلط مغالط فقال ان قول
الله تعالى يا محمد ويا قدوس إنما يقع على المساكن التي ذكرها ، فإن الكتاب
السرياني يكذّبه لأنه لو أراد بذلك المساكن لقال قدوسين ومحمدين . ولم يقل
قدوساً ومحمداً .

وقال في هذا الفصل . اعبروا اعبروا الباب وردوا الطريق على الأمة .
سهلوا السبيل وذللوها ونحتوا الحجارة عن سبيلها ، وارفعوا للأمة علماً
ومناراً فإن الربَّ أسمع نداءه من في أقطار الأرض ، فقل لابنه صهيون
انه قد قرب مجيء من يخلصك . أجره معه وعمله قدّامه . ويسمّون
شعباً طاهراً خلّصهم الرب . وتسمّين أنت أيتها القرية التي أدال الله لها
من أعدائها ولم يخذلها ربها . فهؤلاء هم الشعب الطاهر الذي خلّصهم
الرب ، وتلك القرية المدالة من أعدائها المنتقم لها هي مكة وأهلها . وهذا
قائمٌ صحيحٌ في حجاز العرب ، فانهم يقولون : سَلِ الْقَرْيَةَ . وهم يريدون :
سَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ .

نبوة هوشاع النبي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم

وقال هوشاع : قال الربّ أنا الربّ إله الذي رعيتك في البدور وفي
أرض خرابٍ قفرٍ غير مأهولٍ ليس بها إنسٌ . فهذه من نبوة هوشاع
شبيهة بما تقدّم من نبوات اشعيا . فلنسنا نعرف أحدا رعاه الله في البدور
وفي أرضٍ قفرٍ غير النبي ﷺ .

وقال في هذا الفصل ، مؤكداً لقوله هذا يصفُ أمّته انها أمة جليّة
عزيزة لم يكن مثلها قط ولا يكون ، وأن النار تحرقُ أمامها وتتوقدُ
وخلّصها الضرائرُ .

فهذه الأمة العزيزة التي لم يكن مثلها أمة قط ، ولا يكون ، وهذا النبي الذي ربّاه الله ورعاه في القفر السبّاب والبَدْوِ الخرابِ ، وهذه نبوة موجزة كافية لمن وفقّه الله لرشدّه ، فإنّ مَنْ كان الله راعيّه ومُعَظّمه والشاهد له بأنّ لم يكن في الدنيا أمة أعزّ وأعظم منها ، ولا يكون مثلها ، فقد وجّب على الناس تعظيمه والإعترافُ بتقدمه وفضله ، ومن لم يفعل ذلك كان مخالفاً لله وعلى سبيل المعاصي والضلال . وقد شهد هوشاعُ النبي عليه السلام بأنّ الأمة التي لم يكن مثلها قط هي هذه الأمة ، فليس لذي مُراقبةٍ ولبّ ان ينسبَ هذه النبوة إلى يحيى بن زكرياء ولا إلى أمةٍ غير المسلمين .

نبوة ميخا على النبي صلى الله عليهما وسلم

قال : انه يكون في آخر الأيام جبَلٌ بيّنتِ الربّ مبنيّاً على قلال الجبال وفي أرفع رؤوس العوالي ، وتأتيه جميع الأمم ، وتسيرُ إليه أُممٌ كثيرة ، وهم يقولون تعالوا نطلع إلى جبل الربّ . فهذه صفة مكة صراحاً ، فهي التي يحج إليها الأممُ الكثيرة ويسعون لها ويسرون إليها وهم يلبّون . فإنّ شَغِيب شَاغِبٌ فقال انه عَنَى بيت المقدس ، فكيف يصح له ذلك وقد بيّن الله أن يكون ذلك في آخر الأيام ، وكان بيت المقدس في زمان هذا النبي موجوداً ، وإنما تنبأ النبي على شيء يحدث لا على ما كان ومضى .

نبوة حبقوق (٢٨٦) النبي على النبي صلى الله عليهما وسلم

وهي نَظِيمة نبوة موسى عليه السلام ، بل أنور وأظهر منها ، لأنه سُمّي

(٢٨٦) قال في قاموس الكتاب المقدس : « نبي في يهوذا ، ويستنتج من مزموره في الاصحاح الثالث ومن الارشادات لامام المغنين في الآية ١٩ انه كان من سبط لاوي وانه أحد المغنين في الهيكل . وسفر حبقوق

النبي عليه السلام مرتين . قال حبقوق النبي عليه السلام ان الله جاء من التسيمن (٢٨٧) والقدوس من جبل فاران (٢٨٨) . لقد انكسفت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده ، يكون شعاع منظره مثل النور ويحيط بلده بعزه ، تسير المنايا أمامه وتضج سباع الطير أجناده . قام فمسح الأرض . ثم تأمل الأمم وبحث عنها ، فتضعفت الجبال القديمة



هو النامن في النبوات الصغيرة . وفي السفر يبدو ان حبقوق تنبأ اثناء حكم يهوياقيم (٦٠٧ - ٥٩٧ ق م) لكنه من الصعب تعيين العصر بدقة ، ويعتقد غالبية النقاد ان النبوة ترجع الى زمن وقوع معركة كركميش (١٠٥ ق م) ويعتقد آخرون ان تاريخ النبوة كان قبل تلك المعركة بزمن وجيز .

وقد وجد بين اللفائف أو الأدراج التي اكتشفت في وادي قمران في عام ١٩٤٧ نسخة لتفسير نبوات حبقوق يرجع تاريخ كتابتها الى نفس الزمن الذي كتب فيه درج نبوات اشعيا الذي اكتشف أيضا بين هذه اللفائف حوالي القرن الأول قبل الميلاد .

(٢٨٧) في نبوءة حبقوق (الفصل الثالث من الطبعة العربية للكتاب المقدس) :
الله يأتي من الجنوب .

(٢٨٨) قال في قاموس الكتاب المقدس « فاران : برية واقعة الى جنوب يهوذا وشرق برية بئر سبع وشور ، بين حضيروت - الواقعة على مسيرة أيام من سيناء - وكنعان . وكانت فيها قادس وبطمة فاران أو أيلة (ايلات اليوم) على البحر الأحمر ، كما كانت تشمل برية صين أو كانت مندمجة فيها دون حد معين يفصل بينهما . وجميع المعلومات تشير الى السهل المرتفع أو الأرض الجبلية الواقعة الى جنوب كنعان تحيط بها من الجهات الأخرى برية شور وسلسلة الجبال المعروفة بجبل التيه ووادي العربية . وفي هذه البرية تنقل بنو اسرائيل ٣٨ سنة ، ومعظمها على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر » .

وانضمت الروابي الدهرية وتزعزعت ستور أهل مدين ، ولقد حاز (٢٨٩) المساعي القديمة وغضب الرب على الأنهار ، فرجزك في الأنهار واحتدام صولتك في البحار. ركبت الخيول وعلوت مراكب الإنقاذ والغوث، وستترع في قسيك إغراقاً وترعاً . وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً ، وتحرث الأرض بالأنهار . ولقد رأيتك الجبال فارتاعت وانحرف عنك شؤبوب السيل (٢٩٠) ونعرت المهاوي نعيماً ورعباً ، ورفعت أيديها وجلاً وخوفاً . وتوقفت الشمس والقمر عن مجراها ، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك ، تدوخ الأرض غضباً وتدوس الأمم رجزاً لأنك ظهرت خلاص أمتك وإنقاذ تراث آبائك .

فهذه النبوة الباهرة الجليلة التي لا شك فيها ولا مرية . فقد نطقت بالحق وباحت بالمكتوم وكشفت الأغذية وأزالت الشبهات . وسمى الله النبي ﷺ تسمية مرتين . وأخبر ان المنايا تسير أمامه وتصحب سباع الطير راياته ، وأنه يركب الخيل ويظهر الخلاص وترتوي السهام بأمره من الرماح . وهو الذي وقفت الشمس والقمر عن مجاريها له ، وسارت العساكر في بريق سهامه ولمعان نيازكه . فإن لم يكن هو الذي وصفنا فمن إذا ؟ لعلمهم بنو اسرائيل المأسورون المسيبون . أو النصاري الخاضعون المستسلمون . وكيف يكون ذلك وقد سمي فيها النبي مرتين ووصف عساكره وحروبه وأنه يدوس الأمم دوساً ويدوخهم غضباً ورجزاً ؟ فدعوا يا بني عمي اللجاج والمحك ، وتجرعوا مرارات الحق وأفيقوا من سكرهم (٢٩١) وافهموا عن الله تعالى وعن أنبياء البررة الطيبين عليهم السلام والصلاة أجمعين .

(٢٨٩) في الأصل : جاز .

(٢٩٠) في الأصل : السيل .

(٢٩١) في الأصل : سكره .

نبوة صفنيا (٢٩٢) النبي على النبي صلى الله عليه وسلم

قال : يقول الرب ايتها الناس ترجئوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة ، فقد حان أن أظهر حكمي بمحشر الأمم كلها وجميع الملوك لأصوب عليهم رجزي وأليم سخطي ، فستحترق الأرض كلها احتراقاً بسخطي ونكيري ، هنالك أجدد للأمم اللغة المختارة ليزوقوا اسم الرب جميعاً ويعبدوه في ربقة واحدة معاً ، ويأتوني بالذبايح في تلك الأيام من معابرأنهار كوش (٢٩٣) .

(٢٩٢) من انبياء اسرائيل الصفار (النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد) . قال في قاموس الكتاب المقدس : « نبي يعود نسبه الى حزقيا اذ انه الجيل الرابع منه . ويرجح أن يكون هذا الجد هو الملك حزقيا نفسه لموافقة الزمن ، اذ ان النبي نفسه عاش في أيام يوشيا الملك » (٦٤٠ - ٦٠٩ ق م) .

(٢٩٣) كوش اسم قديم لبلاد النوبة جنوب منحنى كورسكو . ظهر في أيام الأسرة المصرية ١٢ حوالي ٢٠٠٠ ق م . ويرى الكثيرون ان « كرما » كانت عاصمة كوش ومقر الحكام المصريين . وفي أيام الدولة الحديثة (١٥٩٠ - ١٣١٠ ق م) صار اسما لبلاد النوبة الجنوبية كلها ، وأصبحت « نبتا » (بين جبل برقال والنيل) عاصمة لبلاد ، وأقام فيها الحاكم المصري ، وكان يسمى ابن الملك صاحب كوش . وفي القرن العاشر قبل الميلاد هاجر كثير من كهنة طيبة وأتباعهم واستقروا في نبتا . وفي القرن الثامن قبل الميلاد أسس أحفاد أولئك الكهنة مملكة جديدة هي المملكة الكوشية ، وكانت على صلة وثيقة بـ « طيبة » وأراد ملوكها تخلص مصر مما حل بها ، فذهب ببعنخي (٧٥١ - ٧١٦ ق م) - وهو أعظم ملوك الأسرة الكوشية - اليها في العام الحادي والعشرين من حكمه ، وتغلب على من فيها من امراء الاقاليم ، وتوج ملكا عليها ، فأصبح بذلك مؤسساً للأسرة ٢٥ . واصطدمت الأسرة الكوشية بالاشوريين ، ثم انتهى الأمر بارتدادهم الى الجنوب . ولما قامت أسرة البطالمة في مصر (٣٢٣ - ٣٠ ق م) رأى ملوك كوش انه من الأسلم لهم الانتقال الى مروي (على ضفة النيل اليمنى) وكانت المدينة الثانية ←

وهذا صفنيا الذي قد نطق بالوحي وأخبر عن الله بمثل ما أدى أصحابه « ووصف الأمة التي تشهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتجتمع على عبادته وتأتيه بالذبايح من سواحل السودان ومعاير الأنهار . واللغة المختارة هي اللسان العربي المبين الذي ليس بطمطي (٢٩٤) ولا فارسي ولا سوفسطي (٢٩٥) وهي التي قد شاعت في الأمم فنطقوا بها وتجددوا بها جدد لهم منها ، فأما العبرانية فكانت لغة تلك الأنبياء « وأما الشريانية فما تجاوزت قط بلد سوريا ، وكذلك الرومية لم تجاوز الروم ، ولا تجاوزت الفارسية مدينة إيران شهر ، وظهرت العربية إلى منقَطِيعِ التراب وبوادي الترك وبلاد الخزر والهند .

نبوة زكريا (٢٩٦) النبي على النبي صلى الله عليهما وسلم مؤكدة
لنبوة صفنيا عليه السلام :

« انه يكون الرب الإله يومئذ ملك الأرض كلها ويكون يومئذ رباً

→ في البلاد فاتخذوها عاصمة لملكهم سنة ٣٠٠ ق م ، حتى انتهت دولتهم على يدي مملكة اكسوم المسيحية حوالي سنة ٣٥٠ .

وقد انتهت دولة المسيحيين بظهور الاسلام الذي اعتنقه أهل النوبة وما زالوا عليه الآن والحمد لله .

(٢٩٤) يقال رجل طمطم (بالكسر) أي في لسانه عجمة لا يفصح . وطمطي (بالكسر) وطمطماني (بالضم) مثله .

(٢٩٥) نسبة الى السفسطة ومعناها الاستدلال والقياس الباطل أو الذي يقصد به تمويه الحقائق .

(٢٩٦) آخر أنبياء العهد القديم مع حجاي وملاخي (اواخر القرن السادس قبل الميلاد) وهو الحادي عشر بين الأنبياء الصغار . قال في قاموس الكتاب المقدس : تنبأ في الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس

واحدًا . . وقد صدقت النبوة وصح الوحي وصار الدين واحدًا والرب واحدًا لا تثنية فيه ولا تثليث ولا تكثير ولا تعطيل، واسمه واحد لا تلبس فيه ولا إشراك . وقال زكريا عليه السلام أيضاً : « يكون في ذلك اليوم حق على لجام الفرس قدس الرب » . ومعنى قدس الرب ها هنا اسم الرب واسم نبيه عليه السلام . وذلك موجود يومنا هذا على كل ملبس ومنزل وسلاح وغير ذلك . وهو اليوم الذي وصفه الله عز وجل .

نبوة ارميا (٢٩٧) النبي على النبي صلى الله عليهما وسلم

وهي شبيهة بنبوات اشعيا وغيره عليهم السلام ، خاطب الله بها النبي عليه السلام ، قال في الفصل الأول : من قبل أن أصوررك في الرحم عرفتكَ ، ومن قبل أن تخرج من البطن قدسنتك وجعلتكَ نبياً للأمم ، لأنك بكل ما أمرك تصدع وإلى كل من أرسلك تتوجه ، فأنا معك لخلاصك يقول الرب ، وأفرغت كلامي في فمك إفراغاً فتأمل وانظر ، فقد سلطتك اليوم على الأمم والمملكات لتنسف وتهدم وتبهر (٢٩٨) وتسحق وتبني وتغرس من رأيت .

الملك وذلك في غضون المدة التي أذن فيها لرجال يهوذا ان يرجعوا من سبي بابل فكان من أهم الأمور لديه ان يقوي عزائم الشعب الضعيف وينهض همهم الساقطة لينزعوا عنهم نير بابل ويعززوا روح التقوى فيما بينهم ويرجعوا اليهودية الى ما كانت عليه من عز وقوة . فيرى رؤى مشجعة ويقدم رسائل روحية عظيمة بخصوص الصوم والطاعة .

ويذكر التقليد اليهودي ان زكريا هذا طالت أيامه وعاش في بلاده

ودفن بجانب حجابي .

(٢٩٧) سبق التعريف به

(٢٩٨) أي لتهلك وتدمر .

فقد شفع ارميا عليه السلام نبواتِ أصحابه بالتأكيد والتأييد، ووصفَ من أجرى كلمة الله على فمه ومن سلطه الله على انتسافِ أُممٍ وإبادةِ أُممٍ وسحقِ أُممٍ واستحياءِ أُممٍ . فاكتفوا بذلك علماً واتخذوه برهاناً يُسلم لكم دينكم ويجعلكم من عباده الفائزين . فلن يجدَ الراغبُ الراهبُ سبيلاً إلى أن ينسبَ هذه النبوةَ إلى نصراني ولا يهودي ولا غيرهما .

وقال في الفصل الرابع : اني مُهَيِّجٌ عليكم يا بني اسرائيل من البُعد أمةٌ عزيزةٌ « أمةٌ قديمةٌ » ، أمةٌ لا يفهم لسانها وكلهم محترَبٌ جبَّارٌ ، فهذه هي الأمة العزيزة التي لم تعرف بنو اسرائيل لسانها ولغتها وكلهم محترَبٌ (٢٩٩) جبَّارٌ . وهم أصحابُ اللغة الجديدة التي ذكرها الله على لسان صَفَنِيَا النبي عليه السلام .

وقال في الفصل التاسع عشر : إني جاعل بعد تلك الأيام شريعتي في أفواههم وأكتبها على قلوبهم فأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً ، ولا يحتاج الرجلُ أن يعلم أخاه وقريبه الدين والملة ، ولا إلى أن يقولَ له اعرف الربَّ لأنَّ جميعهم يعرفونه صغارهم وكبارهم . وأنا أغفر لذلك ذنوبهم ولا أذكرهم بعدها بخطاياهم .

وقد صدق وعدُ الله . وازدري حبه في قلوب هذه الأمة صغارها وكبارها وأنطقَ ألسنتهم بشرائعه وتحاميده . وكلُّ عارفٍ بالله مؤمن به ، فتيانهم وفتياتهم عبيدُهم وأرقاءُهم ، فلا ترى زراعاً ولا ملاحاً ولا سائساً ولا كناساً ولا صغيراً ولا كبيراً إلا وهو يقرأ شيئاً من القرآن طاهراً ، ويحسنُ يصلي صلاته وحده ويوحّد الله ويكبره تكبيراً . لذلك سمّاهم الله شعبه وارتضاهم لنفسه ، فلن تجبَ هذه المعاني لأحدٍ سواهم ، والله ذو فضل على العالمين .

(٢٩٩) في الأصل : مجرب .

وقال في الفصل الحادي والثلاثين: « يقول الرب إني كاسرٌ قوسَ عيلم (٣٠٠) رأس عزم وجبروتهم ، وأغري بعيلم أربعة أرواحٍ من أربع جهات السماء ، وأبدد أهلها في تلك الجهات كلها حتى لا تبقى أمةٌ إلّا وفيها نفرٌ من شذاب عيلم وشذارهم » وأفض عيلم قدّام أعدائهم فضاً وأفلّسهم أمام من يريد أنفسهم فلا » وأنزل عليهم البلاء والرجز الأليم ، وأرسل عليهم السيّفَ حتى أفنيهم ، وأنصب كرسيّ بعيلم وأبيد من هناك من الملوك والسلاطين ، هذا قولُ الرب . .

وعيلم هي الأهواز وما والاها ، وإنما ذكرها الأنبياء وهم بالشام لأن ملوك فارس لما انتقلت عن فارس بنت بالاهواز واستوطنتها ثم انتقلوا بعد دهر طويل إلى السّواد (٣٠١) ، فذكر النبي عليه السلام عيلمَ لأن اسمها جامعٌ للمملكة كلها . ولم ينزل بها قط من الذلّ الشامل والاستئصال ما نزل في هذه الدولة ، فإن ذكرَ ذاكرُ الاسكندر وغلّبتة ، وتبعاً ومسير . . فإن الذي يحلّ ذلك عنه ويفسخه ويزيل الشكّ عنه قول الله تبارك اسمه : « إني أنصب كرسيّ بعيلم » أي في إقليم بابل . ولم يكن الاسكندر والتبابعة منسوبين إلى الإيمان بالله .

ولهذه النبوة سرٌّ آخرٌ عجيبٌ وذلك ان الله عز وجل ذكر فيها هذه الدولة العباسية (٣٠٢) واستيطان الخلفاء من ولدِ العباس أرض العراق في قوله:

(٣٠٠) عيلم أو عيلام : اسم بلاد الأهواز ، وقد سبق التعريف بها .

(٣٠١) السواد اسم الأرياف في العراق ، أطلق سابقاً على السهول الواقعة بين نهري دجلة والفرات .

(٣٠٢) مؤلف الكتاب عاش في أيام الدولة العباسية ، وساعده عاشر خلفائها « المتوكل على الله » على تأليف هذا الكتاب .

وأنصبُ كرسيٌ بعيلمَ فضيلة لهم لا يحلها إلا مضعوف . فأما بنو أمية فانما مسكنهم بالشَّام . فإن سأل سائل عن الكرسي قلنا : هو سلطان الله ونبوته المعمورة بأرض عيلم والعراق وغيرهما من الكور والسواحل والجزائر والآفاق ، وما فيها من المساجد والرباطات ، وما عند أهلها من التكبير والتحميد في كل حينٍ وآنٍ من آفاء الليل والنهار . وإنما ذكر عيلم لأن الملوك حينئذ كانوا منسوبين إليها (٣٠٣) كما نسب أهل هذا الإقليم أيام العجم إلى الفرس ، واليوم إلى العرب لغلبة العرب عليهم . ومصدق قولي إن معنى الكرسي السلطان قول داود النبي عليه السلام : وكرسيك يا الله إلى أبد (٣٠٤) الأبدن . أي سلطانك وعزك .

وقال أيضاً في الفصل الثاني والثلاثين مخاطباً للنبي ﷺ : « أعدوا لي آلات الحرب فإني أبدد بك الشعوب ، وأبدد بك الحننل وفرسانها ، وأبدد بك المراكب وركبانها ، وأبدد بك الأكتار وفدائه ، وأبدد بك الطغاة والولاة ، وأجازي بابل وجميع سكان بلاد الكلدانيين (٣٠٥) بجميع أوزارهم التي ارتكبوها » هذا قول الرب . وقد أردف الله تلك النبوة المتقدمة التي هي نظيرة هذه ونظيمنتها بها . فقد أنزل على بلاد الكلدانيين وإقليم بابل ما أوعدهم وبدد شملهم وذلل عزهم وأبطل عباداتهم وانتقم منهم أيما انتقام واصطلمهم أيما اضطلام . ويقال إن ملوك بابل كانوا ينتسبون دهرأ طويلا إلى « كلواذي » (٣٠٦) التي بقرب مدينة السلام .

(٣٠٣) في الأصل : اليه .

(٣٠٤) في الأصل : الأبد .

(٣٠٥) في الأصل : الكدابين ، والصواب ما ذكرناه . وبلاد الكلدانيين هي

المنطقة الغربية من الخليج العربي جنوبي العراق .

(٣٠٦) بلدة كانت أسفل بغداد . قال ياقوت : هي الآن خراب أثرها باق ،

بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر ، وقد ذكرها الشعراء ، ولهج

كثيرا بذكرها الخلفاء . . . » .

نبوة حزقيال^(٣٠٧) النبي على النبي عليهما السلام

قال في الفصل التاسع : « إن أمّك مغروسة على الماء بدّميك ، فهي كالكرمة التي أخرجت ثمارها وأغصانها من مياه كثيرة » وتفرّعت منها أغصان كالعصي قوية مشرفة على أغصان الأكابر والسادات ، وارتفعت وبسقت أفنانهن على غيرهن ، وحسنت أقدارهن بارتفاعهن والنفاس سَعَفهن^(٣٠٨) ، فلم تلبث تلك الكرمة أن قلمت بالسخطة ورُمي بها على الأرض ، وأحرقت السانم ثمارها وتفرّق قواها ويبس عصي عزّها وأتت عليها النار فأكلتها ، فعند ذلك غرس غرس في البدو وفي الأرض المهملّة المعطلة العطشى ، وخرجت من أغصانه الفاضلة ناراً أكلت ثمار تلك حتى لم يوجد فيها عصاً قوية بعدها ولا قضيب ينهض بأمر السلطان .

فمن شك أو شغب في النبوة المتقدمة فحتمه هذه وأقنعتة ، فقد أنبأنا الله تبارك اسمه ، أنه مستأصل شأفة اليهود ومُبير خضراءهم ومزيل عزّهم وجاهلهم الذي شبهه بالكرمة والعصا والقضبان ، وأتبع ذلك قولاً باهراً بيتاً فأخبر تبارك وتعالى أنه يغرس في البادية والأرض المهملّة العطشى غرساً جديداً ، وتخرج أغصانه ناراً تحرق تلك الأخرى حتى لا يوجد فيها عصا قوية أو قضيب ينهض بالسلطان والسياسة ، وإنما يعني بالعصا والقضيب السلطان ، وقد بطل سلطان اليهود وعزّها من أصل المعمورة وقامت عصاً قوية بل عصي وقضبان عزيزة تنهض بسلطان عزيز وسياسة مؤيدة مهذبة وتمت بذلك تلك النبوة .

وقال حزقيال عليه السلام في بناء البيت في آخر كتابه : « انه أراه الله بيتاً تولى ملك من الملائكة تخطيطه وتحديدده ، ووصف أركانه وصحونه وأفنيته

(٣٠٧) سبق التعريف به .

(٣٠٨) في الأصل : سَعَفهن . والصواب ما ذكرناه .

وأبوابه ، وأمره الملكُ ان يحفظ ذلك ويتدبره ، لكنه لما طالت صفته وجدت القوم قد ثبجوها ولبسوها إمّا تعمّداً وإمّا تناسياً ، فأضربتُ عن ذكرها واكتفيتُ بالكثير الشهير من النبوات ومن الشواهد ، على أن صفة ذلك البيت الذي خطّه اللهُ وصوّره بحزقيال النبي عليه السلام ، هو مكة لأنها خلافُ بيت المقدس الذي بني بعد الرجعة من سبي بابل ، فإن أنكر ذلك منكرٌ فليوجدنا صفة ذلك البيت الذي بني ببيت المقدس لنصدقهُ وإلا فليصدق بما أنبأناه به وبينناه له .

فإن دفعَ ما قلنا دافع ومارى مُعار وزعم ان اسمَ النبي الذي أخرجته من هذه النبوات ليس يلحقه النداءُ بالسريانية ، فإن السرياني إذا نادى يُدخلُ نداءَه الياءَ كما تدخله العربُ ، فقد قال في التوراة انه نادى في الفردوس آدمَ فقال : أين أنتَ آدم ، يُريدُ يا آدم . وخاطب شمعون الصفا اليهودَ فقال : «اسمعوا كلامي رجال بني اسرائيل ، أي يارجال بني اسرائيل . وقيل في كتاب فراكسيس : إن المسيح قال لفولس : شاول شاول لما أقبلتَ قبلي ؟ أرادَ يا شاول يا شاول . ونادى الملكُ هاجرَ وقال : هاجرُ أمة سارة من أين أقبلت ؟ يُريدُ يا هاجر . وقال اشعيا : زرع ابراهيم خليلي الذي قوّيتك » ، يُريدُ يازرع . وقال اشعيا : احمدي العاقرُ التي لم تلد . يريد أيتها العاقر . وقال ايضاً : الزرعُ العائقُ والولدُ المفسدُ رفضتم الربَ وأسخطتم قدّوسَ اسرائيل ، يُريد ايها الزرعُ العائقُ وأيها الولدُ المفسدُ فهذه شواهد كلها كافية على ان النداءَ بالسريانية لا يكون في أوّله ياء كما في العربية .

وأما ما يقول المماري المعاند منهم ان « مشبّحاً » ليس هو محمد بل مجد ومسيّح ، فإنه لا يقال للإنسان انك مسيّح أو سبّحانك ، وإنما يقال ذلك لله عز وجل ، وقد قال كما بينت في عدّة نبوات يا محمد . ويقال لمن أنكر ذلك وأراد تلبيسه قل بالسريانية الحمد لله ، فإنه لا يترجمه ويعبره إلاّ بقوله

شوبحا لآلآها ، فإذا كان شوبحا الحمد فمشبّحا هو محمد . وقال داوود النبي عليه السلام : « كرسيك الله إلى دهر الداهرين » يريد به يا الله . وإن محمّك وصمّم وزعم إن مشبّحا هو ممجد وليس بمحمد . فليخبرنا من هذا الممجد الذي قال الله على لسان حبقوق : انه انكسفت السماء من بهائم الممجد . والذي تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير عساكره ، والذي أرتوت السهام بأمره وسارت العساكر في بريق سهامه ولمعان نيازكه . والذي دوخ الأمم وظهر لخلاص شعبه وللطلب بتراث آباءه . . والذي قال داوود : انه يصلى عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم . . وهو قول الأمم : « اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد » . والذي قال فيه اشعيا النبي : إني جعلتك شاهداً للأمم وسلطاناً ومدبراً للشعوب . وهو قول الأمم : أشهد ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله .

أو من الممجد الذي يقول الله على لسان اشعيا : إني جعلت لك اسماً محمداً ، فانظر من مساكنك يا قدّوس ويا محمد . فإن كان عنى به الممجد فمن هذا الممجد غير محمد ؟ وفي هذا تنبيه وتصريح وتقويم لمن أراد الله سعادته وتقويمه .

نبوة دانيال النبي على النبي عليهما السلام

مؤكدة للتي تقدمت من نبوات حزقيال وغيره ، وتحقيق قولنا ان النبي ﷺ هو خاتم الانبياء ، وان غلبته كانت من عند الله ، وأنه صاحب الدولة المؤيدة التي لا دولة بعدها ولا أمة مثل امته . وان جميع ما قدمنا في نبوات الأنبياء هو فيه وله لا في غيره .

ما نجد في نبوة دانيال النبي عليه السلام في الفصل الأول من كتابه فإنه

قال لبخت نصر (٣٠٩) حين سأله عن تعبير رؤيا (٣١٠) كان رآها من غير ان يقصها عليه . فقال دانيال : بروح القدس نعم رأيت ايها الملك صنماً عظيماً بارع الجمال جداً وهو قائم بين يديك ، رأسه من الذهب الإبريز الخالص . وساعده من الفضة ، وبطنه وفخذه من النحاس ، وساقاه حديد وبعض رجله حديد وبعضها خزف . ورأيت حجراً انقطع من غير قاطع . وصك رجلي ذلك الصنم ودقها دقاً شديداً ، فتفتت الصنم كله حديده ونحاسه وفضته وذهبه . وصارت رفاتاً مثل دقاق الجبل (٣١١) في البيادر . وعصفت به الرياح فلم ير له أثر . وصار ذلك الحجر الذي صك ذلك الصنم جبلاً عالياً امتلأت منه الأرض كلها . فهذه رؤياك ايها الملك ، وأنت الرأس الذي رأيت من الذهب . وتقوم بعدك مملكة أخرى دونك . والمملكة الثالثة التي تشبه النحاس تتسلط على الأرض كلها . والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد ، وكما ان الحديد يدق كل شيء كذلك هي تسحق الكل ، فأما الرجل الذي كان بعضها من حديد وبعضها من خزف فإن بعض المملكة يكون عزيزاً وبعضها ذليلاً وتكون كلمة المملكة متشتتة . ويقم إله السماء في تلك الأيام ملكاً دائماً أبدياً لا يتغير ولا يزول ، ولا يتذر غيره من الأمم ملكاً ولا سلطاناً ، بل يدق ويبيد المملكات كلها ويقوم هو إلى دهر الداهرين . فهذا تعبير الحجر الذي رأيت انه انقطع من جبل بلا قاطع حتى دق الحديد والنحاس والخزف ، فإن الله الكبير أعلمك ما يكون في آخر الزمان .

(٣٠٩) هو نبوخذ نصر (الثاني) ملك بابل (حوالي ٦٠٥ - ٥٦٢ ق م) . أحمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا . وعندما أعادوا الكرة لم يخمد ثورتهم وحسب ، بل احتل فلسطين وخرب اورشليم وساق ملوكهم وكبراءهم أسرى الى بابل (٥٨٦ ق م) .

(٣١٠) تعبير الرؤيا هو في الفصل الثاني من نبوءة دانيال في الطبعة العربية للكتاب المقدس .

(٣١١) الجبل : قصب الزرع اذا حصد .

فهذه نبوة مُبَشِّرَة وإشارة مُنَوَّرَة لا حاجةَ بها إلى عبارةٍ أَكْثَر من عبارة دانيال النبي عليه السلام « فقد صحَّح النبوءات كلها وشهدَ بأنها كلها في محمد عليه السلام لا في غيره » وأخبرَ بأن آخر الدُّوَلِ والملوك هي الدولة التي يقيمها إله السماء « وأنها تحتوي على مملكات الأرض كلها وتقوم إلى دهر الدهرين » ولا تذرُ لغيرها ملكاً ولا سلطاناً إلا دقَّتْهُ وهَشَّتْهُ « ولذلك سُمِّيَ محمدُ النبي ﷺ خاتم الأنبياء لأنه إليه انتهت النبوءات كلها كما ترون » وبه تمَّت البشارات المتقدِّمة كما تجدون وتقرأون ، فلا يُوجدُ بعده نبوةٌ نبي ولا نازلٌ وحَي ، فقد أخبرَ أنه لا دولةَ ولا سلطانَ بعد دولته وزمانه ، فأَيُّ مَقالٍ يبقى وضلالٍ يثبت مع هذه النبوة ؟ وما حجةٌ من جحدِها عند الله ؟ أو هل جزاؤه عنده إلا العذاب والنار ؟ لأن الله أخبرَ أن إلهَ السماء يُقيمُ هذه المملكة الدائمة الأبدية .

وقال دانيال عليه السلام في الفصل الرابع ما أيتد به النبوة الأولى وأكدها ، قال : رأيتُ في المنام كأن الرِّيحَ الأربع هاجتْ واصطك منها البحرُ العظيم واعتلجَ اعتلاجاً شديداً ، وصعدَ من البحرِ أربع حيواناتٍ عظامٍ مُختلفةٍ الصُّورِ أوْلُها : مثل الأسد وله أجنحةُ النسرِ ، ورأيتُ جناحه قد تمرَّط فانتصبَ قائماً على الأرض مثل انسان وجعل له قلب انسان . والحيوان الثاني : مثل الدب وهو قائم ناحيةً وفي فمه ثلاثة أضلاع « وسميت قائلاً يقول له : قم فكلِ اللحم واستكثر منه . والحيوان الثالث : مثل النمر وفي جنبه أربعة أجنحة مثل أجنحة الطير ، له أربعة رؤوس « وأعطي سلطاناً . ورأيت حيواناً رابعاً « عظيماً قوياً عزيزاً جداً « وله أسنان عظام من حديد ، فهو يأكل ويدق ويدوس برجليه ما بقي ، ورأيتُه مخالفاً لتلك الحيوانات الآخر « وكانت له عشرة قرون ، وكنت أفهم معنى قرونيه تلك « ولم تلبث أن نجمَ قرن صغير من بين تلك القرون ، فنصل وسقط من بين يدي ذلك القرن الصغير ثلاثة قرون من مقاديرها « فأحسبتُ أن أعرفَ تساوِيلَ

الحيوان الرابع الذي كان 'مخالفاً لمن' كلهنّ ما هو ، وما هو تأويل قرونه العشرة ، وأسنانه التي من الحديد ، ومخالبه وبرائنه التي من النحاس . وما تأويل أكله ودقه ودوسه برجله ما بقي ، وتعبير القرن الصغير الذي ارتفع منه ونصول القرون الثلاثة وسقوطها بين يديه ، وما كان لقرنه هذا من العيون . وسمعت هذا القرن يتكلم بفيه كلاماً جهورياً ، وكان منجم ذلك القرن الصغير ومنبته وقدره أجلّ من أقدار سائر تلك القرون ، وكان ينازع القدّيسين الأطهار فيقاومهم ، فقال لي الرب : ان تأويل الحيوان الرابع مملكة رابعة تكون في الأرض ، وتكون أجلّ وأفضل من جميع المملكات ، تغلب على الأرض كلها وتدوسها وتدقها وتأكلها رَغداً . فأما عبارة القرون العشرة فإنها تقوم من تلك المملكة عشرة أملاك ، ويقوم من بعدهم ملك آخر أجلّ وأعظم من الأولين ويدلل ثلاثة أملاك .

وهذه أيضاً مفسّرة منوّرة لا تحتاج إلى إفصاح ولا إيضاح أكثر مما فسرته دانيال عليه السلام ، فالحيوان الرابع الذي قال انه كان عظيماً رائعاً هائلاً قوياً عزيزاً هو تمثال هذه المملكة التي قال الله انها أعظم المملكات وأجلّها ، وأنها تغلب على الأرض كلها وتدوسها بأقدامها وتأكلها رَغداً ، وهي آخر الدول . وهذه أيضاً تشهد بأن النبي ﷺ آخر الأنبياء وخاتمهم ، وأن النبوات كلها تمت به وتناهت عنده ولم تتجاوزهُ . وعلى هذا دلت النبوات المتقدمة وإليه (٣١٢) ساقّت ، فسبحان من قدّر ذلك وأنبا به العباد على ألسنة أنبيائه قبل كونه بدهر طويل ، وأوجب به الحجة . وقوّى به البصائر النافذة ورفع الأستار المهرودة (٣١٣) .

فهذه نبوات الأنبياء من بني اسرائيل ، فأما ما تنبأ به المسيح عليه السلام ومن بعده من حواربيه فاني ذاكره ، فقد أشاروا إلى زمن النبي عليه السلام

(٣١٢) في الأصل : واليها .

(٣١٣) الممزقة .

إشارةً وأوحوا إليه إجابةً ، وقال من فسر كُتِبَ النصارى ابن الحيوان الأول هو دولة اهل بابل كما قال دانيال ، والثاني دولة اهل الماهين ، والثالث دولة الفرس ، والرابع إذاً دولة العرب لا شك فيه . وهي الدولة الأبدية التي قال الله انها لا تزول ولا تدع لغيرها دولة ولا سلطاناً ، وهذا تحقيق قول موسى النبي عليه السلام عن الله في اسماعيل عليه السلام : اني باركت عليه وعظمتة جداً جداً .

فوجدت في كتب دانيال نبوةً ايضاً باهرة عجيبة فإنه يقول : طوبى لمن أمل ان يدرك الأيام الألف والثلاثمائة والخمسة وثلاثين ، فأعملت فيه الفكر فوجدته يوحى إلى هذا الدين وهذه الدولة العباسية خاصة ، وذلك انه لا يخلو دانيال من أن يكون أراد بهذا العدد الأيام والشهور والسنين . أو سرّاً من أسرار النبوة يخرج به الحساب . فان قال قائل انه اراد به الأيام ، فانه لم يحدث لبني اسرائيل ولا في العالم بعد أربع سنين فرح ولا حادثة سارة ، ولا بعد الف وثلاثمائة وخمس وثلاثين شهراً . فان ذلك مائة وإحدى عشرة سنة وأشهر .

فان قالوا عنى به السنين ، فانما ينتهي ذلك إلى هذه الدولة ، لأن زمن دانيال إلى المسيح نحو من خمس مائة سنة ، ومصادق ذلك ما أوحى إليه : انه يأتي عليه وعلى قومه سبعون سابوعاً في السّبي . ثم يرجعون إلى بيت المقدس ويبعث المسيح . ومن المسيح إلى سنتنا هذه ثمانمائة وسبع وستون سنة ، ينتهي ذلك إلى هذه الدولة العباسية منذ ثلاثون سنة أو يزيد شيئاً ، فان قال قائل انه ليس بسنين أيضاً بل سرّاً من أسرار النبوة يخرج به الحساب . فإني فكرت فيه فوجدت عدد هذه الأيام مُساوياً لما يجتمع من عدد حروف محمد خاتم الأنبياء مهدي ماجد ، فانه إذا جمع حروف هذه الألفاظ بحساب الجمل ، خرج منها ما بيئنا وهي خمسة أسماء ، فإن قال قائل قد يحتمل هذا العدد ان يخرج لغيره بمثل ما أخرجته له ، فإن الذي يشهد بصحة ما قلت ويوجب

هذا السرّ للنبي ﷺ شهادة دانيال وغيره له بما قد بينت . فمن أخرجه على اسم من الأسماء عليه من شهادات الأنبياء ما على النبي عليه السلام وافقناه فيه ، ولن يمكنه ذلك أبداً ، وقد نسب قوم من النصارى هذا العدد إلى المسيح بمثل ما حسبت فعارضتهم وأوضحت بشهادات الأنبياء ان النبي عليه السلام أولى به .

نبوة المسيح على النبي صلى الله عليهما وسلم

قال المسيح عليه السلام في ذلك ما هو مقيّدٌ 'مُخَلَّدٌ' في كتاب يوحنا (٣١٤) التلميذ في الفصل الخامس عشر من انجيله : ان الفارقليط (٣١٥) روح الحق الذي يرسله أبي باسمي يعلمكم كل شيء ، فالفارقليط الذي يرسله الله بعد المسيح مُصَدِّقاً لاسم المسيح عليه السلام . هو الذي علم الناس كل شيء ، لم يكونوا علموه من قبل ، ولم يكن في تلامذة المسيح إلى دهرنا هذا أحدٌ علّم الناس شيئاً غير الذي كان علمهم المسيح ، فالفارقليط الذي علم الناس ما لم يكونوا يعلمونه هو النبي ﷺ والقرآن هو العلم الذي سمّاه المسيح كل شيء .

وقال يوحنا عنه في الفصل السادس عشر : ان الفارقليط لن يحييكم ما لم أذهب . فإذا جاء وبتخ العالم على الخطيئة . ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً لكنه يسئوسكم بالحق كله ويخبركم بالحوادث والغيوب . وقال يوحنا عنه : اني سائل أبي ان يرسل إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد . فأما تأويل قوله انه يرسله باسمي ، فانه لما سُمّي المسيح بفارقليط ، وسُمّي محمد

(٣١٤) هو يوحنا بن زبدي من تلاميذ المسيح الاثني عشر والانجيليين الأربعة . توفي حوالي سنة ١٠٠ . له انجيل يوحنا والرؤيا وثلاث رسائل . انظر ترجمته في قاموس الكتاب المقدس .

(٣١٥) في انجيل يوحنا ، الفصل الرابع عشر ، من الطبعة العربية : المعزي .

بهذا الاسم . لم يُنكر من المسيح قوله انه ' يُرسله باسمي أي يكون سمي ' ،
فقل ما يوجد ذكرُ المسيح عليه السلام في باب من كتب الأنبياء عليهم السلام
إلا كان ذكرُ النبي ﷺ متصلاً به . يتلوه ويشفعه لأنه جاء بعده .

ووجدتُ للفارقليط سرّاً آخر عجبياً وهو : أني لما أعلمتُ فيه الفكر ،
وقليتُ عن معنى قول المسيح وجدتُ ما يجمع من حروفه إذا حسبته الحاسب
بالحساب الجمل مساوياً لما يجمع من حروف محمد بن عبدالله النبي الهادي ، فان
قال قائلٌ : انه ينقصُ عدداً واحداً لأن اللفظة انما هي فارقليطا ، فإن الالف
زيادة في أسماء السريانيين ، على ان الذي لا يساويه من العدد حتى لا يزيد ولا
ينقص ، محمد رسول حبيب طيب . فان قال قائل : قد يمكن استخراج هذا
الحساب بغير هذه الأسماء ، لم يكن ذلك له حق يحضرنا من شهادة مَنْ هو ،
كالمسيح في قوله : إن الفارقليط الذي يرسله روح الحق الذي يرسله أبي باسمي
هو يعلمكم كل شيء . ولن يجد إلى ذلك سبيلاً .

وقال يوحنا التلميذ في رسالته في كتاب فراكسيس وهو أخبارُ الحواريين :
لا تؤمنوا يا أحبائي بكل روح . بل ميزوا الأرواح التي من عند الله ،
واعلموا أن كلَّ روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدياً فهو من
عند الله ، وكلَّ روح لا يؤمن بأن المسيح [كان] جسدياً فليس من عند
الله . وقد آمن النبي ﷺ بأن المسيح قد جاء ، وأنه جسدي ، وأنه روح
الله وكلمته القاها إلى مريم . فروحنا إذاً بشهادة يوحنا وغيره . روح صادقة
برّة من عند الله عز وجل . وروح مَنْ زعم انه غير جسدي ولا إنسي من
عند غير الله .

وقال شمعون الصفا (٣١٦) رأس الحواريين ، في كتاب فراكسيس : إنه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداءً من بيت الله . وتفسير ذلك ان بيت الله الذي ذكره الحواري هو مكة ، وفيها كان ابتداء الحكم الجديد لا من غيرها . فان قال قائل : إنه عني به حكم اليهود ، فقد كان المسيح أخبرهم انه لا يترك في بيت المقدس حجر على حجر حتى ينسف ويبقى على الخراب إلى يوم القيامة . فقد وضح ان الحكم الجديد الذي ذكره الحواري هو دين الإسلام وحكمه ، وذلك شبيهه بقول صفنيا النبي عليه السلام عن الله : انه 'مجدد للامم لغة' مختارة . فكانت العربية اللغة الجديدة المختارة للحكم والدين الجديد .

وقد قال دانيال النبي عليه السلام في هذا المعنى ما قد بيناه ، ولم يكن حينئذ بيت منسوب إلى الله سوى مكة فيتعلق به المخالف وهو يقول ان الحكم ابتداءً منه . وان قال قائل انه أراد به دين المسيح ، فكيف كان يقول لدين وحكم قد كان ابتداءً وظهر منذ حين انه قد حان ان يبتدأ ، فهذا محال من الظن .

وقال لوقا الحواري في الفصل الحادي عشر من انجيله : ان المسيح قال لتلاميذه : اني قد كنت ارسلتكم وليس معكم كيس ولا ترمال (يعني به المزود) ولا خف ، فهل ضرر كم ونقصكم ذلك شيئاً ؟ قالوا لا ، قال : « أمّا الآن فليشتري من لم يكن له كيس كيساً ، ومن لم يكن له ترمال مزوداً » ومن لم يكن له سيف فليبع ثيابه وليشتري به لنفسه سيفاً . ولم تزل سنن المسيح

(٣١٦) هو سمعان بن يونا . كان صياد سمك فدعاه المسيح وسماه كيفا او الصخرة . قال في قاموس الكتاب المقدس : صفا باليونانية كيفاس ، علم مأخوذ عن الآرامية كيفا أي صخرة او حجر ، وبالعربية الصفاة : الصخرة الصلبة الملساء ، وهو اسم أعطاه يسوع المسيح لسمعان ، ويقال له باليونانية « بطرس » وهو الاسم المعروف به الآن .

وفرائضه التي يستثنى بها ويدعو إليها هي المسالمة والاستسلام والإنسلاخ لاغير ، فلمّا أمر تلامذته وأعلام دينه في آخر أمره ان يبيعوا ثيابهم ويشتروا السيوف ، عرف أهل التمييز والفهم انه إنما أشار بذلك إلى أمر آخر وحدث متجدد بالنبي ﷺ ، وأشار إلى سيوفه وسهامه التي وصفها الأنبياء قبله ، وقد كان شمعون الصفا انتضى السيف وسله من جفنه ليلة مسكت اليهود المسيح وضرب بعض الشرط فجذع أذنه ، فتناولها المسيح عليه السلام بيده وردها إلى مركبها من رأسه ، فمادت صحيفة لساعتها كما كانت ، وقال لشمعون عند ذلك : اغمد السيف ، فإن من سل سيفاً قتل بالسيف ، يعني من سلكه من أمته وأصحابه ، ثم أنبأنا بالحال الآخر وأمر تلامذته ببيع ثيابهم وابتياح السيوف ، ولا تبتاع السيوف إلا لتسل ويضرب بها .

وقال فولس (٣١٧) - وهو المقدم عند النصارى وهو الذي يسمونه رسولاً - في رسالته إلى أهل جالاطيا (٣١٨) أنه كان لإبراهيم ابنان أحدهما من أمة والآخر من حرة وقد كان مولد ابنه الذي من الأمة كمولد سائر البشر ، فأما مولد الذي من الحرّة فإنه ولد بالعدة من الله ، فهما مثالان مُشبهان بالفرّضين والنّاموسين ، فأما هاجر فإنها تُشبهه بجبل سينا الذي في بلاد أرابيا (٣١٩) الذي هو نظير أورشلم هذه ، فأما اوراشلم التي في السماء فهي نظير امرأته الحرّة .

(٣١٧) المقصود : بولس .

(٣١٨) وردت في رسالة بولس : غلاطية . قال في قاموس الكتاب المقدس : ولاية في القسم الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى ، وكان يحدها من الشمال ولايات بيثينية ، وباغلاغونيا ، وبنطس . ومن الشرق ولايتا بنطس وفريجية . ومن الغرب فريجية وبيثينية ، الخ . . .

(٣١٩) كذا في الأصل ، والمقصود بلاد العرب . وهي في رسالة بولس : ديار العرب .

فقد ثبتَ فولسُ في قوله هذا معاني جمة أو لها : ان اسماعيلَ وهاجرَ قد كانا استوطننا بلاد العرب ، وهي التي سمّاها بلاد أرابيا . والثاني ان جبل سينا الذي بالشام يستطردُ ويتّصلُ ببلاد البوادي بقوله : ان هاجرَ تشبّه بطور سينا الذي في بلاد أرابيا . وسينا هو الذي ذكرته التوراة في صدر هذه النبوات في قولها : إن الربّ جاء من سينا ، وطلع لها من ساعير ، وظهر من جبل فاران . فشهد فولس هذا بأن الربّ الذي قالت التوراة انه جاء من سينا هو النبي ﷺ ، وهو الذي ظهر في بلاد أرابيا . وقد بينّا آنفاً ان معنى الربّ واقع على الأنبياء والسادات ، وأين يكونُ من الإبانة والإيضاح أكثر من تسمية بلاد أرابيا التي عنى بها بلاد العرب ، لكنها لفظة مستعجمة غير فصيحة ، فانها جعلت مكان العرب الأرب . والثالث ان بيت المقدس هو نظير مكة ، والرابع ان هذا الناموس الثاني والفريضة الثانية سماوية لا شكّ فيها ، فقد سماها باسم واحد ولم يفرق بينهما بمعنى من المعاني ، فأما تقديمه الحرّة وقوله ان ابن الأمة لم يولد بالعدة فذلك منه بالمصيبة والميل ، وفيما استشهدتُ به من قوارع التوراة على اسماعيلَ ما فيه كفاية وبرهان على انه ايضاً ولِدَ ليس بعدة واحدة بل بعدات كثيرة .

فهذه نبوات متظاهرة ، وأخبارٌ مؤيدةٌ مختلفة على وجه الدهر ، لا يدعيها أحدٌ من غير المسلمين إلا فاز بالسّهم الأخبث وبالكذب الأعظم . ولن يفعل ذلك إلا يهوديٌّ دامرٌ أو نصرانيٌّ هامرٌ ، يتعللان به ويخدعان أنفسهما وغيرهما بذكره . فقد بان للنصارى خاصة ولليهود عامة استحكامُ غضب الله على بني اسرائيل ولعنه إيتامهم وتبرؤهم منهم ومن دينهم ، وإعلامه إيتام انه مُحرق اصلهم الذي تفرعوا منه ، ومبير خضراءهم وغارس في البادية والأرض المعطلة العطشى غيرهم .

فما أكثر تعجبي في هذا الباب من اليهود ، فانهم يقولون ذلك تفرّجاً به وتحملاً بادعائه ويمتلثون غروراً وبطلاناً ، وإنما العجبُ من النصارى وهم

يشهدون على اليهود ما قلنا صباح مساء ، بأن قد قطع الله دابرهم ، وحتى عن جريد الأرض أثرهم ، وأباد رسم ملتهم ، فأما أمة المسيح عليه السلام فليس لها ان تدعي تلك النبوات التي اختصرت واستشهدت بها على النبي ﷺ من أسر الملوك واستعباد السادات وسوقهم مقرنين بالقيود والاعلال ، ومن توارث الأراضي القفار البلاقع ، وضرب الرقاب ، وإكثار القتل ، والإثخان في الأرض ، وغير ذلك من الشعوت التي لا تليق ولا تجب إلا لإسماعيل وهاجر وعترته ولمكة وحجتها . ولقد صرح عدة منهم باسم النبي ﷺ ووصفوه ايضاً ، وسيافيه ورؤماته ، وسير المنايا وسباع الطير أمام عساكره ، وازدحام الإبل والقطرات في بلاده ، واصطلامه الأمم والملوك المخالفين له . فهذه كلها محققة لدينه ، ومفخمة لشانه ، ومصدقة لما أدت دُعائه عنه ، لا سيما وقد ختم دانيال تلك النبوات كلها بما نفى به الشك وأخبر : ان إله السماء يقيم ملكاً دائماً لا يتبدل ولا يزول . ومن لم يخضع لمن اختاره الله وأقامه فهو المردول الذليل .

في الرد على من ذكر ان المهاجرين والأنصار دخلوا في الدين من غير آية

فإن قال قائل مثل الذي كان يحتج به عم لي كان مشهوراً بالجدل والبراعة ، معروفاً في أفق العراق وخراسان بأبي زكار يحيى بن النعمان (٣٢٠) قال في كتاب ألفه في الرد على أهل الأديان : انه بحث عن الأسباب التي دخل فيها عدة من المهاجرين والسابقين الأولين ، ومن دخل معهم في الاسلام

(٣٢٠) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال . إلا انه كان مسيحياً ، وهذا ما يفهم من كلام المؤلف الذي اعتنق الاسلام . راجع ترجمة المؤلف في أول الكتاب .

من الرجال والنساء ، فلم يجد أحدًا دخل فيه لآية رآها وعلامة أتى بها . فكانت هذه عندي حجة قوية جدًا ما زلتُ مغترًا بها ، عميًا عنها ، حتى إذا انسلختُ من دينه ، رأيتُ الجواب عنها سهلًا والمخرج فسيحًا ، إذا عارضناهم بمثلها وجبتُ لنا الحجة التي إن أبطلوها بطلتُ نبواتُ عدّة من أنبيائهم . فليس دخول جماعة في دين نبيٍّ من الأنبياء من غير آية رآها مما يُبطلُ سائر آيات ذلك النبي . ولا امتناعُ النبي من إظهار آية في وقت من الأوقات مما يُوجب تكذيبه .

فهذا حزقيال النبي عليه السلام يقول في الفصل العاشر : انه ' أتته ' جماعة من بني اسرائيل يريدون امتحانه ويسألون عن أشياء ' فكان جواب حزقيال أن قال : ان الله أعلمني وأمرني ان أعلمكم ان رب الأرباب يقول : ' إني أقسمُ قسمًا باسمي إني أنا الحي ' ، واني لا أحير جوابًا عما تريدون . ' فأما المسيح عليه السلام فقد تبعه وآمن به جماعة كثيرة من غير أن يُظهر لهم آية ، فمن ذلك قولُ متى (٣٢١) الحواري في الفصل الرابع من الانجيل : انه بيّنا المسيح عليه السلام يسير في ساحل بحر الجليل رأى أخوين أحدهما سمعون الذي لقبه الصفا الذي استترعاه أمرًا أمته وجعله اساسَ ملته ' وأخاه أندراوس (٣٢٢) وهما يصيدان السمك في البحر فقال لهما ، وأوما

(٣٢١) احلا تلاميذ المسيح الاثني عشر ، كان عشارا في كفرناحوم ، وهو صاحب الانجيل الاول ، كتبه لمسيحيي فلسطين اليهودي الاصل باللغة الآرامية حوالي ٥٠ م .

(٣٢٢) اسم يوناني معناه « رجل حقا » . وهو اسم احد تلاميذ المسيح ، كان موطنه بيت صيدا ، وكان صيادا كأخيه ، وتلميذا ليوحنا المعمدان . . . راجع ترجمته في قاموس الكتاب المقدس .

إليهما اتبعاني أجعلكما بعد يومكما هذا تصيدان الناس ، وأنها رَفَضَا من فورهما شباكهها واتبعاه .

وقال متى في هذا الفصل : ان المسيح لما جاوزَ ما هناك ، رأى أخوين آخرين يقال لأحدهما يعقوب بن زبدي (٣٢٣) ويوحنا (٣٢٤) وهما يصيدان مع أبيهما ، وأنه دعاهما إلى دينه فتركا أباهما في السفينة واتبعاه ، وقال متى في هذا الفصل : انه لما جاوز المسيح ما هناك ، رأى رجلاً عشاراً يقال له متى ، فقال له : اتبعني ، فتوجه معه يعنى به نفسه ، وهو متى الحوارى أحد الأربعة الذين كتبوا الإنجيل . فهؤلاء خمسة من رؤساء الحواريين الأولين المتقدمين ، وهم من الاثني عشر حوارياً ، قد ذكر الإنجيل انهم تبعوا المسيح من غير أن يُريهم آية ويسمعهم كلمة مقنعة ، ما خلا الدُّعاء الخالي فقط ، فليت شعري ما الذي ضرَّ المسيح من ذلك ، أو ما أنكر عمِّي ابو زكار ومن قال بقوله من اتباع : من اتبع النبي ﷺ من غير أن يروا منه آية . فان كان ما ذكرنا يُوجب إبطال سائر آيات المسيح عليه السلام ، فكذلك يجب إبطال آيات النبي ﷺ لدُخول من دخل في دينه من غير آية رآها منه .

ولقد أتى المسيح عليه السلام قومٌ يسألونه آية ، فليس انه لم يظهرها لهم ، لكنه قذفهم قذفاً وافترى عليهم وعلى قبائلهم افتراءً ، يشهد بذلك متى صاحب الإنجيل في الفصل الثاني عشر ، ويخبر ان نفراً من اليهود أتوا المسيح يسألونه آية فقال مجيباً : ان القبيلة الخبيثة الفاجرة تطلب آية ولن تعطى

(٣٢٣) أحد تلاميذ المسيح الاثني عشر والأخ الأكبر ليوحنا . قال في قاموس الكتاب المقدس وهو ابن خالة يسوع ، ترك مهنة الصيد وتبعه

(٣٢٤) سبقت ترجمته ، وانظر ايضا قاموس الكتاب المقدس .

آية ما خلا آية يونا (٣٢٥) النبي ، فأخبرهم بأنه لا يُظهر لهم آية البتة لأنهم من القبيلة الخبيثة يعني بها اليهود قاطبة ، فأما آية يونا الذي ذكرها ، فهي لبثه في بطن الحوت ثلاثاً ، وليس هذه من نبوات المسيح بل هي من آيات يونا . ويونا متقدم له في الزمان بدهر طويل . وإنما الآية هي ما يُظهره النبي لمن شاهدته من الأوابد التي لا يقدر أن يأتي بمثلها غيره ، وأن يتنبأ على ما غاب عنه فيصيح في دهره .

فأما قول القائل : إن آيتي أن موسى فلق البحر وأن المسيح أحيى ميتاً ، فإن ذلك غير مقبول منه ، لأنه برهان لغيره لا له ، ومع هذا فإنه لا يُظن بالمسيح التزند والخلف . ولا أنه وعد شيئاً ثم رجع عنه أو قال اني لا أفعل أمراً ثم فعله ، لأن قوله لمن سأل الآية من بني اسرائيل ان ذلك مما لا تجابون إليه . لا يخلو من ان يكون قال عن الله أو عن نفسه ، فان كان قاله عن الله فقد فعل الله إذا خلاف ما قال لهم لأنه قد أعطاهم بعد

(٣٢٥) هو يونس عليه السلام، وهو من المرسلين، ويعرف عند اهل الكتاب باسم يونان بن أمثاي . أرسله ربه الى قوم ليسوا من عشيرته لهدايتهم، ويقول بعض المفسرين : انهم اهل نينوى . ولما يئس من هدايتهم وظن ان الله لا يلزمه بالبقاء معهم والصبر على ايدائهم وعنادهم تركهم هرباً، ولم ينتظر أمر الله بمفارقتهم، ثم انه اوى الى سفينة مشحونة بالمسافرين وركب معهم ، ولكن السفينة اضطربت وكادت تفرق حتى اضطر ركابها ان يقتربوا على من يلقي في البحر منهم ، فخرجت القرعة على يونس والقوه في اليم . فالتقطه حوت عظيم . وشاء الله ان يمكث يونس في بطنه يسبح ويستغفر ، الى ان نبذته الحوت بالعراء ، وهو سقيم ، فانبت الله عليه شجرة من يقطين فكبرت حتى ظللته ، فلما ذوت وماتت حزن يونس عليها وهي لا قيمة لها ، وقال له ربه : لقد اشفقت على يقطينة ، افلا اشفقت على اهل قرية فيها اكثر من مائة الف لانقاذهم من الضلال ، ثم أرسله اليهم فأمنوا به .

هذا القول آيات على يدي المسيح . وان كان قاله عن نفسه فقد فعل المسيح
إذاً خلافَ ما قال ونقضَ القول الأول ، وهذا ممّا لا يليق به ولا يظنُّ بمثله .
فهذا أيضاً ممّا أحسبه تحريفاً وفساداً في الانجيل من قبل الترجمة
والكتاب .

وقال متى في الفصل السادس عشر : ان اليهود لما رأته يدعو الناس
ويستميلهم عن اليهودية . اجتمعت إليه وقالت له : بأي سلطان تفعل ما نرى
ومن جعل لك هذا السلطان ؟ قال لهم يسوع 'جيباً : إني سائلكم ايضاً عن
مسألة ان أجبتكم عنها أجبتكم عن مسألتكم هذه ، أنبئوني عن معمودية
يحيى بن زكريا (٣٢٦) من أين هي أمين السماء أم من الأرض ؟ فتوقف القوم
عن الجواب وقالوا : لا نعلم ، فقال المسيح : وأنا ايضاً لا أنبئكم بأي سلطان
أفعل . فلم نره أجاب القوم عما سألوهم بل عارضهم بمسألة أخرى فلم
يكن لأحد ان يطعن عليه به .

(٣٢٦) من الانبياء عليهم السلام . كان زكريا قد بلغ من الكبر عتياً ، أي بلغ
بسبب كبر سنه حالة لا سبيل الى اصلاحها ومداواتها ، وهي اليبس
والصلابة في العظام . وكانت امرأته عاقراً وخشي على قومه بني
اسرائيل أن يبتلوا بحكم مواليه من بعدهم وهم لا يعملون بالشرعة ولا
يتمسكون بها ، فدعا ربه ان يرزقه ذرية طيبة ، فنادته الملائكة ان الله
يبشرك ببيحيى معمد قابلكم من الله وسيداً وحسبوا ونبيا من الصالحين .
وحملت زوجته بيحيى . ولما شب نشأ على اكمل اوصاف التقى
والصلاح ، وصار نبيا في سن الثلاثين من عمره ، وكان يدعو الناس
الى التوبة من الذنوب ، وكان يعمدهم - أي يغسلهم - في نهر الأردن
تطهيراً لهم من خطاياهم . وقد اعتمد منه المسيح عليه السلام ، ولذا
فهو يسمى « يوحنا المعمدان » . وقد مات يحيى مقتولاً بيد حاكم
فلسطين (هيرودس) الذي كان يريد الزواج من ابنة اخيه فعارضه
في ذلك ، ولذا قتله ، وكان ذلك نحو سنة ٣١ . وقد ورد ذكره في ٥
مواضع من القرآن الكريم .

وقال متّى في الفصل السادس : ان فيلاطوس (٣٢٧) خليفة ملك الروم ، قال له حين رفعته اليهودُ إليه : أقسم عليك بحقّ الله لما أعلمتني أنّك المسيح بن الله أم لا ؟ فلم يزدّه المسيح عليه السلام على أن قال له : أنت قلت ذلك . - وليس في قوله هذا إثباتٌ ولا إنكارٌ . فللقائل أن يقول انه أراد به الانتفاء والسّيح عن نفسه والتبكيك لمن حكى ذلك عنه ، وإلا فلم لم يقل اني ابن الله لما سئل عنه ؟ أو يُظهر آيةً ليظهر الأمر - وخزي اليهود وبهتوا . هذه أيضاً مسألة لم يجب المسيح عنها فلم يزر ذلك مجللة شأنه وما تقدّم من آياته .

وقيل في الانجيل الذي هو في أيدي النصارى أن اليهود كانت تقول : « ان كنت ابن الله فانزل عن الخشبة لنؤمن بك » فلم يفعل ولم يُظهر آية . فلا نقول لذلك انه لم يكن له قبلها آية لأنه كان أعلم بما يدبر فيه وبما أحب الله من ذلك وقدّره له .

وأكثر من هذا ما قال متّى في الاصحاح الثاني : ان الشيطان قال للمسيح عند امتحان الشيطان إياه : ان كنت ابن الله فقل لهذه الصّخور تصير طعاماً . فلم يزدّه على أن قال : مكتوب في كتب التنزيل ان حياة الناس ليست بالخبز فقط بل بكل كلمة تخرج من فم الله .

أما ترون يهديكم الله ، ان المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء قد

(٣٢٧) بيلاطس البنطي : الحاكم الروماني في مقاطعة يهوذا (٢٦ - ٣٦ م) أيام السيد المسيح . وهو الذي أسلمه للصلب (في العقيدة المسيحية) تلبية لرغبة الشعب ، وان كان مقتنعا ببراءته . مشهور بكلمته « ما هي الحقيقة » وبفسله يديه بعد الحكم على المسيح ، مدعياً انه غير مسؤول عن موته . يضرب به المثل للانتهازي الذي يخشى ان يقوم بواجبه .

سئلوا عن مسائل ۝ وطلب منهم آيات ، فلم يجيبوا إليها ، لأن الله لم يكن أذن لهم فيها ولم يفتح لهم بابها في تلك الأوقات . فقد سأل التلامذة المسيح عليه السلام عن الساعة فقال : ذاك غيبٌ مستورٌ عني لا يعلمه إلا الله وحده ۝ فلم يعيبه ذلك ولم يزر به . فمكذا النبي ﷺ .

فهذه جوابات ومعارضات مقنعة منصفة وحجج قاطعة لتلك العُلقة والمسألة التي تعلق بها تلامذة عمي أبي زكار ومن قال بقوله . على اني لم أر واحداً من علماء النصارى في قديم الدهر وحديثه (٣٢٨) احتج على المسلمين بهذه الحجة غير عمي ، وقد حلها الله وفسرها بمنه وكرمه ، وبما استفدت واستملت من حكمة أمير المؤمنين (٣٢٩) أيده الله ومعارضاته ومجاوباته . فاستعملوا يديكم الله الفكر ولا تعطلوا الأفهام ، واعلموا انكم مخلوقون لخطب جليل وموقوفون على شفير جنة أو نار ۝ فمن انهار به الباطل إلى النار فقد هوى في الخزي السرمد والندم الدائم والعذاب الذي وصفه المسيح عليه السلام فقال : « انه نار لا تطفأ وديدان لا تموت » . ومن رجح به الحق إلى ساحات الجنة وغرف الفرديس ، فقد سعد وفاز فوزاً عظيماً ، وحاز الأمن الدائم والغنى الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت . فانصحوا أنفسهم ولا تغشوها واصدقوها ولا تغرورها . فقد وضح الحق وبرح الحفاء وبان اليقين .

في الرد على من عاب الاسلام بسنة من سننه أو شريعة من شرائعه

فإن طعن طاعن من أهل الكتاب في فريضة من فرائض الدين وسنة من سنن المسلمين ، حاف علينا وظلم وعاب الأنبياء كلهم وكان بعرض خطية

(٣٢٨) أي الى زمن المؤلف .

(٣٢٩) يقصد الخليفة العباسي المتوكل على الله .

وعقاب . فإنهم ان عابوا الذبائح فهو روثة عن ابراهيم وجميع الأنبياء من ولده عليهم السلام ، وإن ذموا الختان فللمسيح ومن قبله . وان انكروا الطلاق (فكتبهم تخيبهم سعياً) (٣٣٠) . وان طعنوا في الإقسام بالله فهو قوله تعالى لأنبيائه . قال اشعيا النبي عليه السلام : اني اخرجت القول (الباقي في في) (٣٣٠) انه تخري لي كل ركبة ويقسم بي كل لسان . وقال فولس - الذي تسميه النصراني رسولاً - (ان الله) (٣٣٠) وعد ابراهيم ما وعده في ولده وأقسم له بنفسه . وقال دانيال : ان الملك الذي تراءى له رفع يده إلى السماء وأقسم بالمنعم الدائم ان جميع ما قال كائن لا محالة . وان عابوا الجهاد فقد جاهد ابراهيم الملوك الأربعة الذين كانوا ساروا إلى بلاد الجزيرة لتشن الغارات على أهلها فذب عن جبرته وخلطائه ، وطحطح عساكرهم بغلمانته وتلاد بيته ، وفاز بفخر ذلك وفلجه . وباقي ذكره ومذخور أمره (٣٣١) . فإنه رد على ملوكها جميع ما انقذ من الغنائم والذراري ولم يرزأهم خرزة ولا قدأ ، بعد ان كانت ملوكها قد جلّت وأسلمت البلاد . وقتل يشوع بن نون احداً وثلاثين ملكاً من ملوك الشام ولم يترك في مدينة من مدنها تسمى عاني (٣٣٢) دياراً ولا نفاخ نار ، من غير ان يدعوم إلى دين أو يطلب منهم جزية أو اتاوة أو يقبل فدية ، كما يفعل المسلمون .

(٣٣٠) الألفاظ بين قوسين نشك في قراءتها ، فهي غير واضحة في المخطوط .

(٣٣١) كذا بالأصل .

(٣٣٢) كذا بالأصل ، ولعلها « عاي » . قال في قاموس الكتاب المقدس :

وهي بلدة كنعانية الى الشرق من بيت ايل ، والى الشمال من مخماش ، على طرف واد على منتصف الطريق بين المكانين ، وتعرف اليوم باسم التل . وقد أغار عليها يشوع وفشل في الاستيلاء عليها لاثم احد رجاله . ولكن يشوع أعاد الكرة واحتلها وذبح سكانها . وكان عددهم اثني عشر الفا . وشنق ملكها على شجرة ، وحرقها . وقد بقيت خربة مدة طويلة ثم أعيد بناؤها . وقد ورد اسم عاي ٢٨ مرة في الكتاب المقدس .

وقال اشموئيل (٣٣٣) النبي عليه السلام في الفصل الثاني عشر ان داود النبي عليه السلام غزا بلاداً من بلدان الشام تسمى فلسطين (٣٣٤) فلم يذر فيها رجلاً ولا امرأة إلا قتلهم وساق الغنم والبقر والحُمُر والجمال وانتسف الأموال والذخائر والآث من غير أن يدعُوهم إلى دين أو إعطاء جزية أو دخول في طاعة . وذكر كتاب اشموئيل ان داود جاع يوماً فوجه عبده إلى رجل في طلب طعام فلم تحمل إليه شيئاً ، فسار إليه في جمعه للإيقاع بذلك الرجل وأهل قريته ، فإذا هو بامرأته قد استقبلته ومعها طعام وشراب قد حملته إليه ، وخافت زوجها فيه ، فقبل ذلك منها وطابت نفسه وسكن غيظه وانصرف عنه . فهذا وما أشبهه من الأنبياء غير منكر ولا مطعون فيه .

فأمّا النبي ، ﷺ فإنه أمر بالدُّعَاءِ إلى الله الفرد الدائم القهار ، بالترغيب والترهيب ، ليكون الدين واحداً والمعبود فرداً ، فمن أجاب كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، ومن لم يجب إلى ذلك وأعطى الجزية عن يدٍ صاغراً حقن بها دمه ووجبت له الذمة بالطاعة . وكان في ذلك رياضة للكفرة لطيفة ، وتذليل لنخوتهم وخيلائهم ، وداعية لأهل الأنفة والحمية منهم إلى الانتقال عن لؤم الذل والذمة إلى شرف العز والحرية ، فإن أبوا ذلك أيضاً كانت الحرب من ورائهم .

فقد فعل موسى عليه السلام ما هو أكثر من ذلك ، فإنه لما أمر بالرحلة

(٣٣٣) أي صموئيل ، وهو اسم عبري معناه « اسم الله أو اسمه ايل أي الله » . وصموئيل هو أول انبياء العبرانيين بعد موسى ، وآخر القضاة . مسح في شيخوخته شاؤول بالزيت المقدس . معينا اياه ملكا على اسرائيل ، ثم مسح فيما بعد داود ليكون خليفة لشاؤول .
(٣٣٤) لعله يقصد فلسطين ، أي فلسطين . والبلدة المذكورة في الفصل الثاني عشر هي « ربة » ، وقد عرف بها في قاموس الكتاب المقدس .

عَنْ مِصْرَ وَإِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْهَا ۖ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِأَمْرِهِمْ أَنْ
يَسْتَعِيرَ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ كِسْفَةَ جَارِهِ وَخَلِيطَهُ وَحَلِيَّ نِسَائِهِ وَبَنَاتِهِ ، وَيَعْلَمُوهُمْ
بَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ عَيْدًا مِنْ أَعْيَادِهِمْ ، فَفَعَلَ الْقَوْمُ ذَلِكَ ، وَزِينُوهُمْ بِمَا
عِنْدَهُمْ ، وَأَعَارَوْهُمْ مَيْسُورَهُمْ وَمَعْسُورَهُمْ ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَئِذٍ زُهَاءَ
سِتْمِائَةِ الْفِ مَقَاتِلَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ وَحَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ ، اتَّخَذُوا اللَّيْلَ
جَمَلًا وَسَارُوا عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ ، وَفَلَقَ اللَّهُ لَهُمُ الْبَحْرَ فَعَبَرُوهُ ، فَطَلَبَهُمْ
فِرْعَوْنُ فُخِصَافُوهُ ، وَغَرَّقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَأَتْلَسَجَ صَدُورُهُمْ مِنْهُ ، وَأَصْبَحَ
أَصْحَابُ تِلْكَ الْعَوَارِي وَنِسْوَانُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ (٣٣٥) وَقَدْ صَفَرْتَ مِنْ عَوَارِيهِمْ ۖ
وَأَوْدَتْ بِذَخَائِرِهِمْ عُنُقَاءَ مَغْرِبِ (٣٣٦) وَغَضُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ نَدَمًا . فَمَا كَانَ
ذَلِكَ مُحَرَّمًا وَلَا سَحْتًا ، بَلْ نَفْلًا وَغَنَمًا ۖ لِأَنَّ الدُّنْيَا لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ ، وَمِلْكُهَا
وَزَخَارُهَا لِمَنْ اخْتَصَّهَا بِهَا مِنْ عِبَادِهِ كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ : ۖ تُوْتِي الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءَ
وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءَ ۖ (٣٣٧) . وَكَأَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ
بِمُزَوَّرٍ وَلَا مُتَحَوِّبٍ (٣٣٨) بَلْ عَلَى سَبِيلِ مَغْفَرَةٍ وَرِضْوَانٍ ۖ فَكَذَلِكَ مَا أَمَرُ

(٣٣٥) أَشْكُ فِي قِرَاءَةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ .

(٣٣٦) الْعُنُقَاءُ : الدَّاهِيَةُ . وَعُنُقَاءُ مَغْرِبٍ ، طَائِرٌ مَجْهُولُ الْجِسْمِ لَمْ يَوْجَدْ .
وَيُقَالُ فِي الْأَخْبَارِ عَنْ هَلَاكِ الشَّيْءِ وَبَطْلَانِهِ : حَلَقَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ عُنُقَاءُ
مَغْرِبِ أَيُّ هَلَكَ وَبَطُلَ .

(٣٣٧) قَالَ تَعَالَى : قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكُ مِنْ تَشَاءَ وَتَنْزِعُ الْمَلِكُ مِنْ
تَشَاءَ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ « (آلِ عِمْرَانَ : ٢٦) .

(٣٣٨) أَيُّ آثِمٍ أَوْ مُذْنِبٍ .

الله به محمداً ﷺ من مجاهدة المشركين وشن الفارات على الكافرين . فلولاً
الجهاد لما قام دين ، ولا أمن حريم ، ولا سد ثغر ، ولصار المسلمون نفلاً
وخولاً لأعدائهم . وقلّ ما تلبث الناس على ملة هذا حال أهلها حتى ينتقلوا
إلى ما هو أعز وأوسع منها .

ولقد كان المسيح عليه السلام نهى عن الحرب وحذر اسبابها في قوله : من
سحبك ميلاً فانسحب معه ميلين ، ومن سلبك قميصك فادفع إليه رداءك
أيضاً ، ومن لطم خدك فحوّل إليه الخد الآخر . فلما كان ذلك من أوامر
المسيح لم يُبق لأمته ديناً ولا دنياً ، ووهب لأمة أخرى ميراثهم^(٣٣٩) . فهم
اثاروا الحرب شرقاً وغرباً ، وأرثوها تأريثاً بالحراب والسيوف حتى بلاد الروم
وفرنجة والتوران اهل الخيم وأرمينية ، ومنّ منهم في بلاد الترك ما خلا من
كان منهم منتشراً بين الامم قليلاً ذليلاً مثل النسطورية^(٣٤٠) . ومنّ بين

(٣٣٩) الكلام مضطرب في هذه الجملة ، ولسنا متأكدين من قراءة بعض
كلماتها .

(٣٤٠) بدعة ظهرت في القرن الخامس الميلادي . قال بها نسطوريوس
(٣٨٠ - ٤٥١ م) بطريرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم
العدراء بـ « أم الله » وقد عارضه كيرلس الاسكندري (بطريرك
الاسكندرية ٤١٢ - ٤٤٤ م) . وانعقد بسبب هذه المشكلة مجمع
أفسس سنة ٤٣١ م فحرم نسطوريوس . ولا يزال للنسطورية أتباع
في العراق وايران والهند ، وطقوسها سريانية شرقية ، وتدعى أحيانا
بالكنيسة الاشورية .

ظهراني العرب من اليعقوبية (٣٤١) والملكية (٣٤٢) . ثم رأينا ان المسيح عليه

(٣٤١) فرقة مسيحية تنسب الى يعقوب البردعي (أسقف الرها ٥٤١ - ٥٧٨ م) انفصلت عن كنيسة انطاكية على اثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح ، وتنظمت في سورية وفي بلاد ما بين النهرين بفضل يعقوب ، فنسبت اليه .

يدور مذهب اليعاقبة على القول بأن المسيح هو الله والانسان، اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح . ومذهبهم كما عرفه المسلمون، بينه لنا الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » فقال انهم قالوا بالاقانيم الثلاثة ، ولكنهم قالوا بأن الكلمة انقلبت لحما ودما ، فصار الاله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، بل هو هو ، ومنهم من قال بان المسيح هو الله ، ومن قال بأن اللاهوت ظهر بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق، لا على طريق حاول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو .

وأكثر اليعاقبة يذهبون الى ان المسيح جوهر واحد واقنوم واحد ، ولكنه جوهر من جوهرين، أو هو طبيعة واحدة من طبيعتين ، احدهما الهية ، والأخرى انسانية ، ولكنهما تركبتا كما تركبت النفس والبدن .

ومن علماء المسلمين الذين عرضوا لمذهب اليعاقبة وناقشوه غير الشهرستاني، الباقلاني في كتابه « التمهيد » وأبن حزم الاندلسي في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » .

(٣٤٢) الملكية أو الملكيون أو الملكانية : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطي منتشرة في سورية وفلسطين ومصر . سموا الملكيين لأنهم خضعوا للمقررات التي اتخذها المجمع الخلقيدوني (سنة ٤٥١ م) ضد بدعة أوطيخا المونوفيزية (القائلة بطبيعة واحدة للمسيح) فلقبهم مخالفوهم ازدراء لهم بالملكيين لوقوفهم في صف الملك مرقيان (حوالي ٣٩٠ - ٤٥٧ م) الذي كان يعاضد المجمع .

انضم فرع منهم الى الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر ويسمون « الروم الكاثوليك » ، وهؤلاء يعترفون برئاسة بابا روما ، والفرع الثاني هو الروم الأرثوذكس ، وهم لا يعترفون بهذه الرئاسة، ولفتهم الطقسية اليونانية والعربية .

السلام قد رخص بآخرة في ائخاذ السيوف ونسخ به الأمر الأول ، وذلك في قوله لتلامذته : « لبيع كل امرؤ منكم ثوبه وليشتري لنفسه سيفاً » وفي قوله : « لا تظنوا أني جئت لأزرع سلباً بل حرباً » فمن عاب أهل الإسلام بما قد استحسنته واستن به من ذكرنا من الأنبياء فقد ظلم .

فإن أنكر منكر قول النبي ﷺ أن في الآخرة أكلًا وشرباً ، فقد ذكر المسيح عليه السلام لتلامذته « مثل ذلك حين شرب معهم وقال لهم : اني لست شارباً من ابنة هذه الكرمة حتى أشربها معكم قارة أخرى في ملكوت السموات » . فأخبر أن في الملكوت شرباً وشرباً « وحيث يكون فيه الشرب لا يستنكر فيه المأكل والذات » . وقال لوقا في انجيله عن المسيح عليه السلام انه قال : « ستأكلون وتشربون على مائدة أبي » . وقال يوحنا عن المسيح عليه السلام : « ما أكثر الغرف والمساكن عند أبي » . فهذه كلها تصحح الأكل والشرب في الآخرة والغرف والنعم (٣٤٣) . كما قال الله عز وجل في كتابه « وجنات لهم فيها نعيم مقيم » (٣٤٤) .

في الرد على من انكر مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم موسى والمسيح عليهما السلام في تغيير سنن التوراة والانجيل

وان ذكر ذكرهم من المتعمقين في العلم ، ان النبي ﷺ ، آمن بالتوراة والانجيل قولاً وخالفهما فعلاً « فكان في تثبيته ايتاماً مرمية وتكذيبه بما فيها أخرى دليل على التناقض ، قلنا : ان الله تبارك وتعالى حكيم عليم رحمان رحيم » الخلق له والمرشد منه والحوصل والقوة به ، وليس للعباد

(٣٤٣) هذه الكلمات غير واضحة بالأصل . ولعل ما أثبتناه هو الصحيح .

(٣٤٤) قال تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدون فيها أبداً ، ان الله عنده أجر عظيم » (التوبة : ٢٠ - ٢٢) .

الاعتراض عليه فيما يأمر به والدخول في سابق علمه وخفي تدبيره . بل الانقياد والسمع ، فقد قال الله عز وجل على لسان موسى عليه السلام : ان الله يقيم نبياً من بين إخوانكم مثلي فاسمعوا له . فإن من لم يسمع له كنت أنا المنتقم منه . فقد ظهر النبي عليه السلام من بين إخوة اليهود ، واستن بسنن الله ، وصدق بموسى وقال : انه كلم الله . وبميسى وقال : انه روح الله وكلمته اصطفاه الله وشرّقه ورفعته إلى السماء فهو عنده . ولم يخالف موسى في التوحيد ولم يحمنهم ولم يهمنهم كما فعلت النصارى ، بل باح به وصرّح ، وأخلص الإيمان وجرّد القول . ووافقه سائر الأنبياء في القبلة والطلاق والختان ومحاربة الكفرة والذب عن البنين والقصاص ، وأكثر الذبائح لله تعالى وحده . وجدّد لأمته سنناً وفرائض توافق أمر الله (٣٤٥) . فعلى العباد السمع والطاعة لله فيه .

ولو كان للناس مساغ إلى المثالب والاعتزاز في مثل ذلك من أمور الله وتدبيره ، لكان للقائل ان يقول ممّا عليه المسيح ايضاً أنه صدق بالتوراة مرة وقال لم أجيء لأنقضها بل لأتممها . وقال ايضاً : حقاً أقول انه لا يبطل حرف منها حتى تبطل السماء والأرض ، ثم خالف موسى صراحاً ، ونبتدّ التوراة جانباً ، حتى وجدّ علماء أمته سبباً إلى أن قالوا مُصرحين جاهرين ، ان العتيقة عبرت وسلفت وجاءت الحديثة وظهرت ، يعنون بالعتيقة التوراة ونواميسها وسائر كتب الأنبياء . وبالحدیثة الإنجيل . وكتب الحواريين . وإنما عماد التوراة وملاك اليهودية وسننها وختانها وذبائحها وأعيادها وقصاصها وأحكامها وكهنيتها ومذابحها فقد أهدر المسيح عليه السلام ذلك كله . وأزهدّه فلم يدع لهم عيداً إلّا أبطله ، ولا سبتاً إلّا حلّه ، ولا ختاناً إلّا دمث في رفضه . ولا ذبيحة إلّا نهى عنها . ولا مذبحاً إلّا عطّله ، ولا كامناً إلّا فجره وفسّقه .

(٣٤٥) توجد هنا كلمات غير واضحة بالأصل ، ولعل ما أثبتناه هو الصحيح .

قال متى في الفصل الثالث عشر : ان المسيح عليه السلام كان يسير بين الزروع في يوم سبت ، فجاع تلامذته ، فجعلوا يفركون السنبل ويأكلونه ، فلم يُغير ذلك ولم ينكره . وقال متى في هذا الفصل : ان المسيح قال مؤمناً لمن حضره من بني اسرائيل : سمعتم التوراة تقول ان من طلق امرأته فليقدم لها كتاب الطلاق ، أمّا أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته إلا لسبب الزنا قد عرّضها للزنا ، وان من تزوج مُطلقة فإنه قد فجر . وللقائل أن يقول منكرأ لهذا القول : فما يصنع بمن سحرت أو كفرت أو سمّت أهلها أو قتلت ولدها أو جاءها ؟ أيطلقها بتلك الخصال ؟ فكيف ؟ ولم يمكن ذلك ؟ وانما أوجب الطلاق على الزنا فقط .

وقال في هذا الفصل : قد سمعتم ما قيل في التنزيل « ان السنّ بالسنّ والعين بالعين » ، فأما أنا فلاني أقول لكم : ان من ضربك على خدك فولته الخد الآخر « ومن سألك شيئاً فلا تمنعه » . وقال فولس - وهو المقدم المطاع عندهم - أن ليس الحتان بشيء ولا الغرلة (٣٤٦) بشيء « فأبطل بذلك الحتان صراحاً . فهذه وغيرها من المسيح ﷺ غير منكر ولا مردود . وكذلك ما جدد النبي ﷺ من السنّ أو زاد أو نقص من سنن التوراة والإنجيل غير مُستلكر ولا مذموم .

في الرد على من زعم ان القيامة لم يذكرها أحد
غير المسيح عليه السلام

وقد قالت النصارى انه لم يعرف القيامة ولم يبشر بالبعثة والنشور غير المسيح « وقد لعمرى بشربها وصرح بالقول فيها وشرّفه الله تشریفاً يفوق السبقة « غير ان الأنبياء قبله قد كانوا يعرفونها ويذكرونها « قال

(٣٤٦) القلفة ، جلدة عضو التناسل .

موسى النبي عن الله تعالى : أنا وحدي وليس سواي إله أنا أميت وأنا أحيي . وهذا داود النبي يقول في الزبور : ان الجبابرة يبعثون وينشرون ويمجدون لك يا رب ، ويخبرون ان في القبور نعمتك . وقال الله تبارك وتعالى على لسانه : اني فاشرهم وباعثهم من بين أسنان السباع ومن لجج البحر . وقد قال دانيال النبي عليه السلام انه سيبعث من الأحداث قوم كثير بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار لتوبيخ نظرائهم إلى الأبد . وقالت حنة النبوة عليها السلام في كتاب إسموئيل النبي عليه السلام : إن الرب يميت ويحيي وينثر إلى القبر ويُنشِر منه . قال الله عز وجل لدانيال عليه السلام : اذهب واضطجع للأمر المحتوم فإنك ستقوم في الوقت الموقت لك في آخر الدهر .

وقد علمتم يهديكم الله . إن إجماعنا وإجماعتكم على أن الله عدل يحب العدل وأهله ويأمر به . ونهى عن الحيف والجور ، ومن العدل والنصفة أن ترجعوا إلى الاسباب التي بها قبلتم دينكم وتنظروا ما هي ، فإذا صح عندكم انها ليست إلا أخباراً ممكنة غير متمنة ، ومحمودة غير مذمومة ، أدأها إليكم خلف عن سلف ، وآخر عن أول ، فبمثل تلك الاخبار قبلنا النبي عليه السلام . على ان من أدأى تلك الاخبار إليكم لم يكن فيهم أحد ادعى انه أخذها عن من شاهد المسيح أو موسى عليهما السلام من آباءه وأجداده ، كما تدعى العرب عن آباءها وأجدادها الذين شاهدوا النبي عليه السلام . فإن الرجل منهم يحدثه عن جدّه أو جدّ جدّه أو بعض أهله بما رأى وأدأه إلى أعقابيه ، فأما أخباركم فإنها أدأها إليكم عراقي عن جزري عن شامي ، وشامي عن عبراني ، وفارسي عن رومي ، ومشرقي عن مغربي ، بأسباب مظلمة متفاوتة . فبماذا تحتجّون أو تعيبون على من قال : إنما قبلت هذا الدين وآمنت به بمثل الدلائل والشواهد التي قبلتم بها دينكم ، أو قال : اني لما رأيت أمة من الامم ، عظيمة الشأن ، جليلة الخطب ، في كثرتها وعزّها

وطهارتها وفطنها وعفتها ، يخبرونا عن آباءهم وأجدادهم بما ذكرنا ، ويأتون بكتاب يتوارثونه قرناً فقرناً ، يدعو إلى توحيد الله وتكبيره والإيمان برُسْله وأنبيائه ، والتكذيب بالشركاء والأنداد ، ويأمر بمحاسن الأمور ومعاليلها ، وبما يوافق سنن الأنبياء ومواريث عهودها ، وينهى عن الشر وأهله وأصله ، ويخبرنا بأحداث قد صحت في زمان بعد زمان وحقيقة بعد حقيقة . ثم وجدت (٣٤٧) كتباً من تؤمنون به من الأنبياء تشهد له ، وتتنبأ على دولته ودينه بما قد بيناه ، فدخلت فيه وأملت ما عند الله به .

فإن زعمتم أن من كان هذا نعته ونبوته وفضله ودلائله لا يجب قبوله ، بطل جميع ما تدعون ، وصيرتم إلى الكفر بكل ما به تؤمنون . فإن اعتلتم بالثنوية والوثنية ونظراءهم ، وما ينقلون عن أئمتهم ويخبرون عن دعاتهم وغواتهم ، وما يوجد في زُبُرهم وأسفارهم من تحقيق أخبارهم ، فقد تقدّم من قولنا في ذلك في صدر الكتاب ، ما لا يتصام عنه إلا من كان منه المحاجة والشغب ، ودينه المعاندة والإصرار . لأن أولئك قد ناقضوا ودعوا إلى النجاسات والضلالات ، فضلوا وأشركوا بالله فهلكوا . ولا يقاس أمثالهم بمن كان إمامه الحق ، ومنهج الرشد وشعاره التآله والزهد ، ودعوته إلى إله واحد فرد ، إله إبراهيم ومائير الأنبياء عليهم السلام ، ومن تنبأ الأنبياء عليه بما قد وضّح .

فذرّوا التظني والإعتلال يا بني عمّي ، تلاقاكم الله ، واسلكوا أسلم الطرق وأهداها ، وجانبوا أضلها وأرداها ، فإنكم إذا تدبرتم ذلك ، صح لكم أن الأسباب والعلل التي بها قبلنا نحن نبوة النبي عليه السلام ، هي أسبابكم وعللكم التي بها قبلتم المسيح وموسى عليهما السلام ، فإن كنا نحن في ذلك نخطئين ، ولعقوبة الله متعرضين ، فكذلك انتم ايضاً . فناظروا

(٣٤٧) في الاصل وجدنا

أنفسكم . وحاكمونا إلى عقولكم وأذهانكم ، واحتجّوا لنا ولكم ، وعلينا وعلى أنفسكم . لينكشف عنكم الغطاء ، وتروّن عَيْنَ اليَقين بتوفيق الله .

وان عاب النبي عليه السلام عائب فقال : انه عليه السلام نسب الشر إلى الله ، فقد قال في عدل الله ورحمته وطوله ما قد ذكرته في صدر هذا الكتاب ، وقال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام : إني جاعل قلبك فرعون قاسياً لئلا يخرجكم من أرض مصر . وقال اشعيا النبي عليه السلام : ان الله خلق السلامة وبراً الخير والشر جميعاً . وقال فولس - المقدم عند المطاع - في رسالته إلى طيماتاوس^(٣٤٨) ان البيت العظيم ليس يكون فيه أواني الفضة والذهب فقط ، بل يكون فيه أواني الخشب والفخار ايضاً منها للكرامة ومنها للهوان . يعني الدنيا ومن فيها من سعيد وشقي .

(٣٤٨) تيموتاوس : تلميذ بولس ورفيقه في رسالته . اقام في افسس على بحر ايجي حيث وجه اليه بولس رسالتين . وقال في قاموس الكتاب المقدس ان الاسم يوناني معناه عابد النار .

خاتمة

وأنا أسألكم 'يرشد'كم الله في خاتمة كتابي هذا عن مسألة جامعة قاطعة مقنعة ، ما تقولون في وارد لو ورد هذا الإقليم من أفق الهند والصين، يرثد 'رشد'اً ويسأل عن الأديان التي فيه ويستخير عن سالك أهلها ، فقليل له ان منهم أهل ملة يُسمّون المجوسَ يَعْبُدُونَ الكواكب والنيران ، ويزعمون ان الله خالق الخيرات والنور ، والشيطان خالق الظلمات والشر ، وان الحرب غير راکدة بينهما لا يستريحان ولا يسكنان ، على انها لا يبلغان ما يُريدان فهما عاجزان مبهوتان ، وان محبة الله ورضاه ، في نكاح الأمهات والبنات ، والتطهّر بأبوال البقر المنتنة ، والإعتكاف على المجون والزفن ، وان أرواح موتاهم ترجع إليهم في كل سنة مرّة ، فهي تزرأ مما يوضع لها من مطعم ومشرب ، وتستزوّد منه عند انصرافها ، وهنات من نحو ما ذكرنا في صدر الكتاب مجهولة ، وسير مستقدرة ، ونقبات من الله ظاهرة ، ونبوءات قد نطقت بها كتب الأنبياء فيهم قديمة ، قد بينتها آنفاً .

وان منهم قوماً يقال لهم الزنادقة (٣٤٩) دينهم 'يضاهي' هؤلاء، ويتقدمه ضلالة وجهالة ، وقدرأ ونجاسة وخساراً .

(٣٤٩) جمع زنديق . كلمة معربة عن الفارسية . اطلقها الفرس قديماً على الخارج على دين الدولة ببدع معينة ، أهمها القول بأزلية العالم . اطلق على المتشككين ، وكل متحرر من أحكام الدين فكراً وعملاً .

ومنهم أهل ملة يسمون النصارى . منهم طائفة " تزعم ان الله لما رأى الشيطان قد علا شأنه ، واستفحل أمره ، وعجز الأنبياء عن مناوآته ، وجَدَ ابنًا له أزليًا قديمًا منفردًا بخلق الخلائق كلها فدخل في بطن امرأة ثم وَلَدَ منها ونشأ وناهضَ الشيطانَ ، فأخذَه الشيطانُ وقتله ثم صلبه على يدي شِرْذمة من أحزابه . وقالت طائفة " منهم بل المقتول هيكُلُ هذا الابن ومسكنه " لأنه صار مع ذلك الإنسان شيئًا واحدًا . فأكلَ ذلك القديم بأكل ذلك الحديث ، وتغوط بتردده وتغويطه وقتل بقتله .

ومنهم أهل ملة يُسمون اليهود ، في أيديهم كتب قوم يُسمونهم أنبياء ، ويحكمون عنهم انهم قد لَعَنَواهم . ويذكرون ان الله قد تبرأ منهم ومقت دينهم وشرَّدَ بهم في الآفاق وأطفأ نورهم وأقسم أنه لا يعطف أبدًا عليهم .

ومنهم أهل هذه الملة الطاهرة العالية الذين يقال لهم المسلمون ، يقولون : إنَّ اللهَ فرْدٌ دائم لا شريك له ولا غالب ، بل له الجبروت والملكُ الدائم ، لا وَلَدَ له ولا والدَ . وهو الرحمنُ الرحيمُ . الأوَّلُ والآخِرُ . وان نبيَّهم فرَضَ عليهم عن الله برَّ الوالدين ، والصَّومَ والصلاة ، والنقاءَ والطهارة . وحلَّ لهم الطيبات وحرَّم الخبيثات . ووعدَ الجنةَ وحذرَ النارَ . فأَيُّ هذه الملل والأديان كان يُحبُّ ان يؤمنَ به ذلك الهندي والصيني ؟ وإلى أيها كان يركنُ وأيها يستحسن إذا كان وافقَ الرَّأيِ سليمَ الطبع مريدًا للحقِّ المحض لا غيره ؟ أو ما حجة الله على عبد من عباده لو قال له - وهو العدلُ الرحمنُ الذي لا يظلم مثقالَ ذرَّةٍ أحدًا - إلهي اني سمعتُ مناديا ينادي إلى توحيدك ويكبرُك ويحمِّدُك ويمجِّدُك فأجبتُ ، ورأيتُ يأمرنا بالإيمان بانبيائك وأصفياك ويفرض الصلاة والصَّومَ والزكاةَ فأطعتُ . ورأيتُ قد قطعَ إربًا من آرابي . وآرابِ كرائمي وأحبائِي فقطعت تأميلي لما عندك وتذلُّلاً لأمرِك ، ورأيتُ يحث على الحجِّ من البلد الشاسع البعيد فحججتُ . وأتيتُ ثمَّ وما ونيتُ . ورأيتُ يحضُّ على جهاد أعدائك الكافرين بك

ودُعاهم إليك ۞ فدعوتُ وجاهدُتُ وابتغيتُ بذلك كله وجهك فما نهيتُ ولا مَلَلْتُ . ورأيتُ أدياناً ومِللاً مُستنكرةً مجهولةً ، على ما شرحتُ آنفاً ۞ فأطرحُ ذلك كله جانباً وتبرأتُ منه ، وتعلقتُ بما ظننتُ انه العروة الوثقى والمنهج الأقوم الذي يرضيك ، فإن كنتَ إلهي قد جهلتُ فيما اخترتُ وتياسرتُ عمّا نويتُ ، فإنك أحقُّ من رحيم عبده الذي استفرغ في طلب ما عندك جهده فأخطا السبيلَ إليك .

فهذا يا بني عمي قول مقبول ، وعذر غير مردود ، عند العباد المنقوصين المتعنتين . وكيف عند أرحم الراحمين أعدل الحاكمين الذي لا يُكلف نفساً إلاّ وسعها ؟ فتبينوا يهْدِيكُمْ اللهُ هذه الحجج والأمثال ، وباينوا الأهواء المردية ، وأزيفوا عن أبصار غشاوتها وعن قلوب أكنتها وأقفلها . واقتصروا من بين الأبوابِ التي كتبتُ على باب النبوة فقط ، أو على أخبار هؤلاء الأبرار من دُعاة النبي عليه السلام ، أو على باب الغلبة الظاهرة التي كانت باسم إله ابراهيم ، أو على هذا الكتاب الناطق وما له من الفضائل التي قد بينتها من فوق ، أو على تلك النبوءات نبوءةً نبوءةً ، وخبراً خبراً ۞ وما شرحتُ من معانيها وتأويلاتها ۞ واقبلوا مني ، فقد نخلتُ لكم نصحي ۞ واعلموا اني لم أردُ بما كتبتُ تفاخراً ولا تكاثراً ، بل ما عند الله الذي لا يخيب راجيه ۞ وما فيه من موافقة خليفته وعبد جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أيده الله .

وأملتُ بذلك من خيار المسلمين وكِرامهم ، وعُقلاء أهل الذمة وأماثلهم الشكرَ والمحبة ، إذ كنتُ قد بينتُ لعوامهم ما استبنتُ ۞ وكشفتُ لهم ما استبطنْتُ ۞ وأفهمتهم ما فهمتُ ، ونويتُ مشاركتهم في النور الذي أوتيتُ والفوز الذي أملتُ ۞ فخيرُ ذلك وربحه لي ولهم ان كنتُ أصبتُ ،

ومكروهه عليّ دونهم ان كنتُ أخطأتُ فيما قلتُ ، أسأل العصمة ودوامَ
التغميدية ، وأعوذ من أسباب الغفلة ، وأرغبُ إليه في إقالة العثرة ولباسِ
السترِ والسلامة والعاقبة لي بما أملتُ منه عاجلاً وآجلاً فيما ألفتُ وقلتُ .

* * *

وقد تمّ في كتابي هذا الذي سمّيته « كتاب الدين والدولة » فسادُ
اليهودية وبطلانُها ، ومخازي الثنوية والذهرية وضلالها ، ليتبين الناظرُ
انكسارها وانكسافها ، وان النورَ الساطعَ والإيمان الهادي هو الإسلامُ
وحده .

ولله الشكرُ على ما هداني ، ثم لعبده وخليفته ، جعفر المتوكل على الله
أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، على ما ندبني له ، واجترأني وغيري من أهلِ
الذمة إليه ترغيباً منه وترهيباً ، واحتساباً وحباً منه للناسِ كافةً . ولذلك
صيرتُ البابَ الأوّلَ من كتابي هذا في وصف ما شعرتُ أمّتي من مكارمه
وآثارِ نعمته ، ورفقِ سياسته ، وعين دولته ، وكثرة فتوحه ، وما يجبُ
على أهلِ الملة والذمة من حبه وطاعته وشكره .

والسلام على من اتبع الهدى ، وألفَ التقوى ، وأحبَّ السلامة والفلاح ،
وحزّبَ لها وحضَّ عليها .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الأعلام
- ٢ - فهرس الأمكنة والبلدان
- ٣ - فهرس الأمم والدول والشعوب والقبائل
- ٤ - فهرس الأديان والمذاهب والفرق والنحل
- - فهرس الكتب الواردة في الكتاب
- ٦ - فهرس الآيات القرآنية
- ٧ - مصادر تحقيق الكتاب
- ٨ - فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام

أ

آدم (عليه السلام) ٣٧ ، ٥٦ ، ١٧٨ .

آمنة أم النبي ﷺ ٦٩ .

ابراهيم الخليل ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

ابراهيم بن محمد ٩٠ ، ٩١ .

أبرويز بن هرمز ٩٣

أبقراط ٢٩

ابن الأثير ١٠ ، ١٤ ، ٦٧ ، ٦٨ .

ابن أبي أصيبعة ٦ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .

ابن أبي الدنيا ٦١ .

أبو أمانة الباهلي ٦١ .

أحمد بن حنبل ٦١ ، ٧٠ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦ .

أحمد شلي ٣٧ .

أردشير ٤٢ ، ١١٠ .

أرساجانيس ٢٩ .

أرسطو ١٢ ، ٣٨ .

ارميا ٤٩ ، ١٠١ ، ١٧٣ .

اسامة بن زيد ٦٢ .

اسحاق ٥٥ ، ١٣١ ، ١٣٤ .

اسحاق بن عيسى ٩٢ .

اسفنديار (بطل الشاهنامه) ٤٢ .

اسفنديار (ابن) ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٣ .

الاسكندر الأكبر ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ١١٠ .

الاسكندر الطواف ٢٩ .

الاسكندر الفيلسوف ٢٩ .

اسماعيل ٥٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ .

١٣٤ ، ١٣٥ .

الأسود بن عبد يغوث ٦٦ ، ٦٨ .

الأسود بن المطلب ٦٦ ، ٦٨ .

اشتغرا ديا ٢٩ .

الأشعري (أبو موسى) ٨٨ .

أشعيا ٤٩ ، ٥٠ ، ١٠٣ ، ١٤٤ ،

١٧٨ ، ١٧٩ .

أغابوس ٥٢ .

أغسطس ١٥١ .

افلاطون ٢٩ .

أكيدر الكندي ٧٨ .

الياس ٥٠ .

اليسع ٥٠ .

أم سلمى ٨٥ .

أنس بن مالك ٧٠ ، ٧٣ ، ٨٧ .

ب

بابويه ٩٣ .

بازان ٩٣ .

بحيرا الراهب ١٤٧

البخاري (صاحب الصحيح) ٦١ ،

٧٣ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

١١٢ .

براون ٢٣ .

برنابا ٥٢ .

بشر بن البراء ٧٤ .

بشير بن سعد ٧١ .

البغدادى (صاحب هدية العارفين)

١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

البغوي ٩٦ .

أبو بكر الصديق ٤٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ،

٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٦ ،

١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ .

أبو بكرة ٨٦ .

بوذا ٤٠ .

بيلاطس البنطي ١٩٤ .

ت

الترمذي ٨٢ ، ٨٦ ، ١١٢ .

تيموثاوس ٢٠٦ .

ث

ثمود بن عامر ١٢٤ .

ثوبان ٨٧ .

ج

جابر بن عبد الله ٧٤ ، ٨٧ .

جالوت ٤٨ .

جالينوس ٦ ، ٢٩ .

جبرائيل بن بختيشوع ٦ .

جبريل ٣٤ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٨٣ .

جبير بن مطعم ٨٢ .

جرموز (ابن) ٨٥ .

جرير الطبري (ابن) ٦ ، ٩ ، ٢٠ .

ح

الحارث الأول ١٥١ .

الحارث الثاني ١٥١ .

الحارث الثالث ١٥١ .

الحارث الرابع ١٥١ .

الحارث بن الطلائع ٦٧ ، ٦٩ .

الحارث بن الغيطلة ٦٦ .

الحارث بن همال ٣٩ .

الحاكم النيسابوري ٦١ .

حبقوق ١٦٨ .

حبيب (ابن) ٦٩ .

حجاي ٥١ .

حجر المسقلاني (ابن) ٩٤ .

حزقيال ٥٠ ، ١٠٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .

١٧٩ .

الحسن بن علي ٧٦ ، ١١٨ .

الحسين بن علي ١٢٠ .

الحكم بن أبي العاص ٦٦ .

حنانيا ٥٠ .

حنة النبوة ٥١ .

حنظلة بن خويلد ٨٥ .

حنين بن اسحاق ٦ ، ٢٢ ، ٢٤ .

٢٥ ، ٢٩ .

حواء ٣٧ .

حيان التوحيدي (أبو) ٢٦ .

خ

خالد بن الوليد ٤٤ ، ٦٧ ، ٧٨ ، ٩١ .

١٢٣ .

خرخسرة ٩٣ .

الخضر عليه السلام ٤٨ ، ٥٠ .

خلكان (ابن) ٦ ، ١٦ ، ١٨ .

٢١ .

د

الدارمي ٦١ .

داريوس ٣٨ .

دالاي لاما ١٠٩ .

دانيال ٥٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ .

١٨٣ ، ١٨٦ .

داود النبي ٤٨ ، ٤٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

١٠٦ ، ١٧٩ .

داود (أبو) صاحب السنن ٧٠ .

١١٢ ، ٩٠ .

دحية الكلبي ٩٣ .

ديموقراطيس ٢٩ .

ذ

ذو القرنين ٣٨ ، ٣٩ (وانظر
الاسكندر .

ر

الرازي (محمد بن زكريا) ٩ ، ١٦ ،
١٧ ، ٢٥ ، ٢٩ .

ربن (ابن) المؤلف ٥ - ١٧ ، ١٩ ،
٢٢ - ٣٣ .

الربيع بن خثيم ١٢٣ .

رستم بن أردشير ٢٣ .

رضا شاه بهلوي ١١٨ .

ز

الزبير ٨٢ ، ٨٦ .

الزبير بن العوام ٨٥ .

زرادشت ٤٢ ، ٤٤ .

زكريا ١٧٢ .

س

سابق الخوارزمي ٩١ .

سارة ٥٤ ، ٥٥ ، ١٣١ .

سامي حداد ٢٨ .

سرج (ابن أبي) ١٢٠ .

سعد بن عبادة ٧٧ .

سعد بن أبي وقاص ٨٢ .

سعيد بن المسيب ٨٨ ، ٨٩ .

السفاح ، أبو العباس ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ .

سلمة (أبو) ٧٤ .

سلمة بن الأكوع ٧٠ .

سليمان النبي ٤٩ ، ١٠٥ .

سمعان الشيخ ٥١ .

سمعان بن يونا ١٢٧ ، ١٨٦ .

سهل بن سعد ٧٧ ، ٧٨ .

سيد الناس (ابن) ٦٦ .

ش

شركا ٢٩ .

شريك ٨٩ .

شمعون ٥٢ .

شمعون الصفا ١٠٦ ، ١٧٨ ، ١٨٦ .

شيرويه ٩٣ .

ص ض

- صخر بن حرب (أبو سفيان) ٧٢ •
- الصعب بن الحارث ٣٩ .
- صفنيا ١٧١ .
- صموئيل ١٩٧ .
- الضحاك رئيس الشياطين ٣٩ .

ط

- طالوت (شاول) ٤٨ ، ٤٩ .
- الطبراني ٦١ .
- الطبري ٨٦ .
- طلحة ٨٢ .

ع

- عائشة ٨٣ ، ٨٦ ، ١٠٦ .
- عاد بن عوض ١٢٤ .
- عادل نويهض ١٩ .
- عازار ٥ .
- العاص بن وائل ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .
- عباس (ابن) ٧١ .
- عباس إقبال ٢٣ .
- العباس بن عبد المطلب ٩٥ .
- عبد الرحمن بن جبير ٨٤ .

• عبد الرزاق الحسني ٣٨ .

- عبد الله بن خرافة ٩٣ .
- عبد الله بن رواحة ٧١ .
- عبد الله بن عمر ٨٤ ، ١٢٠ .
- عبد الله بن عمرو ٨٥ .
- عبد الله بن محمد ٩٢ .
- عبيدة (أبو) بن حذيفة ٩٦ .
- عتبة بن أبي معيط ٦٦ .
- عثمان بن عفان ٧١ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ - ٨٩ .
- عدي بن حاتم ٤٦ ، ٦١ ، ٩٦ .
- عزرائيل ٦٠ .
- عساكر « ابن » ٩٢ .
- عكاشة بن محصن ٧١ .
- عكرمة بن أبي جهل ٩٥ ، ٩٦ .
- علي بن أبي طالب ٧١ ، ٧٣ ، ٨٢ - ٨٦ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ١١٩ .
- علي بن عيسى ٢٩ .
- عمار بن ياسر ٨٥ .
- عمر بن الخطاب ٧١ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٨٧ - ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١١٧ - ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ .
- عمر بن عبد العزيز ١٢٠ - ١٢٢ .

ك

- ابن كثير ١٠ .
- كستاسب ٤٢ .
- كسرى ٦٨ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٤ .
- ٩٦ .
- كمال الدين ، الدكتور ٢٩ .

ل

- لهب ■ أبو ■ ٦٦ ، ٦٧ .
- لوقا ٥٢ ، ١٠٦ .
- لوقيوس ٥٢ .

م

- ماجه ■ ابن ■ ٧٠ ، ٩٠ .
- المازيار بن قارن ١٤ ■ ١٥ ، ٢٥ .
- مالاخي ٥١ .
- المأمون العباسي ١٤ .
- ماني ٤٣ ، ٤٤ .
- متى ١٠٦ ■ ١٩٠ ■ ١٩١ .
- المتوكل العباسي ١٣ ، ١٥ - ١٨ ،
- ٢٦ ، ٢٩ ■ ٣٥ .
- محمد بن ابراهيم الحميري ٩١ .
- محمد بن أبي صفوان ٩٠ .

عمرو « ابن » ٦٣ .

- عمرو بن العاص ٦٨ ، ١٣٢ .
- عيسى بن إدريس ٩٠ .
- عيسى بن مريم ■ انظر المسيح ■ .

ف

- الفارقليط ٤٣ .
- فاطمة عليها السلام ٨٣ ، ٨٨ .
- فرعون ١٢٥ .
- فلوغل ٩ ، ٢٢ .
- فولس ■ بولس ■ ٥٢ ، ١٠٦ ، ١٧٨ ،
- ١٨٧ .
- فيثاغورس ٢٩ .
- الفيروز آبادي ١٨ .
- فيروز الديلمي ٩٣ ، ٩٤ .
- فيستنفيلد ٩ ، ٢١ ، ٢٢ .

ق

- قارون ١٢٥ .
- القاسم ابن النبي ﷺ ٦٨ .
- قتادة « أبو ■ ٨٥ .
- القفطي ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٦ ،
- ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .
- قيصر ٦٨ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٣ .

معشر « أبو » الفلكي ١٠ .
 مغنس الحمصي ٢٩ .
 المنتصر العباسي ١٧ .
 منسى ٤٩ .
 المنصور « أبو جعفر » ٩ ، ٩٠ .
 المهدي بالله ٩ ، ١٠ ، ١٧ .
 موسى « عليه السلام » ٤٨ ، ٦٥ ،
 وما بعدها .
 موسى « الهادي » ١٠ .
 ميخا ١٦٨ .
 ميخائيل ٥٠ .
 ميكائيل ٦٠ .
 ف
 ناحوم ٥١ .
 نبوخذ نصر ٥٠ ، ١٨٠ .
 نجاشي الحبشة ٣٩ ، ٧٩ .
 نحميا ٥١ .
 ندانا ٢٩ .
 النديم « ابن » ٦ ، ١٣ - ٢٠ .
 النسائي ٧ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ .
 نعيم « أبو » ٦١ .
 نلينو ١٠ .

محمد بن إسحاق ٦٦ .
 محمد بن الحسن الشامي ٩٠ .
 محمد بن زبير الصديقي ١٨ ، ٢٩ .
 محمد كرد علي ٢٤ ، ٢٥ .
 محمد « النبي ﷺ » ورد اسمه الكريم
 في أكثر صفحات الكتاب .
 مرقس ١٣١ .
 مريم « أم المسيح عليه السلام » ٦٠ ،
 ١٣١ .
 مريم النبوة ٥١ .
 مسعود « ابن » ٦١ .
 المسعودي ٦ ، ١٨ ، ٢٠ .
 مسلم « صاحب الصحيح » ٦١ ، ٦٢ ،
 ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ،
 ٨٩ ، ١١٢ .
 مسلم « أبو » الخراساني ٩٠ .
 المسيح « عليه السلام » ٢٧ ، ٤٣ ،
 ٤٥ وما بعدها .
 مسيلة الكذاب ٤٣ ، ٤٤ .
 معاوية بن أبي سفيان ٤٥ ، ٧٣ ،
 ٨٥ ، ١٢١ .
 معاوية بن خديج ١٣٠ .
 المعتصم العباسي ٧ ، ١٣ - ١٦ ، ٢٦ ،
 ٢٩ ، ٣٥ .

نوح ٥٦ .

نولدكه ٩ ، ٢٢ .

و

الوليد بن المغيرة ٦٦ ، ٦٧ .

ونداد هرمز ١٠ .

ي

ياقوت ٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٤٦ .

يحيى بن زكريا ١٩٣ .

يحيى بن النعمان « هم المؤلف » ٨ ،

١٨٩ .

يزيد بن معاوية ١٢١ .

يشوع بن نون ١٣٨ .

يعقوب بن زبدي ١٩١ .

يعلى بن أمية ٧٣ .

يهوذا ٥٢ .

يوحنا بن زبدي ١٨٤ ، ١٨٥ .

يوحنا بن ماسويه ٢٩ .

يونس عليه السلام ١٩٢ .

هاجر ٥٤ ، ١٣٠ - ١٣٣ ، ١٧٨ .

هارون الرشيد ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ،

٣٥ ، ٩٢ .

هارون « الواثق بالله » ١٣ ، ١٤ ،

٣٥ .

هامر ٩ ، ٢٣ .

هرمز ٤٤ .

الهرمزان ١١٨ .

هريرة « أبو » ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩ .

هند « زوجه أبي سفيان » ٧٣ .

هوشع ٥٠ ، ١٠٢ ، ١٦٧ .

فهرس الأماكـ والبلدان

- | | |
|--|---|
| <p>أفريقية ٩٢ ■ ١٢٠ .</p> <p>الأنبار ٩١ .</p> <p>انطاكية ٥٢ .</p> <p>أورشليم ٤٩ - ٥١ ■ ١٨٠ .</p> <p>إيران ٣٩ ■ ٤٢ ■ ٩٠ ، ١١٠ ،</p> <p>١١٨ .</p> <p>إيسوس ٣٨ .</p> <p>ب</p> <p>بابل ٣٨ ■ ٣٩ ، ٤٩ ■ ٥٠ ، ١٣٤ ،</p> <p>١٨٠ .</p> <p>البتراء ١٤٨ ، ١٥١ .</p> <p>بحر آرال ١٤٢ .</p> <p>بحر قزوين ١٤٩ .</p> <p>البحرين ٩٤ .</p> <p>برلين ٢٢ ، ٢٩ .</p> <p>بصري ١٤٧ .</p> | <p>أ</p> <p>أذربيجان ٤٢</p> <p>آسيا ٤٣ ، ١٠٩ .</p> <p>آمل ٢٠ .</p> <p>الأبطح ٧٣ .</p> <p>الأبواء ٦٩ .</p> <p>أجنادين ٩٥ .</p> <p>الاحساء ٩٤ .</p> <p>الأحقاف ١٢٤ .</p> <p>الأحواز ١١٨ .</p> <p>أربيل ٢١ ، ٣٨ .</p> <p>الأردن ٩١ ■ ١٣٨ .</p> <p>أرمينيا ١٤١ .</p> <p>أريحا ١٣٨ .</p> <p>الاسكندرية ٣٨ .</p> <p>أشور ٥١ .</p> |
|--|---|

الجربيا ١٠ ■ ١٣ .

جرجان ١٠ .

جرش ١٤٨ .

جزيرة سيناء ١٢٥ .

جزيرة العرب ٧٩ ، ١٤٠ .

جوف السرحان ٧٩ .

ح

الحبشة ٩٣ .

الحجاز ٣٩ ■ ٩١ ، ١٢٤ ■ ١٢٥ .

حضر موت ٩٤ ، ١٢٤ .

حلوان ٧٣ .

الحواب ٨٦ .

حوران ٢١ .

الحيرة ٩١ ، ٩٦ .

خ

خراسان ٨ ، ١٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١٠ .

الخليل ٥٥ - ١٣٢ .

خوارزم ٢٣ .

د

دامغان ٤٦ .

دجلة ١١٠ .

البصرة ١٠ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ .

بغداد ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ■ ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٥ ، ١٤١ .

بلخ ٤٢ .

البنجاب ٣٨ .

بيت شان ١٤٤ .

بيت المقدس ٥٢ ، ١٠٣ .

بشر السبع ١٣٢ .

بيروت ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ .

بيسان ١٤٤ .

ت

تارسيس ١٤٠ ، ١٤٥ .

التبت ١٠٩ .

تبوك ١٢٥ .

تدمر ١٤٣ .

تركيا ١٤١ .

تيما ١٢٥ .

التيمن ١٠ ، ١٣ ، ١٤٨ .

ج

جبال طوروس ١٤١ .

جبل حراء ٨٢ .

دمشق ٢١ ١٢٥ .

دومة الجندل ٧٨ ٧٩ .

ديار بني حنيفة ٤٤ .

ر

الربذة ١٤٨ .

رفع ١٣٢ .

الري ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٤٦ .

س

ساحل الخليج ١٠٩ .

ساعير ١٣٨ .

السامرة ١٢٥ .

ساول ٥٢ .

سبأ ١٤٠ .

سرّ من رأى « سامراء » ٦ ، ٧ ،

١٢ - ١٤ ، ١٦ ، ٣٥ .

السند ٩٢ .

سورية ٢١ ، ١٢٣ ، ١٤١ .

السوس الأقصى ١٠٩ .

سوق الأحواز ١١٨ .

ش

الشام ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٢٤ .

الشحر ١٢٤ .

الشراة ٩١ .

الشرق ٧٩ ، ٨٦ .

ص

صرخد ٢١ .

صنعاء ٨٧ ، ٩٤ ، ١٤٠ .

صهيون ١٠٣ .

صور ٣٨ .

صيداء ٣٩ .

الصين ٣٨ .

ط

الطائف ٦٧ ، ٧١ ، ٩٤ .

طبرستان ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ،

١٧ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٦ .

طبريا ١٤٤ .

طهران ٢٠ .

طورسنيين ١٣٨ .

ع

عبادان ١١٨ .

عدن ٩٤ .

العراق ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ - ١٤ ،

ك

- الكعبة ٥٤ .
- كلوذاي ١٧٦ .
- الكوفة ٤٦ ■ ٨٥ ، ٩١ .

ل

- لاسا ١٠٩ .
- لبنان ٣٨ ، ١٤١ ■ ١٤٤ .
- ليبسغ ٢٢ .
- ليدن ٢٠ .

م

- مأرب ١٤١ .
- الماطرون ١٢١ .
- مانايل ٥٢ .
- المحمة ١١٨ .
- مدائن صالح ١٢٤ ، ١٢٥ ■
- مدائن قيصر ٨٧ .
- مدائن كسرى ٨٧ .
- المدينة ٦٩ ■ ٧٠ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٩٣ ،
- ٩٦ ، ١٢٤ .
- مدين ١٤٦ ■

١٦ ، ٢١ ■ ٢٥ ، ٤٦ ، ٩٠ ،

- ١٤١ .
- عَمَان ١٢٤ .
- عيفة ١٦١ .
- عيلام ١٤٩ .

غ

- غار حراء ٦٠ .
- الغرب ٧٩ .
- غزة ١٣٢ .

ف

- فاران ١٣٨ ، ١٣٩ .
- فلسطين ٥٥ ، ٩١ ، ١٢٥ ، ١٨٠ .
- فيافي الترك ١٠٩ .
- فينيقية ٣٨ .
- الفيوم ١٢٥ .

ق

- قبة الصخرة ١٠٣ .
- قوريينا ٥٢ .
- قومس ٤٦ .

نهر الفرات ١٤١ .

نيسابور ٤٦ .

هـ

همبورغ ٢٢ .

الهند ٣٨ .

هيكسل سليمان ١٠٣ .

و

وادي السباع ٨٥ ، ٨٦ .

وادي سونة ١٢٤ .

وادي الصرار ١٣٢ .

وادي النمل ١٥٠ .

ي

اليرموك ٧٢ ، ٩٥ .

اليامة ٣٩ ، ٤٣ .

اليمن ٣٩ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٩٢ - ٩٤ ،

١٢٤ .

مرج الصفر ٩٥ .

مرو ٧ ، ١٤ ، ١٦ .

المسجد الأقصى المبارك ١٠٣ .

مسجد دمشق ٩٠ .

مصر ٢٠ ، ٣٨ ، ٤٩ ، ١٠٠ ، ١٢٥ .

معسكر المأمون ٦ .

المغرب الأقصى ١٠٩ .

مقدونيا ٣٨ .

مكة ٤٤ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ -

٧٣ ، ٧٩ ، ١٣٨ .

مهرة ١٢٤ .

الموصل ١٤١ .

ميديا ٤٢ ، ١١٠ ، ١٤٩ .

ن

نجد ٧٩ .

نجران ٧٣ ، ٩٤ ، ١٢٤ .

نهر الأردن ١٤٤ .

نهر أركسيس ١٤٩ .

نهر جيحون ١٤٢ .

فهرس الأمم والشعوب والقبايل والدول

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| أبناء اسماعيل ٩٩ . | بنو غنم ٨٦ . |
| أبناء فارس ٩٣ ، ٩٤ . | التبابعة ٣٩ . |
| الأخمينيون ٤٢ . | ثود (قوم صالح) ١٢٤ . |
| الأنباط ١٥١ . | حملة الكتاب ٣٥ . |
| الأنصار ٨ . | الحواريون ٧٥ ، ١١٤ . |
| أهل الذمة ١٠٤ . | خزاعة ٦٨ . |
| أهل طبرستان ١٣٦ . | الدولة الحميرية ٣٩ . |
| أهل الكتاب ١٠٠ ، ١٠٤ . | الدولة المروانية ١٢٠ ، ١٢١ . |
| البابليون ٥٠ . | الروم ٦ ، ٣٨ ، ٨١ ، ٩٦ . |
| البددة ٣٩ ، ٤٠ . | الرومان ١٣٢ ، ١٤٠ . |
| البطالة ١٥١ . | الساسانيون ٤٢ ، ١١٠ . |
| بنو إسرائيل ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٥ . | السبثيون ١٤١ . |
| بنو أمية ٩٠ ، ١٢١ . | السلوقيون ١٥١ . |
| بنو تميم ١٢٤ . | طيء ٤٦ . |
| بنو حنيفة ٤٤ . | عاد (قوم هود) ١٢٤ . |
| بنو العباس ٩٠ ، ٩١ . | العجم ٤٢ . وانظر الفرس |
| بنو غفار ٧٢ . | العرب ٢٨ ، ٨١ ، وما بعدها . |

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| المجوس ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ . | العرب العاربة ١٢٤ . |
| منحج ٩٤ . | الفراعنة ١٣٤ . |
| المسلمون ٣٥ ، ٤٢ ، ٨١ وما بعدها . | الفرثيون ٤٢ . |
| المشركون ٣٥ . | الفرس ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٨١ . |
| مشركو العرب ٣٥ . | الفلسطينيون ٤٨ . |
| ملوك سبأ ٣٩ ، ١٠٥ . | الفينيقيون ١٤٠ . |
| ملوك فارس ٩٣ ، ١١٠ . | القبط ١٣٤ . |
| المهاجرون ٨ ، ٩ . | قريش ٤٤ ، ٧٢ ، ٩٤ . |
| الميديون ٥٠ . | قيدار ١٤٣ ، ١٦٢ . |
| النصارى ٤٣ ، ٤٥ ، وما بعدها . | كنانة ٧٢ . |
| اليهود ٧ ، ٥٥ وما بعدها . | الكوشيون ١٧١ . |

فهرس الأديان والمذاهب والفرق

- | | |
|--|--------------------------------|
| الفرق الاسلاميه ١١١ . | أديان الهند ٣٧ . |
| المانويه ٤٣ ، ١١١ . | الاسلام ٧ - ٩ ، ١٥ وما بعدها . |
| المجوسيه ٢٧ ، ٤٣ . | أصحاب البدده ٤٠ . |
| المرقونيه ١١١ . | أهل السنّه ٨ . |
| المزدكيه ١١١ . | البوذيه ٤٠ ، ٤٣ . |
| المسيحيه ١٣٥ (والنصرانيه في كثير
من صفحات الكتاب) . | الثنويه ١٥ ، ١١٠ . |
| الملكيه ٢٠٠ . | الدهريه ١٥ ، ١١٠ . |
| النسطوريه ١٩٩ . | الديانات القديمه ٣٨ . |
| الوثنيون ١٠٠ ، ١١١ . | الديصانيه ١١١ . |
| اليعقوبيه ٢٠٠ . | الزراذشتيه ٤٢ ، ١١١ . |
| اليهوديه ١٣٥ (وفي كثير من صفحات
الكتاب) . | الزنادقه ٤٠ ، ٤٢ ، ١١٠ ، ٢٠٧ . |
| | الصابئه ٣٧ ، ٣٨ . |
| | الغنوصيه ٤٣ . |

فهرس الآيات القرآنية

٣٤	آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه
٨٠	آلم « غلبت الروم في أدنى الأرض
٧٥	إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم
١٢٨	إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك
٨٠	إذا جاء نصر الله والفتح
٩٩	أفتطمعون أن يؤمنوا لكم
٦٩	أفرأيت من اتخذ إلهه هواه
٦٠	اقرأ باسم ربك الذي خلق
١١٢	ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون
٢٠١	الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
٩٩	الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
٥٧	الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار
٥٧	الذين ينفقون في السراء والضراء
٧٦	ألم تر إلى الذين نافقوا
٨٠	ألم نشرح لك صدرك

- ١٠٨ ألم يحبك يتيماً فآوى
 ٣٨ إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
 ٣٨ » » » » والصابئون والنصارى
 ٣٨ » » » » والصابئين والنصارى والمجوس
 ٦٨ إنّ شأنك هو الأبتى
 ١١٢ إنّ الشيطان لكم عدو
 ٥٨ إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
 ٥٨ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان
 ٥٦ إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة
 ١٠٣ إنّ الله غفور رحيم
 ١٠٢ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
 ٦٧ تبّت يدا أبي لهب وتب
 ٥٥ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق
 ٥٧ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين
 ٧٦ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب
 ٦٥ سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام
 ٥٥ شهد الله أن لا إله إلا هو
 ١١٢ فاخرج منها فإنك رجيم
 ٦٦ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
 ٩٠ فقطع دابر القوم الذين ظلموا
 ٥٦ فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
 ١٠٥ فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى
 ٥٦ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم

٥٦	فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره
٧٧	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
٧٥	قال الحواريون نحن أنصار الله
١١٢	قل أعوذ بربّ الناس
١٩٨ ، ٥٦	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
١٠٤	قل فاتوا بسورة من مثله
١٠٤	قل فاتوا بعشر سور مثله
٥٨	قل لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً
٨١	قل للمخلفين من الأعراب
٦٠	قل من كان عدواً لجبريل
٦٠	قل نزله روح القدس من ربك بالحق
٥٥ ، ٣٤	قل هو الله أحد
٣٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء
٣٤	قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا
٧٥	كما قال عيسى بن مريم للحواريين
٥٦	كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم
١١٢	لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك
٥٦	لا يكلف الله نفساً إلا وسعها
١٥٤	لقد جاءكم رسول من أنفسكم
١٤١	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية
٥٦	ما أصابك من حسنة فمن الله
١٤٧	ما كان محمد أباً أحد من رجالكم
٩٩	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه

٥٦	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا
٥٦	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا
٦٠	مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
٩٩	نَزَّلَ الْكِتَابَ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
١٠٥	وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ
٧٦	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
٧٥	وَإِذَا أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمَنُوا بِي
٥٠	وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ
٦٣	وَاشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ
٩٩	وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ
٩٩	وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
٨١	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
٦٠	وَأَن تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ
٨	وَأَنكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ
١٠٥	وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَقَاهُ قَوْمُهُ
١٤١	وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ
١٢٨ ، ١٠٦	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
٥٨	وَلَا تَطْعَمُ كُلُّ جَلْفٍ مَّهِينٍ
٥٧	وَلَا تَصْغُرُ خَدُّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
١٠١	وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ
١٠١	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ
١٠٣	وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ

٥٦	ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا
٦٣	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم
١٠٨	ومن يهد الله فما له من مضلّ
٨	ومن يهد الله فهو المهتد
١٠٠	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
١١٢	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
١٠٣	يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
٦٦	يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم

فهرس الكتب الواردة في الكتاب

باستثناء المراجع

- | | |
|--|---|
| الرد على أصناف النصارى ١٩ | أخبار الأطباء ٦ . |
| الرد على أهل الأديان ٨ ، ١٠ . | إرفاق الحياة ١٩ . |
| الزبور ٤٩ ، ١٠١ وما بعدها . | الأمثال والأدب ١٨ . |
| زند (كتاب زرادشت) ٤٢ . | الأناجيل ٢٦ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٧ . |
| الشاهنامة ٤٢ . | ٩٩ - ١٠١ وما بعدها . |
| صحيح البخاري ٥٩ وما بعدها . | انباء الرواة ٢٢ . |
| صحيح مسلم ٤٩ وما بعدها . | تاريخ الآداب العربية ٢٣ . |
| فردوس الحكمة ٥ - ٢٩ . | تاريخ الدولة العثمانية ٢٣ . |
| القرآن الكريم ٨ ، ومعظم صفحات الكتاب . | تاريخ القرآن ٢٢ . |
| كتاب فراكسيس ٥٢ ، ١٨٥ . | تحفة الملوك ١٨ . |
| كتاب في الرقي . | ترتيب الأغذية ١٩ . |
| المحمدون من الشعراء ٢٢ . | الترجمة السريانية لفردوس الحكمة ١٦ ، ١٩ . |
| المشترك وضعاً والمفترق صقماً ٢١ . | التنبيه والاشراف ٢٠ . |
| فرائي ارميا ٤٩ . | التوراة ٢٦ ، ٥٠ ، وأكثر صفحات الكتاب . |
| معجم الطبراني ٦١ . | جامع البيان في تفسير القرآن ٢٠ . |
| معجم ما استعجم ٢٢ . | حفظ الصحة ١٩ . |
| منافع الأطعمة والأشربة ١٨ . | الدين والدولة ٥ - ١٩ . |
| نجوم الفرقان في أطراف القرآن . | |

مصادر تحقيق الكتاب

■ مصر ١٣١٧	للخضري	إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء
بغداد ١٩٦٩	الحلو	الأحواز - عربستان
بيروت ١٩٧١	(تحقيق الدوري والمطليبي)	أخبار الدولة العباسية
	للقفطي	إخبار العلماء بأخبار الحكماء
مصر ١٩٢٥	لياقوت	إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب
مصر ١٩٣٩	لابن عبد البر	الاستيعاب في أسماء الأصحاب
■ مصر ١٢٨٠	لابن الأثير	أسد الغابة في معرفة الصحابة
مصر ١٩٣٦	محمد كرد علي	الاسلام والحضارة العربية
مصر ١٣٤١	لرفيق العظم	أشهر مشاهير الاسلام
مصر ١٩٣٩	لابن حجر	الاصابة في تمييز الصحابة
الأجزاء الخمسة الأولى	لمحسن الأمين	أعيان الشيعة
مصر ١٩٣٩	لأبي حيان التوحيدي	الامتناع والمؤانسة
■ مصر ١٢٩٢	للحلي	إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون
شالون ١٩١٦	للمقدسي	البدء والتاريخ
مصر ١٣٥٨	لابن كثير	البداية والنهاية
مصر ١٣٦٩	للمجاط	البيان والتبيين

بيت الصديق	المبكري	مصر ١٣٢٣ هـ
تاريخ الأمم والملوك	المطبري	مصر ١٩٣٩
تاريخ حكماء الاسلام	المبيهمي	دمشق ١٩٤٦
تاريخ الخميس	للديار بكري	مصر ١٢٨٣ هـ
تاريخ طبرستان (بالانجليزية)	لابن اسفنديار	
تفسير ابن كثير		
تفسير القرطبي		
تفسير المنار	رشيد رضا	مصر ١٣٥٣ هـ
تهذيب تاريخ ابن عساكر	لبدران	دمشق ١٣٥١ هـ
حلية الأولياء	لأبي نعيم	مصر ١٣٥١ هـ
حياة محمد	هيكل	مصر ١٩٣٥
دائرة المعارف	للبيستاني	
دائرة معارف القرن الرابع عشر	وجدي	مصر ١٩١٤
الروض الأنف	للسهيلي	
السيرة النبوية	لابن هشام	مصر ١٩٣٦
الصابئون في حاضرهم وماضيهم	عبدالرزاق الحسني	صيدا
العبر (تاريخ ابن خلدون)		بيروت ١٩٥٦
عصر المأمون	الرفاعي	مصر ١٣٤٦ هـ
عيون الأثر	لابن سيد الناس	مصر ١٣٥٦ هـ
عيون الأنباء في طبقات الأطباء	ابن أبي أصيبعة	بيروت ١٩٦١
فقه السنة		
الفقه على المذاهب الأربعة		
الفهرست	لابن النديم	طهران ١٩٧١
القاموس	المفبروز آبادي	مصر ١٣٣٠ هـ
القاموس الاسلامي		

قاموس الكتاب المقدس

القرآن الكريم

الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)

مصر ١٣١٩ هـ

الكشاف عن حقائق التنزيل

للكشاف عن حقائق التنزيل

للكرد علي

الهند ١٩٤٢

بيروت ١٩٦١

للحبر

مروج الذهب

بيروت ١٩٦١

معاجم الألفاظ والأعلام القرآنية

مصر ١٩٥٧

معجم البلدان

مصر ١٢٢٠ هـ

مقارنة الأديان

استانبول ١٩٥٧

الملل والنحل

هدية العارفين

للمشهرستاني

للبيغدادي

المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	ترجمة المؤلف
٢٥	علي بن ربن
٢٨	مؤلفات العرب ومصنفاتهم : للدكتور سامي حداد
٣٣	مقدمة المؤلف
٣٧	في وجوه الخبر والاجماع العامي
٤١	في الدلائل على تصحيح الأخبار
٥٤	في توحيده عليه السلام ودعائه إلى ما دعا إليه ابراهيم
٥٧	في فضائل سننه وشرائعه
٦٥	في آيات النبي ﷺ التي ردها وجحدتها أهل الكتاب
٧٦	في أنه عليه السلام حكى أموراً غائبة عنه تمت في أيامه
٨٠	في نبوءات النبي عليه السلام التي تمت بعد وفاته
٩٨	في أمية النبي ﷺ وأن الكتاب الذي أنزله عليه وأنطقه به آية للنبوة
١٠٨	في أن غلبة النبي ﷺ آية من آيات النبوة
١١٤	في أن الداعين إلى دينه والشاهدين بحقيقة أمره كانوا خيار الناس
١٣٠	في أنه لو لم يظهر النبي ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء

١٣٧	في نبوات الأنبياء على النبي ﷺ وعليهم
١٤٤	نبوات أشعيا على النبي ﷺ
١٦٨	نبوة ميخا » » »
١٦٨	» حبقوق » » »
١٧١	» صفنيا » » »
١٧٢	» زكريا » » »
١٧٣	» ارميا » » »
١٧٧	» حزقيال » » »
١٧٩	» دانيال » » »
١٨٤	» المسيح » » صلى الله عليهما وسلم
١٨٩	في الرد على من ذكر أن المهاجرين والأنصار دخلوا في الدين من غير آية
١٩٥	في الرد على من عاب الاسلام بسنة من سننه أو شريعة من شرائعه
	في الرد على من أنكر مخالفة النبي ﷺ موسى والمسيح
٢٠١	عليهما السلام في تغيير سنن التوراة والإنجيل
٢٠٣	في الرد على من زعم أن القيامة لم يذكرها أحد غير المسيح عليه السلام
٢٠٧	خاتمة
٢١١	الفهارس العامة

تصويب :

وقع في الصفحة ١٤ السطر ١١ « وهلك الله هارون »
 الصواب : « ومهلك الله هارون »

ALI TABARI

THE BOOK OF
RELIGION AND EMPIRE

Edited by
ADEL NUWEIHED



Dar Al-afaq Al-jadidah

Beirut - Lebanon